رواية

أعشقني

د. سناء شعلان
(بنت نعيمة)

أعْشَقُنِـــي

رواية

أعْشَقُنِـــي

د. سناء شعلان
(بنت نعيمة)

الطّبعة الخامسة
٢٠٢١

Book Title : I A doer My Self	عنوان الكتاب: أعْشَقنِـــي
Author :Sanaa Shalan Dr .	المؤلف: د. سناء شعلان (بنت نعيمة)
First Edition 2021	الطبعة الخامسة ٢٠٢١
Book type: Novel	نوع الكتاب: رواية
Number of pages:254	عدد الصفحات:٢٥٤
Filing number (7083 / 12 /2021)	رقم الإيداع لدى دائرة المكتبة الوطنية ر. أ: (٧٠٨٣/ ١٢/ ٢٠٢١)
ISBN 978-9957-545-49-9 Sanaa Kamel Shalan	الرقم المعياري الدولي (ISBN) 978-9957-545-49-9 سناء كامل شعلان
Descriptors Arabic Literature- Arabic novels Literary Analysis	الواصفات الروايـات العربيـة/ / الأدب العربـي/ / العصـر الحديث
All rights reserved to the author Sanaa Shalan	جميع الحقوق محفوظة للمؤلفة د. سناء شعلان (بنت نعيمة)
Author's address Dr. Sanaa Shalan Jordan, Amman, Post code: 11942 P. O. Box 1351 Mobile, WhatsApp and Viber: 00962795336609 selenapollo@hotmai. com Facebook: Sanaa Shalan	عنوان المؤلف د. سناء شعلان الأردن- عمان- الرمز البريديّ: ١١٩٤٢ ص. ب١٣١٨٦ خلوي+ واتس+ فايبر ٠٠٩٦٢٧٩٥٣٣٦٦٠٩ selenapollo@hotmail. com Facebook: Sanaa Shalan
Publisher Al tnoor Kulttuurinkeskus ry Väinölänkatu 19B38 33500 Tampere Finland Hassan Abbas. Dakhel 00358456606168 altnoor62@gmail. com	بيانات الناشر مركز التّنور الثقافي فنلندا- تامبرة عباس داخل حسن ٠٠٣٥٨٤٥٦٦٠٦١٦٨ altnoor62@gmail. com
Cover design Asma Jaradat - Asma Office for Design and Directing	تصميم الغلاف أسمى جرادات- مكتب أسمى للتصميم والإخراج

- **يتحمل المؤلف كامل المسؤولية القانونية عن محتوى مصنفه ولا يعبّر هذا المصنف عن رأي دائرة المكتبة الوطنيّة أو أي جهة حكومية أخرى.**
- **تم إعداد بيانات الفهرسة والتّصنيف الأولية من قبل دائرة المكتبة الوطنية**
- **جميع حقوق الملكيّة الأدبيّة محفوظة للمؤلّفة د. سناء شعلان (بنت نعيمة)، ويُحظر طبع أو تصوير أو ترجمة هذا الكتاب أو أي جزء منه أو إدخاله على الكمبيوتر أو ترجمته على أسطوانات ضوئية إلّا بموافقة خطيّة منها.**

خالد وأسئلة الانتظار

إلى متى تظلّ صامتاً يا خالد، وأظلّ ألعبُ معك لعبة التّخفّي؟ متى يعرف الجميع أنّك حقيقة نابضة بالإحساس والجمال والتّفلّت والثّورة والصّخب اللّذيذ؟ متى يرون ملامحكَ النّبيلة؟ ويسمعون كلماتكَ النديّة؟ متى يسمعون صوتكَ الشّجي المترع بصوت الجبال البعيدة والرّجال الأشاوس؟ متى يعرفون أنّ سلالة الرّجال المخلوقين من الياسمين والوجيب لم تنقرض بعد؟ متى أقول لكلّ من يسأل عنكَ إنّك هناك في البعيد حيث البرد والصّقيع تكتب ترنيمة عشق وتصطاد شموساً وأقماراً بصدرك العاري من الحقد والبغضاء؟ متى أقول للجميع إنّك حقيقة راسخة في زمن الرّدة والرّيبة؟ متى تعود بمواسم الفرح والحبّ وجنى الحقيقة السّابحة في الأزل؟

خالد أنتظركَ...

شمس وسناء

خالد ليس خيالاً، بـل هـو حقيقـة، ولا يمكـن أن يكـون إلّـا حقيقة.

سناء

الإهداء

إلى نبيّة البُعد الخامس في عالمي،

إلى صاحبة أكبر قلب وأجمل حبّ

إلى أمي

ومن غيرها يحترف العطاء والحبّ،

ويحمل راية الحبّ الخالد؟

يحدثُ في عام ٣٠١٠م

"البشر عندهم الغرور ليتظاهروا بأنّ الكون كلّه جُعل لصالحهم، بينما الكون كلّه ليس عنده حتى اشتباه بوجودهم"

كاميل فلاماريوم

"عندما يحضر خالد، تغيب الأشياء كلّها؛ فهو إله الحضور الجميل"

شمس

"إنّ القلب يتّسع حتى يضيق العالم، إنّ القلب يستطيع أن يحمل بين عرائشه الصّور الجميلة كلّها".

خالد

من يوميّات امرأة عاشقة في مجرّة درب التّبانة

"وحدهم أصحاب القلوب العاشقة من يدركون حقيقة وجود بُعد خامس ينتظم هذا الكون العملاق، أنا لستُ ضدّ أبعاد الطّول والعرض والارتفاع والزّمان، ولستُ معنية بتفكيك نظرية أينشتاين التي يدركها ويفهمها جيداً حتى أكثر الطلبة تواضعاً في الذّكاء والاجتهاد في أيّ مدرسة من مدارس هذا الكوكب الصّغير، لكنّني أعلم علم اليقين والمؤمنين والعالمين والعارفين والدّارين وورثة المتصوّفة والعشّاق المنقرضين منذ آلاف السّنين أنّ الحبّ هو البُعد الخامس الأهم في تشكيل معالم وجودنا، وحده الحبّ هو الكفيل بإحياء هذا الموات، وبعث الجمال في هذا الخراب الإلكترونيّ البشع، وحده القادر على خلق عالم جديد يعرف معنى نبض قلب، وفلسفة انعتاق لحظة، أنا كافرة بالأبعاد كلّها خلا هذا البعد الخامس الجميل، أنا نبيّة هذا العصر الإلكترونيّ المقيت، فهل من مؤمنين؟ لأكون وخالداً وجنيننا القادم المؤمنين الشّجعان في هذا البُعد الجميل. خالد أنا أحبّكَ، وأحبّ جنيننا كما ينبغي لنبيّة عاشقة أن تحبّ. . ."(*)

(*) - نوع الملف: سرّيّ.

- تاريخ الملفّ: غير محدّد من العام ٣٠١٠ م.
- اسم الملفّ: البُعد الخامس.
- نوع الحافظة: حزمة ضوئيّة مكتوبة.
- نوع الملكيّة: شخصيّ س/ س/خ/ للعام٣٠١٠م/ مُصادر لحساب شبكة المخابرات المركزيّة لمجرّة درب التّبانة.
- مرفقات الملف: زهرة بريّة مجفّفة مجهولة الفائدة أو التّفاصيل أو الغرض.

الفصل الأول

(البُعد الأوّل: الطّول؛ في امتداد جسدها
تسكن آمالي كلّها، ويغفو بدعة طوق نجاتي)

الفصل الأوّل

(البُعد الأوّل: الطّول؛ في امتداد جسدها تسكن آمالي كلّها، ويغفو بدعة طوق نجاتي)

جسدها العاري المسجّى على سرير أبيض عارٍ إلّا منها هو خصمي في هذه اللّحظات، لكنّني لستُ خصمه، بل المنتظر له بلهفة مجنونة تملك أيادي متعطّشة للاحتواء، لا أريده حيّاً وشبقاً ومُشتهىً يضجّ بحرارة الحياة وجمال الأفعال والتّفاصيل، بل أريده تماماً كما هو الآن؛ أريده دون حياة أو غدٍ أو قادمٍ، أريده بغفوة أبديّةٍ لا تملك بعثاً إلّا لي وبي، ملامحها الغارقة في سلام عجيب لا تتناسب مع عذاباتها الطّويلة على أيدي معذّبيها، لعلّ جسدها الصّغير النّافر الثّديين الضّامر البطن البادي النّحول وحده من يفضح دون خجل أو خوف رحلتها الطّويلة مع العذاب عبر الكثير من الكدمات والجروح والحروق، لو كانت الظّروف مختلفة لما كنتُ قبلتُ أبداً بهذا الجسد الصّغير النّحيل الأسمر الذي لوّحته الشّمس بتفنّن نادر، وشوّهتهُ يد التّعذيب بجور غامر بديلاً عن جسدي الممتدّ في أفق الجمال الذّكوريّ والتّناسق البديع والشُّقرة الغارقة في حمرة شهيّة متوارثة في جينات أسرتي التي احترفت شراء أجود أنواع المنيّ المنحدر من السّلالات الشّقراء الهجينة، لكن الأقدار هي من جمعتنا في هذا المكان الرّهيب

متقابلين على سريرين بجسدين عاريين إلّا من انتظار قدريّ ساخر ومحموم.

فاتني أن أسأل عن اسمها، ومن يهمه أن يعرف اسمها الآن؟ فقط هي رغبة الحياة والفرار من الموت من تهصر لحظاتي بيديها الجبارتين المنفلتتين في العدم، والعابثتين بالخراب، وتنفتح بفيه أحمق على أسئلة الوجود والعدم كلّها. لعلّها هي من ترغب في هذه اللّحظة في أن تعرف من أكون، أتراها كانتْ ستهبني جسدها ليكون وعاءً لي لو كانت حُكّمتْ في هذا الأمر؟ أم ستكون عصيّة عنيدة كما هو شأنها في الحياة والنّضال والرّأي والموقف؟ يا لها من أقدار عابثة حدّ المجون والعهر! هاهي تلك العنيدة القادمة من غياهب الزّنزانات الانفراديّة في معتقلاتنا السّياسيّة في أقاصي كواكب المجرّة تترجلّ عن صهوة كبريائها ورفضها وصمودها بعد طول عناد، وتلفظ أنفاسها الأخيرة على أيدي جلاديها دون أن تتراجع عن أيّ موقف سياسيّ، أو عن رأيّ لها معارض لسياسة حكومة دربّ التبّانة.

قيل لي إنّ بنيتها الضّعيفة خلاف مراسها وعزيمتها وإصرارها قد جعلتها لا تصمد أكثر من أيام قليلة أمام التّعذيب، وشاء القدر لها ولي أن تلفظ أنفاسها هذا الصّباح، ترى كيف ماتت بالضّبط؟ هذا لا يهمّني الآن، المهم أنّني حيّ في هذه اللّحظة، وإن كانت تحيّرني تلك

الابتسامة الباذخة التي تزهو بسمرتها، وتداعب شفتيها دون خوف من سلطة الموت.

أين شحوب الموت؟ أين هلع الأنفاس الأخيرة المغادرة دون رجعة؟ أين النّظرات الزّائغة؟ لماذا هي مبتسمة في لحظة النّهاية؟ أتراها تسخر مني؟ أم تسخر من الموت؟ أم تسخر من السّخرية ذاتها؟

يقولون إنّها زعيمة وطنيّة مرموقة في حزب الحياة الممنوع والمعارض، ويذكرون أنّها كاتبة مشهورة، كما يقولون عنها الكثير من الأشياء الأخرى التي ماعاد ذهني المشوّش بفوضى الألم يتذكّرها في هذه اللّحظة، أنا لا أعرف الكثير عن آرائها ومواقفها، لا شكّ في أنّ حروبي الطّويلة مع المعارضين والمنشقّين عبر المجرّة قد سرقتني حتى من معرفة هذه المرأة التي يقال إنّها مشهورة بلقب النّبيّة.

لقد بتُّ أحفظ تفاصيل بزّتي العسكريّة الواقية من الإشعاعات الكونيّة والإشعاعات الحربيّة المعادية أكثر ممّا أحفظ من تفاصيل وجهي وقسماته، أستطيع الزّعم كذلك أنّ مركبتي الفضائيّة المقاتلة أكثر قرباً إلى نفسي ومعرفتي وتواصلي من زوجتي الجميلة الزّلقة الملمس والرّائحة والطّعم والمزاج والإخلاص، وكذلك أكثر قرباً إليّ من أبنائي الاثنين المنذورين لدراسات أكاديميّة إلكترونيّة معقدّة في الجناح العسكريّ للحربيّة الوطنيّة في معسكرات الشمّال المتجمّد منذ وصلوا إلى سنّ الخامسة، بل إنّ مساعدي الأول الآليّ هو خير عندي

وأكثر أهميّة وفائدة من مجمل أصدقائي الذين باتتْ تفصلني عن أماكن سكنى بعضهم بضع سنوات ضوئيّة.

ليتني أستطيع أن أرثي لها ولجسدها المسجّى، ليتني أستطيع أن أرفض أن أأسر في جسدها المنكمش على آلامه وعلى سيرته المحمومة، ليتني أستطيع أن أتشبّث بجسدي الحبيب، ليتني أملك الجرأة لأقول للأطباء: دعوني أموت، أنا أرفض أن أكون حقل تجارب، وأرفض أن أكون أوّل إنسان تُجرى له عملية نقل دماغ، ليتني أستطيع أن أرفض بعزم وإصرار أن يُنقل دماغي إلى جسد تلك المرأة المعانقة للموت والعدم منذ الصّباح، ليغادر مكرهاً جسدي المهترئ حدّ التآكل، والمحترق حدّ التّفحّم جرّاء أشعة ذلك الفخّ الانتحاريّ الذي نصبه لي ثوّار المجرّة في دوريتي الصّباحيّة الاعتياديّة صباح هذا اليوم في مدار القمر، فهتّك جسدي، والتهم أعضائي، وما أبقى إلّا على رأسي سالماً وعلى فتات من ذكرى لحمٍ وعظام مسحوقة كان اسمها جسدي.

لكنّني جبان ضعيف أمام رغبتي المتشبثة بالحياة، لا زال طعم الحياة الحلو ينخر إرادة الرّفض والاستعلاء على الضّعف في نفسي، ويلحّ عليّ بإصرار لعين لأتشبّث بالحياة ولو في جسدٍ آخر، ولو كان هذا الجسد مسروقاً من امرأة كان لقبها في الصّباح النّبيّة.

حدثت الأمـور بسـرعة قدريّـة تشـبه مـؤامرة حقـيرة تُحـاك في الظّلام، هي لفظتْ أنفاسها الأخيرة هذا الصّباح في زنزانة قذرة، وأنـا تعرّضتُ في الوقت نفسه لحادث انتحاريّ، هي باتت دون روح ودون دماغ، وأنا بتُّ عقلاً ينبض بالحياة دون جسد، وهنا في هذا المستشـفى العسكريّ النّوويّ حيـث لا يدخلـه إلّـا كبـار المـوظفين والعسـكريين والعلماء الذّريّين والأثرياء كان طبيب جامح ومساعده الطّبيب الآلـيّ وعصـبة كـبيرة مـن الأطبّـاء المشـهورين والمخضـرمين والمتـدرّبين والبـاحثين في هندسـة الجينـات البشـريّة وفيزيـاء الجسـد وكـادر مـن الممرضين والممرضـات والمسـاندين والمسـاعدين الآلـيين في انتظـاري باقتراحهم الإبليسيّ وتجربتهم المخيفة، لم يكن أمـامي إلّـا القليـل مـن الوقت لأوافـق علـى هـذه العمليّـة بتهـور وعلـى عجـل يتنازعـه ألم جسديّ عظيم، وخوف رهيب من الموت والرّحيل، ورغبـة ملتهبـة في أخذ فرصة جديدة للحياة، ولو كانت فرصة أكبر من مستحيلة، وتكاد تكون الأولى من نوعها، أو هي كذلك. يا لها من فرصة مقيتة مسروقة من امرأة ميتة مسجّاة عارية إلى جـانبي! فيمـا تفكّـر هـذه الصّـامتة في هذه اللّحظة؟ لعلّها ترفض بصمت رهيب أن تهبني جسدها الصّـغير، لكن من يبالي برفضها؟ وأنا الجبّـار القـويّ في هـذه اللّحظـة بسـلطة حكومة درب التبّانة على الرّغم من ضعفي وعجزي، وهي الضّـعيفة العاجزة السّادرة في العدم.

الكثير من مسكّنات الألم المتطّورة استطاعتْ بصعوبة وبطء أن تمدّني بلحظات من صمت ألم حروق جسدي وكسور عظامي كي أفهم العرض المقدّم لي من الأطبّاء على طبق من المستحيل والمجازفة، كلّ شيء جاهز؛ الأبحاث الدّقيقة والنّتائج الإيجابيّة والمبشّرة والأكيدة بعد استخلاصها من عمليات مشابهة على الحيوانات والكوادر الطّبية والتّمريضية المدرّبة والأجهزة المتطوّرة والدّعم الآليّ المتقدّم وجسدها ودماغي وزمن حرج مخنوق مشدود بتوتّر إلى القلق والعجز والقصر والانقضاء السّريع، و فرصة واحدة تكاد تكون زائلة لا تتجاوز بضع ساعات تفصلني عن موت مؤكّد في ضوء معطيات جسدي المتآكل الذي يعمل قلبه ورئتاه بصعوبة معاندة لكلّ الآلات الصّناعيّة المنعشة والتّشغيليّة المربوط إليها.

علي أن أختار سريعاً، أو هذا ما يخيّل إليّ أنّني سأفعله، أو ما يجب أن أفعله فعلاً، لكن الحقيقة تقول بصفاقة لا مبالية إنّ الأقدار قد اختارتْ مسبقاً، ورتبت الأمور والصّدف والأحوال كما ينبغي، وأنا مضطر إلى أن أرضخ إلى تصاريف الصّدف والأفعال العبثيّة والقدريّة في آن، ما دام العلم كلّه والتّقدّم الحضاريّ بأسره في الألفيّة الثالثة من تاريخ البشريّة وسلطتي ورتبتي العسكريّة الرّفيعة ونفوذي الخطير وسيرتي العسكريّة المشرفة وطموحاتي العملاقة ومآثري المزعومة لا تستطيع جميعاً أن تهبني لحظة حياة إضافيّة إنْ انتهت إقامتي الجبريّة اللّذيذة في سيرورة الحياة. حتى جسدها الصّغير المقرور

هو قدري في هذه اللّحظات فضلاً عن موتها أو للدّقة قتلها في يوم حاجتي إلى جسد ما.

أستطيع أن أزعم بنَفَسٍ استعلائيّ مقيت متعفّن أنّ إرادة جبارة في هذا الكون تريد أن تهبني فرصة جديدة للحياة، وهي بجبروت إرادتها السّلطوية النّافذة قد رتبت الظّروف كلّها حتى موت هذه المرأة السّمراء الصّغيرة من أجل إنقاذي، ولن يعيبني أن أدّعي في لحظة انتحار أمنيات واحتضار قسريّ مؤلم أنّ خلق هذه المرأة وسيرتها وأقدارها جميعها حتى موتها إنّما كانت كلّها بترتيب الإرادة الخفيّة الجبّارة من أجلي أنا دون غيري من مخلوقات هذا الكون، ومن سيمنعني من أن أهمس لنفسي بصمت، وأن أقول لها مخفّفاً عنها بلاءها ومجافياً إلحادي العتيد المعلن المنكر لوجود إله أو آخرة أو حساب أو جنة أو جحيم: إنّ هناك قوة في السّماء تحبّني بشدة على الرّغم من كفري وجحودي، لعلّها محاولة غير يائسة من تلك القوة، وقد تتكلّل بالنّجاح من أجل استمالتي نحو الإيمان والتّصديق بالرّبوبيّة وسائر فانتازياتها التي أقرأ عنها من وقت إلى آخر في كتابات بعض الباحثين عن الشّهرة السّريعة من الكتّاب والإعلاميين في المنظومة الإعلاميّة الإلكترونيّة الكونيّة.

باختصار ليس أمامي إلّا أن أركع في محراب الفرصة الثّانية والأخيرة للحياة، ولو كان ذلك على حساب المسلّمات والطّبيعيّات

والمعارف والعوالم والحقائق كلّها، بل وعلى حسابها هي، أيّاً كانت الأحوال، وأيّاً كان قراري، فهي في الأحوال كلّها لن تبالي بمصير جسدها المنكود، فقد ذاق العدم والنّهاية الحتميّة، وما كان كان، ولا أخال أنّها ستغضب من أن يبقى جسدها حيناً من الزّمان خالداً بعد رحيلها عن دنيا الوجود مسجوناً بي أو معي، أو ساجناً لي بمعنى آخر، بل قد يفرحها ذلك بمعنى ما، وإن كنتُ أشكّ في أنّها ستفرح بأن تترك جسدها عالقاً في عالم المادة مع رجلٍ أخال أنّه واحد من ألدّ أعدائها لاسيما وأنّه هو من فتك بالكثير من أصدقائها الثوّار الذين أرادوا للبشريّة أن تتراجع في ضوء مطالبتهم بمثاليّات سخيفة باليةٍ عتيقة قد تجاوزتها الحضارة الإنسانيّة منذ قرون، وباتت تاريخاً منسيّاً مغضوباً عليه في ذاكرة جمعيّة كادت تجهضه تماماً من تاريخ حيّز تذكّرها.

ومن يدري ربما كان هذا الأمر سيسعدها، وسيتناسب مع نسق مثالياتها وأفكارها الرّومانسيّة المغرقة في إنسانيّتها المنفّرة ويتواطأ معها؛ لتبرهن للمجرّة كلّها على أنّ ثورتها كانتْ صادقة وقابلة لتجاوز العثرات والأسئلة والمزالق والتّشكيكات والأزمات كلّها، وبذا تخلص إلى لقب النّبيّة بكلّ استحقاق وجدارة، فمن سيكون غيرها عندئذٍ حريّاً بهذا اللّقب؟ وهي من تهب عدواً من ألدّ أعدائها جسدها راضية مرضية، وإن كان في زمرة من ساهموا في ملاحقتها

وسجنها وقتلها بمعنى من المعاني ما دام هو ضمن جنود حكومة المجرّة، وواحد من أبرز رجالاتها وزعاماتها وقوّداها.

أيّاً كانت الاحتمالات والمشاهد والفرضيات والتّأويلات فقد انتصر بسهولة ويسر لرغبة الحياة، وقرّر المجازفة ما دام لا يملك غيرها، وهناك الموت يتربّص به، وينتظره قيد ساعات ليغرز نابه الأزرق المسموم في روحه المعذّبة الآثمة وفي بقايا جسده المهصور، وها قد أعطى موافقته على إجراء العمليّة عبر توقيع إلكترونيّ معتمد له في منظومة الدّولة العسكريّة والقضائيّة مشفوعاً بأرقامه السّريّة الخاصة.

وهاهو ينتظر بقلقه المسيطر وعقله النّابض بحمى الألم وأشلاء جسده، وعجزه البائن الكسير اكتمال الاستعدادات، وحضور الطّاقم الطّبي المشغول بصخب هذه العمليّة الاستثنائيّة التي اجتذبت آلاف الفضوليين، واستقطبت مندوبي وسائل الإعلام من شتّى أنحاء المجرّة، وباتتْ تبثّ الأخبار على التّوالي عبر فضائياتها المرئيّة والمسموعة والسّابقة لسرعة الضّوء كي ترسل الخبر إلى شتى أنحاء الكون عبر رسائل باللّغات كلّها لكلّ سكان الكون المعروفين والمجهولين القريبين والموغلين في البعد حيث لا أمل في التّواصل معهم بأيّ شكل من الأشكال إلّا بالتقاط البثّ العشوائيّ الموجّه إليهم.

وهو ليس له إلّا الصّمت والانتظار والأمل والرجاء والتفرّس في جسدها الشّاب العاجز المسجّى في الطّاولة الموازية لسريره بعجز

محـزن، لا يختلـف كـثيراً عـن عجـزه وضـعفه، وكسـر شـوكة نفسـه وعنفوان جسده وعزم إرادته الذي كاد يسحق نبض كبريائـه وصـهيل جموحه، ليتضاءل ويتقـزّم في احـتراق نيـزك ضـائع في مجـرّة متوحّشـة عملاقة أو موت كوكب تليد في لحظة إشعاعه الأولى.

يبتسم علـى مضـضٍ لسـبب يجهلـه، لكنّـه يمنّـي نفسـه بتحقّـق المعجزة، لم يسبق لبشر أن نجح في أن يعيش بدماغ غيره، لكنّه على مـا يبدو على حلفٍ مع الأحداث الغريبة والنّكسات الاستثنائيّة، وهـاهو مضطر الآن إلى أن يخضع لعملية غريبة لا تقلّ وحشيّة عن بـتر عضـو بسكين ثلماء كي يغدو له جسداً جديداً مسروقاً من امـرأة عـاجزة لا يعرفها، ولا تعرفه.

القدر يسـخر منـه بحـق، فيسـرق منـه جسـده الرّجـوليّ الـوافر الجمال والعنفوان والاكتمال والبسـطة في الطّـول والصّـحة والعطـاء والحضور والجاذبيّة، ويهبه جسداً أنثوياً أسمرَ، يغالب نـدوباً وجراحـاً وألوان طيف الشّمس ورفيف الموت المداهم له عنوة وقسراً.

الأطبّاء أكّدوا له أنّ هـذا الجسـد الأنثـويّ المنسـرح في أحضـان الموت بابتسامة قرمزيّة مترعة بالسّلام والرّضا وبشيء آخـر لا يعـرف له اسماً أو لوناً أو صفة هـو الجسـد الوحيـد الملائـم جينيّـاً وأنسـجة وخلاياً لجسده، في حين تغيب الاحتمالات الأخرى الملائمة له، حتـى تلك الجثّث الكثيرة المكوّمة في المشرحة حصيلة حادث مـروريّ علـى

الخطّ الضّوئيّ السّريع بين الأرض والقمر ووفيات طبيعيّة، ومواجهات دامية مع الثوّار في الشّمال، وانفجار في معمل كيميائيّ نوويّ جميعها لا تناسبه جينياً؛ لذلك عليه أن يقبل بأن يدسّ روحه ودماغه في هذا الجسد الصّغير على كُرْه أو رضا حتى ينجو بحياته، وعندها سيكون من السّهل على الأطبّاء نقل دماغه من جديد إلى جسدٍ ذكوريّ، يُنتقى على هوادة وترو وفق شروطه ورغباته بمساعدة مخابرات المجرّة لتعويضه عن خسارته الرّهيبة لجسده في حربه المخلصة للدّولة في مواجهة الأعداء والثوّار والمخرّبين.

هو في هذه اللّحظة لا يثق بمخابرات المجرّة ولا بالأطبّاء ولا بهذه العمليّة المستحيلة ولا حتى بجسدها المسجّى بصمت واستسلام، لكنّه يثق بعجز واضطرار بطاقة كونيّة عجيبة قادرة على أن تخلّصه من هذه المحنة الخرافيّة، ويفكّر في أن يتمتم بنشيد ما ليساعده على أن يعلو على رهبة الموقف وصقيع الوحدة والخوف، لكنّ فكّه المكسور يحرمه من هذه المصالحة الصّغيرة مع لحظته، ويسلمه وحيداً محزوناً لجسدها، ولاشيء غير جسدها.

يحاول أن يهرب منها باستذكار عقيم لمفردات هذه العمليّة، ومراحلها ومجازفاتها وتوقعاتها وإمكانياتها التي حدثّه الأطبّاء عنها بإسهاب مُساط بقلق الزّمن، يدرك أنّه نسي معظم ما قيل له، خلا أنّ جسده البالي سيُلقى به في مشرحة كليّة الطبّ، ودماغه سيرتدي

جسدها، وهي ستكونه، وهو سيكونها، وبذلك يكون رجلاً في جسد امرأة، أو جسد امرأة بعقل رجل، أيّ سيكون اثنين في واحد إلى أن تنجح العمليّة، ثم يعيد الأطبّاء الكرّة، ويهبونه جسداً ذكوريّاً يسكنه حتى يأتيه الموت مرة أخرى مطالباً بإصرار بانضمامه إلى قافلة الرّحيل والعدم، وحتى ذلك الوقت عليه أن يؤمن بالمستحيل وبجسدها، وببركات روحها النّبيّة، لعلّها تهبه النّجاة من هذا الكفر الموصول.

في غضون دقيقة يأتون جميعاً، لا يعرف لهم أسماء، كلّهم هنا من أجل ميلاد هذا الإنجاز الطّبي المستحيل، به قد تكون ولادة حقبة جديدة من تاريخ البشريّة والتّقدّم الحضاريّ والإنجاز الطّبيّ، هو وحده من سيملك أن يقول نعم أو لا لتكرار هذه التّجربة له ولغيره من البشر، هو وحده من سيجيب على هذا السّؤال البشريّ المعلّق، ووحده من سيكون معلّقاً في العجز والوحدة والحرمان والغربة داخل ذاته في هذه التّجربة العجيبة التي تفوقه، ووحده من سيُسجن داخل جسدها المفصّل على قدر صفاته الجينيّة وعجزه وحرمانه وغرابة الصّدفة التي يكره أن يؤمن بها، وأن يستسلم لها.

آنت اللّحظة القدريّة الفجيعة، لا مفرّ من أن يستسلم لهم ولمباضعهم المتأهبّة للانقضاض عليهما، يغزوه غاز مخدّر عبر قناع الأوكسجين الذي يحاصر فمه وأنفه، يحاول أن يبحث عن ابتسامة تشجيع من الوجوه التي تغزو مساحة رؤيته، وحين يخفق في أن يحصل

عليها برغبة مستجدية ملسوعة، يهرب دون وعي إلى جسدها، يسترق النّظرات إليها عبر ثقوب المساحات بين الأجساد التي تحاصره، يكاد يلمح ابتسامة تخصّه تختال على شفتيها، يغزوه اطمئنان صغير دافئ، وينسرح في عالم الهلوسات والأحلام والغياب والخدر، وتغيب الأشياء.

الفصل الثاني

(البُعد الثاني: الزّمن؛ ثمّة مفاهيم جديدة ونظريات نسبيّة أخرى للزّمن عندما يتعلّق الأمر باحتلال جسدها، وأنا محتلٌّ آثمٌ)

الفصل الثاني

(البُعد الثاني: الزّمن؛ ثمّة مفاهيم جديدة ونظريات نسبيّة أخرى للزّمن عندما يتعلّق الأمر باحتلال جسدها، وأنا محتلٌّ آثمٌ)

السّاعة الآن هي الخامسة إلّا ثلثاً، لا هي الخامسة إلّا ربعاً، بالتّحديد هي الخامسة إلّا سبع عشرة دقيقة، يجب أن أكون دقيقاً، فلا مجال للخطأ في عالمنا العصريّ القائم على الدّقة والنّظام و على أعلى درجات التّنسيق والحساب والضّبط، ثانية واحدة خارج الحساب الصّحيح كفيلة بإحداث حوادث وكوارث مدمّرة، وكفيلة كذلك بإفلاس شركات عملاقة عابرة للقارات والكواكب والمجرّات في صفقة خاسرة واحدة، هكذا تعلّمنا في مدارسنا وفي جامعاتنا، وهكذا علّمنا معلّمونا الرّجال الآليون الذين حوّلوا العالم إلى دارة كهربائيّة لا تعرف التّوقف عن العمل ما دامت مغلقة، وهكذا تعلّمت أنا في عملي الخطير الحسّاس، فخطأ واحد في الحساب كفيل بتفجير مركبتي الفضائيّة أو بإخراجها عن مدارها المغناطيسيّ واللاسلكيّ لتضيع إلى الأبد في الفضاء الخارجيّ دون ُمنقذ. هذه فكرة تصافحه على عجل، ثم تصكّه، وتختفي، وتورثه الخواء واللاذاكرة.

السّاعة الآن قد أصبحت الخامسة إلّا عشر دقائق، قُرص السّاعة الدّائريّ الإلكترونيّ هو أوّل ما يصافح غباش عينيه، الصّورة تبهت وتوضح بين الفينة والأخرى، يتساءل في نفسه بمزاج كدر وعزيمة مقطوعة وكأنّه ركض دون توقّف مسافة ألف ميل في جبل شاهق زلق: يا ترى هل هي السّاعة الخامسة صباحاً أم مساء؟ يحاول أن يحرّك رأسه ليتحرّى الأمر، لكنّه يعجز عن ذلك، يدرك أنّ رأسه مثبّت بطريقة ما، ويقدّر أنّ من العبث أن يحاول تحريكه، يتساءل بغباء مداهم: من أنا؟ أين أنا؟ ما الذي يحدث معي؟

يغمض عينيه، ويسدر من جديد في صمتٍ وعماءٍ محيطٍ، مئات الصّور والذّكريات والألوان والرّوائح تجتاح لحظته، يحاول من جديد أن يفتح عينيه، يخفق في ذلك، ويتعالى في أذنيه صخب آلات كثيرة تهدر وتصفر وتتكتك وتتجشّأ وتتنفّس وتصكّ وتزفر، يدرك بذاكرة مضطربة أنّها أصوات الآلات الطّبيّة المشغّلة والسّابرة لأعضائه الحيويّة ولوظائفها الحسّاسة. يقول بتمتمة متلعثمة: آه. . . المستشفى، العمليّة، السّاعة الخامسة، لكن أين أنا؟ آه آه آه.

من جديد يلفحه الصّمت، ويتعالى في الغرفة أزيز جرس متعالٍ، يتبعه آخر بضجة خرافيّة تفزع عوالمه الكامنة في صمت رخو لا صفة له غير السّرمديّة والمستحيل، يشعر بل لا يشعر بأنّ جسده ينتفض، والكثير من وظائف جسده تختلّ باضطراب خطير، يحاول أن يفتح

عينيه، فتخذلانه، ويكتفي بسراب ظلال ينحدر في ظلام عينيه ناقلاً إليه فوضى حركة مضطربة للنّاس من حوله، ونقيق نقاشات وجدل واضطراب، بصعوبة يقول برطانة لا يفهمها إلّا هو: من أنا؟ ثم يغرق في الصّمت العاجز.

* * * *

هوّة سحيقة دون لون أو أبعاد، ومفرغة من الزّمن، تطغى عليها رائحة أدوية طبيّة مجهولة، وفيها أزيز رتيب متقطّع، يقرع سكونه بوخزٍ مستمرّ، ووجود لزج زلق، دون حركة أو فعل أو أعضاء أو ذاكرة أو زمن أو شعور، هو ما يشعر به الآن وهو ينزلق خارجه بمخاضٍ دبقٍ مفرغٍ من شعورٍ خلا ألم رهيب مداهم، وصداع عملاق وشلل صفيق تتبعه آهات طويلة متقضّبة بتقلّصات عملاقة في جسده، ضوء عميق ومستفزّ يسقط دفعة واحدة في عينيه، يفتح عين واحدة بخوف وكسل، السّاعة الإلكترونيّة الدّائريّة أوّل ما يرى، من جديد السّاعة هي الخامسة إلّا سبع عشرة دقيقة، يبتسم ابتسامة دائريّة عريضة ممطوطة حتى الأذنين، ومشمّرة عن أرنبة الأنف بحركة إراديّة غير مقصودة كابتسامة مهرج أفوه، ثم يسأل: هل هي السّاعة الخامسة صباحاً أم مساء؟

لا إجابة تتندّى من السّكون، يفتح عينه الثّانية بإصرار على فتحها، تظهر السّاعة بجلاء، يحدّق في السّقف الأجرد، دون أن

يحاول أن يحرّك رقبته، يسود صمت ألِفَ صوت الآلات الطبّية، يشعر بجهد يبلل أطرافه وجبينه ورقبته بعرق منساب، يغلق عينيه، ثم يفتحهما دفعة واحدة ليغيب السّقف، وتظلّه غمامة من الرّؤوس المتدافعة والوجوه البشريّة المبتسمة، وأخرى آليّة لا تعرف الابتسام، تداهمه أصوات آليّة بجمل محدّدة وواضحة، يحاول أن يشيح برأسه نحو بقعة ضوء، لكنّه يفشل، تأمره واحدة من الممرضات بحنان آليّ بعدم الحركة حفاظاً على صحته، ينصاع دون مبالاة لأوامرها، يربت على كتفه أقرب الموجودين من سريره وأعمقهم ابتسامة غارقة في فرح غامر ملغز، ويقول لك: مبارك عليكَ سلامتك، لقد نجوتَ، لقد نجحنا.

يغرق الجميع في صخب وتصفيق حار، تنهال عليه كلمات المباركة والتّشجيع، أمّا هو فيبحث دون جدوى عن فسحة بين الأجساد المتراصّة ليرى السّاعة من جديد.

أصبح من السّهل عليه أن يستيقظ، وأن يفتح عينيه دفعة واحدة، وأدرك بعد عدّة محاولات لقراءة السّاعة أنّها متوقّفة لا تعمل، ثم سريعاً ما استغرق في الكثير من الأسئلة المكرورة التي يلفظها بلعثمة تخنق معانيها، فتحوّلها إلى تهويمات صوتيّة، لا يفهمها من حوله، فيثور، ويغضب، وينفعل، ويشرع محاولاً بحركات التوائيّة مهزومة أن يتحرّك في فراشه، فيخفق في ذلك، وتشرع الأجراس

التّحذيريّة للآلات والمجسّات والسّوابر والرّواصد الإلكترونيّة تطلق نفيرها المؤشّر إلى اضطراب وخلل خطيرين، فيتدافع المزيد من الأطبّاء والممرضات إلى الغرفة منهين هذه المعركة غير المتكافئة والصّغيرة بحقنة مهدّئة تعيده إلى عالمه الدّبق المظلم الدّافئ المعرورق.

رغم أنّفه، ونزولاً عند رغبته الجامحة في الحصول على الإجابات، وهجر عالمه الدّبق فقد روّض نفسه على الصّبر والانصياع لكلّ أمر طبيّ يوجّه إليه مبطّناً بصيغة طلب لطيفة، لكن حازمة، وغدا بصعوبة وبمساعدة ممرضين وممرضة ملازمة له قادراً على أن يلفظ بحشرجة مزكومة يتناوب عليها الصّمت والبحّة والحبسة أسئلته الملحّة والمكرورة:

- من أنا؟
- ماذا أفعل هنا؟
- كم السّاعة الآن؟
- لماذا لا أستطيع أن أتحرّك؟
- أنا جائع.
- أنا عطشان.

كانت الإجابات مضطربة ومتجاهلة لفضوله الآسر، وتأمره بالرّاحة وعدم الحركة في البداية، لكنّها سرعان ما تحوّلت

إلى إجابات مقتضبة يتناولها بشرٍ من طبيبه ذي الأصابع الباردة، وكثيراً ما كان يكرّر الإجابات بفرح طفوليّ، وبوتيرة آليّة توحي لمن يسمعها بأنّها قد علقت في فيهِ إلى الأبد.

- أنا باسل المُهريّ.

- أنا مريض.

- السّاعة الآن هي الواحدة.

- نحن الآن في يوم الأربعاء.

- نحن في عام ٣٠١٠ ميلادي.

- أنا سأتحرّك في القريب.

يجب أن آخذ الدّواء.

* * * *

لم يعد في حاجة إلى تكرار الإجابات، فقد باتت بدهيّات في وعيه الذي بدأ يستيقظ من ضياع ونسيان محدق على دفعات مفرحة للجميع، وبات يدرك الإجابات الحاضرة وبعض الغائب منها، وما عاد في حاجة إلى أن يخبره أحدٌ بأنّه باسل المُهريّ، فهو يعرف ذلك تماماً، ويراقص في أحلامه وفي صحوة ذكرياته كلّها الجميلة والبشعة والمحايدة وعديمة الملامح، ويدرك كذلك أنّه دخل التّاريخ من أوسع أبوابه، ويعلم أنّ ضجعته هذه هي خطوة عملاقة للبشريّة جمعاء،

ويشبّه نفسه -بغرور يتقنه، وهو من صميم طبعه- برائد الفضاء المشهور نيل آرمسترونج الرّجل الأوّل الذي وطأ سطح القمر قبل أكثر من ألف وخمسمائة عام، ويتثاءب دون مبالاة مصطنعة، وهو يتخيّل مقدار فخره بعمليته النّادرة التي أشرعت الطّب البشريّ على أبواب جديدة واحتمالات عملاقة وأسئلة إنسانيّة معقّدة وخطيرة، ويحتويه حبور حار وهو يمنّي النّفس بشهرة عملاقة قد تصل به إلى سدّة أحلامه التي لا تعرف حدوداً، ويتمنّى أن تتحسّن صحته إلى الحدّ الذي يمكّنه من القيام ولو بحركة واحدة في جسده، ليستطيع أن يُلّم بكلّ تفاصيل الفوضى والإعلام الذي أصبح بطله في الآونة الأخيرة كما يؤكّد له الأطبّاء والممرضون والمساعدات وفنيو الآلات الطّبية والقائمون على خدمته وتغذيته وآخرون لا يعرف لِمَ هم موجودون في غرفته ومتمترسون دون كلل أو ملل خلف الحواجز الزّجاجيّة يراقبونه ليل نهار، ويعدّون عليه أنفاسه كلّها، فيتمنّى من كلّ قلبه أن لا يكون جسده -الذي لا يستطيع أن يراه- عارياً مشرعاً على فضول كلّ ناظر إليه.

* * * *

ستة أشهر أمضاها سادراً في عالمه الدّبق الرّتيب، وشهر أمضاه في صحوة مباغتة مثقلة بسيل جارف من الأسئلة والإجابات والاكتشافات والأدوية والفحوصات والتّمرينات والعلاجات

والتّوصيفات والأوامر، لكنّه الآن فقط أدرك معنى الغياب في المجهول لمدة ستة أشهر، إذ هذه فترة زمنيّة تكفي لتغيّر أحوال المجرة ولاختراع قنبلة هيدروجينيّة جديدة وأكثر تطوّراً من سابقاتها، وكافية للانتهاء من حرب كونيّة سابعة جديدة، ولإعادة تدمير الأرض من جديد، ولإعادة إعمارها مرة أخرى، هذه الفترة كافية كذلك لزيارة أبعد كواكب المجرّة في جولات سياحيّة لمئات المرات، وكفيلة بإحداث نقلات خرافيّة في التّقنيّة والاتّصالات، وهذا ما باتَ يدركه عندما يرى كثيراً من وسائل الاتّصال التي يتواصل عبرها الأطبّاء والممرضون، وهو لم يكن يعرفها من قبل مرضه، أو سبق أن رآها، وهو المتابع لأحدث صرعات التّكنولوجيا وثورات الاتصالات بحكم فضوله الشّخصيّ، ومقتضيات عمله العسكريّ.

أوّل حركة ليديه سرحت دون وعي منه إلى قضيبه المجيد؛ فقد اعتاد في الماضي على أن يداعبه في كلّ ليله مستغلاً عراءه في سريره الدّافئ لاسيما إن كانت زوجته غائبة في مناوباتها اللّيليّة الكثيرة في عملها في المعهد الاستراتيجيّ للأوبئة الكونيّة والكوارث الطّبيعيّة، لا يعرف لماذا تسعده هذه المداعبة التي ألفها منذ أن كان صغيراً، قرأ مرة في الماضي أنّ هذا العضو كان فعالاً في آليّات تواصل جسديّة كانت سائدة لقرون وحقب طويلة في الماضي بين الرجل والمرأة، لكنّ التقّدم الحضاريّ عمل على انقراض هذا التّواصل الذي لا يعرف بالضّبط كيفية تفاصيله أو آليّة عمله، بعدما استحدثت مراكز التّنميّة الأخلاقيّة

الإلكترونيّة وسائل تواصل جسديّة إلكترونيّة، وأدوات تناكح مخبريّة لا تعرف التّواصل الجسديّ المحض، وتكفل توفير الأجنّة عبر بنوك الأجنّة المخلّقة وفق قوائم محدّدة ومتنوّعة من الأسعار والمواصفات، ثم تضمن تنمية تلك الأجنّة في حاضنات آلية رسميّة ومراقبة حكوميّاً إلى حين خروج الأطفال من شرانقهم الهلاميّة بعد الحصول على أذونات الزّوجيّة وأذونات شراء أجنّة وأذونات الحضانة وأذونات صلاحية الحضانة وأذونات إثبات النّسب وإذونات الحصول على مربّيات آليات، وحجز أماكن لتربية الأطفال، وتوزيعهم منذ الصّغر على مدارس تتناسب مع وظائفهم التي تنتظرهم وفق صفاتهم الجينيّة المخلّقين عليها بناء على رغبة الآباء والأمهات وقدراتهم الشّرائيّة.

وفق ما قرأه في بعض المصادر القديمة شبه الممنوعة فقد كان من المفترض أن يكون هذا العضو أكبر حجماً وأكثر صلابة، لكنّه لسبب يجهله جنح إلى الانكماش والاسترسال المرن المتجعّد، لكنّه على الرّغم من ذلك ما يزال يجد متعة سريّة في نفسه في مداعبته في العماء؛ لذلك ما كادتْ يداه تتحرّران من أسرهما الطّويل ومن عيّهما المؤلم ومن شللهما الطّارئ حتى انسرحتا في رحلة سريعة لذيذة نحو عضوه لمداعبته، لكنّ مفاجأة رهيبة كانت في انتظاره، لقد اختفى العضو، تحسّس مكانه برعب وتوتّر، فتأكّد من فقدانه مخلفاً وراءه تجويفاً ناعماً غريباً له أطراف وأشفار تذكّره بالشّكل المنفّر للجزء

السّفلي من جسد زوجته الذي اقترن بذهنه بالتبوّل والتّغوّط ورائحة التّعرّق الكريهة.

بصعوبة قفز من سريره مستعرضاً عريه الغريب على ذاكرته، لم يعرف نفسه، وتذكّر دفعة واحدة وبمرارة طاغية كلّ ما حدث معه، كيف نسي تماماً قصة الجسد الأنثويّ، أنّى له أن ينسى ابتسامتها القرمزيّة الحارة المتحديّة للموت والعدم؟

الآن فهم معنى ابتسامتها، لقد هزمته وهزمتْ دولته كاملة، وبقيتْ على قيد الحياة على الرّغم من أنوف الجميع، فهي لم تُخلق للعدم، شعر بسخط على القدَر الذي تحالف بخسّة مع تلك المرأة الصّغيرة المتحدّية، وامتلأت نفسه دفعة واحدة بجحود لفضل القوّة الجبّارة المجهولة التي أنقذته، وما عاد معنياً بأيّ قوة محبّة له في السّماء أو في الأرض، فكلّ المشاعر الجّميلة والانتصارات الماجدة عاجزة عن أن تعوّضه في هذه اللّحظة عن عضوه الجّميل، أوعن جسده المديد الغضّ كأطواق اللّدائن المعالجة بالحرارة والهيدروجين.

استعرض جسده بنظرات فضوليّة مستنكرة، لم يأبه بانتصابه عارياً أمام عيون عشرات من الأطبّاء الحاضرين والممرضات وشاشات المراقبة والرّصد والتّصوير، ولا أبه باكتشافه باللّمس العميق لأعضائه، ولا خجل من تحسّسه بدهشة مفجوعة لفجوات جسده وانحناءاته ونتوءاته وبروزاته؛ فهو يعرض جسداً ليس جسده،

ويزدري أعضاء ليست أعضاءه، ويعرّي ذاتاً لا تنطوي على ذاته بـأيّ شكل من الأشكال.

هذا الجسد الأنثويّ اللّعين يتذكّره تماماً، وهذه النّدوب المحفـورة فيه تعيده إلى تفاصيل موت صاحبته، وهـو حتـى هـذه اللّحظـة غـير مهتم بمعرفة اسمها الكريه، ويعجز عـن أن يمسّـد علـى جسـده بحنـو وألفة، فهو لا يعرفه، هو حبيس ذليـل داخـل هـذا الجسـد، الـذي لا يحمل أيّ شيء مـن ذاكرتـه، ويتقـزّز مـن آثـار حروقـه وندوبـه، ولا يعجبـه ضمـوره ونحولـه ولا سمرتــه الذّهبيّـة الفاتحـة، ثـم مـا هـذا التكوّر العملاق في منطقة البطن؟ تبّاً ماذا يعني هذا التضخّم المفـاجئ في البطن؟ لم يكن هناك تضخمٌ مشابه في جسدها الملعون ليلـة كانـت مسجّاة إلى جانبه. لا بدّ من أنّ هذا التغيير هو مرض نادر أُصيب بـه، أو سرطان خبيث يتحصّن خلف خلايـاه المعلولـة وأليافـه المريضـة في جوف جسدها أو جسده، أيّ جسدهما.

شرع يضرب بطنـه بجُمـع قبضـتيه علـى أمـل أن يحـرّك بـروزه البغيض من مكانه أو يقلّص من حجمه الكبير النّاتئ بشدة من جسده النّحيل، لم يتحرّك التكوّر، فازداد غيظاً وقرعاً، وضرباً، وانقـضّ عليـه ممرضان، فأوثقاه بجمع يديهما القويتين، وثبّتاه بصـعوبة في سـريره، في حيـن شـرع كبيـر الأطبّاء المشـرف على حالته يهيـئ له حقنة مهدّئـة، وهو يصرخ دون توقّف: مـا هـذا؟ هـل هـو مـرض؟ أنـا أكـره هـذا

الجسد، أريد أن أخـرج منـه، أريـد جسـدي، لا أريـد غـير جسـدي. أعيدوا لي جسدي، اخرجوني من هذا الجسد اللّعين، اخرجوني منـه، أنا أكرهه، وأكرهها، وأكرهكم، أخرجوني منه. . . . ـه. . . ـه. . .

الفصل الثالث

(البُعد الثالث: الارتفاع؛ جسدها الصّغير النّحيل هو أقرب مسافة لنفسي نحو الألم)

الفصل الثالث

(البُعد الثالث: الارتفاع؛ جسدها الصّغير النّحيل هو أقرب مسافة لنفسي نحو الألم)

هذا هو الحمل. قال كبير الأطبّاء المعالجين له بتوتّرٍ بادٍ، وحرج مشوب بغموض لا يفهمه، اقترب باسل المُهريّ برأسه الأنثويّ الجميل قيد أُنملة من الطّبيب، وسأله بصبر نافد، وتكرار آليّ مذعور: هل هو مرض خطير؟

ردّ الطّبيب بثقة أقلقت انتظاره المشوب بالاحتمالات كلّها: هو ليس مرضاً بالمعنى الدّقيق، لكنّه حالة جسديّة طارئة لها ظروفها وشروطها ومظاهرها.

سأل باسل المُهريّ بصبر نافد: هل يمكن الشّفاء من هذه الحالة الجسديّة الطّارئة؟

تنحنح الطّبيب دون حاجة منه إلى ذلك، وقال بعد أخذ نفسٍ قصيرٍ مستدركٍ: هذه الحالة تحتاج إلى رعاية خاصة إلى حين انتهائها تلقائيّاً، وقد تحتاج إلى عملية في مرحلتها الأخيرة.

سأل باسل مشدوهاً رافضاً فكرة العمليّات من جديد، وكمّ عملاق من السّخط يملأ روحه: هل سأحتاج إلى عملية مرة

أخرى؟وما طبيعة هذه العمليّة؟ هل سأواجه من جديد التّغيير والتّبديل، لعلّكم في هذه المرة ستزرعون دماغي المجنون الذي وافقكم على هذه المهزلة الكبرى في جسد رجل آليّ، أو كائن فضائيّ مجنون، أو حيوان أرضيّ منقرض، إن كان الأمر كذلك، فأرغب بقوة في أن تزرعوا دماغي في جسد ذلك الحيوان المنقرض الذي اسمه الحمار، فأنا وفق أوصافه التي درسناها في مادة الأحياء المنقرضة والمتحوّرة أشبهه في غبائي وانقيادي لكم دون أدنى تفكير أو تروٍ أو تمهل أو حكمة.

تدخّل الطّبيب المساعد الآليّ بملامحه المعدنيّة الباردة، وقال له بنبرته الرّتيبة المتقطّعة الملفوظة بوتيرة واحدة تخلو من أيّ إحساس أو مشاعر أو انطباع شخصيّ: لن نفعل أيّاً من الأمور التي تقولها يا سيد باسل المُهريّ، وفق التّقارير التي بين أيدينا، فجسدك بالكاد يتقبّل دماغه الجديد، وأمامنا الكثير من التّحديات والعلاجات الخاصة لتكييف جسدك مع دماغه الجديد، وهي تعقيدات يطول الكلام عنها، كما يطول شرحها، لكن يكفي القول إنّك في حاجة إلى علاجات جديدة وطويلة حتى تستعيد بعض قدراتك الجسديّة مثل الحركة والنّمو والعمليات البيولوجيّة الطبّيعيّة كالتبوّل والتّبرّز والتّعرّق والكثير الكثير من التعّقيدات، حتى في حالة شفائك التّام ونجاح عمليتك مئة بالمئة، فلن نستطيع أن نعيد الكرّة من جديد؛ لنقل دماغك إلى جسد ذكوريّ مُنتقى قبل عامين على أقّل تقدير.

تدخّل مندوب المجلس القضائيّ الكونيّ الأعلى، وقال وقد وجد فرصته أخيراً للحديث: أيّها السّادة لن يكون ذلك أبداً إلّا بعد أخذ إذنٍ خاصٍ ورسميّ من المجلس، فالإذن الخاص العاجل والاستثنائيّ الذي حصلت عليه المخابرات المركزية للمجرّة بضغط خاص من جهات عسكريّة عليا من أجل إجراء عملية نقل دماغ عاجلة قد انتهتْ فعاليته، والآن بات من الواجب أن تخضع أيّ عمليّة تجريبيّة على بشر أو على أيّ حيوانات مستأنسة مستنسخة أو مهجّنة إلى رخصة خاصة وإذنٍ مفصّل، وبخلاف ذلك ستجدون أنفسكم جميعاً في ورطة عملاقةٍ قد تصل بكم إلى حدّ السّجن والغرامات الكبيرة والنّفي المؤقّت أو الدّائم خارج الكوكب، ولا أظنّ أنّ أيّ أحد منكم يرغب في أن تتأزّم أوضاعه بهذا الشّكل الرّهيب.

حاول كبير الأطبّاء أن يردّ على ملاحظة المندوب، لكنّ المساعد الآليّ سبقه بالقول: نحن الآن لسنا في صدد إجراء أيّ عمليات نقل دماغ جديدة، فما يزال السيّد باسل المُهريّ في حاجة -كم ذكرت آنفاً- إلى مراحل طويلة من العلاج والمراقبة والتّهيئة الجسديّة والفيزيائيّة والنّفسيّة، ونحن لن نخاطر بحياته، أو بنجاح عمليته بأيّ شكل من الأشكال.

قرع المندوب الطّاولة بحركة انسيابيّة من أصابع يده اليمنى، وقال برضا: إذن نحن متّفقون، هذه هي الأوراق الرّسميّة التي عليكم

أن تملؤها الآن من أجل أن أكون همزة الوصل القانونيّة بينكم وبين الحكومة والمجلس القضائيّ الكونيّ الأعلى، وهذا هو رقم قمري الصّناعيّ الخاص من أجل الاتّصال المرئي المباشر بي، أو من أجل تسجيل مكالمات في حالة غيابي.

انحنت الممرضة المرافقة له على يد الطّبيب بسرعة، وتناولت البطاقة من أجل حفظ معلوماتها في الملفّ الإلكترونيّ للعمليّة، وساد صمت متأرجح نزق في الغرفة، قطعه صوت باسل المترع بسخط محموم قائلاً: إذن سأبقى محبوساً في هذا الجسد اللّعين لسنوات بقرارٍ من الحكومة والقضاء والمخابرات؟

- ليس بالضّبط. ردّ مندوب المجلس القضائيّ الكونيّ الأعلى.
- هي مسألة وقت لا أكثر. أضاف كبير الأطبّاء.
- وأين كانت الحكومة والمجلس القضائي الكوني الأعلى والمخابرات عندما كنتُ أحارب وأقاتل من أجل أمن المجرة وسلطتها واحترامها؟ أين كانوا جميعاً وأنا أفقد جسدي جزءاً جزءاً، وأندسّ مجبراً في جسد امرأة لا أعرفها، لأصبح في مهزلة كبرى اسمها السّيدة باسل المُهريّ؟ أين أنتم جميعاً وأنا وحيد وضعيف وتائه في هذه المعركة العجيبة مع جسدي الذي ليس جسدي؟

- نحن جميعاً معكَ. قالت الممرضة بتعاطف بارد مدروس، يشبه ترديد إرشادات طبيّة، في حين تمايلت الكثير من الرّؤوس إلى الأمام ثم اتّجهت نحو الذّقون مصادقة بإيماءاتها على المساندة والمؤازرة له.

- أنا وحدي في هذه التّجربة، نعم أنا وحدي، ليس معي أيّ عون أو قوة، وحده هذا الجسد الغريب الصّغير هو رفيقي في هذه التّجربة القاسية. تمتم باسل وهو يشعر بنحيب محموم يهدّ جريان دمه.

- لذلك ستكون أنتَ وحدكَ من سيقرّر إن كانتْ هذه العمليّة ستتكرّر مع غيرك من البشر بعد نجاحها معكَ إن أوصيتَ بذلك؟ أم أنّك ستضع حدّاً لها بالإيقاف الجبريّ الدّائم، والإلغاء النّهائيّ لها في حين تثبّتَ من أنّها طريقة إنقاذ بشعة وغير مجدية، والموت خير منها. قال كبير الأطبّاء بحماس حقيقي وحزم بادٍ.

- ومن يعلم قد نستطيع حتى ذلك الوقت أنّ نحلّ معضلة الموت، وننهيه من قاموس البشريّة والوجود تماماً، نحن أحرزنا تقدّماً كبيراً في هذا الشّأن، قبل أسابيع فقط استطعنا أنّ نردّ الحياة لكائن تجارب لمدة ساعة من الزّمن بعد موته بساعتين، صدّقني يا سيد باسل سيأتي اليوم الذي يصبح فيه الموت مجرد حدث منقرض لا وجود له، وعندها ستنتهي الآلام والأحزان والمكابدات المتعلّقة

به، سيعرف البشر والآليّون معنى الخلود الدّائم والحياة السّرمديّة التي لا تعرف نهاية، سيتاح لنا حينها أن نعمر الكثير من الكواكب بعدد سكاننا الكبير، وسيعرف الكون حضارة بشريّة عملاقة لم تخطر يوماً في خيال حالم، القادم الأجمل آتٍ، صدّقنا القادم هو الأجمل؛ لذلك عليكَ أن تتعاون معنا، وأن تساعد نفسك بالقدر الذي تستطيعه، أنتَ لستَ وحيداً، البشريّة جمعاء تتطلّع إليكَ بتقدير ودعم، اخرج إلى الشّارع، وواجه جموع المحتشدين الغفيرة التي تحاصر المستشفى ليل نهار مقدّمة لكَ الدّعم كلّه، وهي فخورة بموقفك وتجربتك الاستثنائيّة. بصراحة عليكَ أن تكون ممتناً وفخوراً بهذه الفرصة الوحيدة والفريدة من نوعها في تاريخ البشريّة التي تتاح لك دون غيرك، وتعد بتسجيل اسمكَ في أسفار الخالدين والأبطال. قال الطّبيب المساعد الآليّ.

تحمّس مندوب المجلس القضائيّ الكونيّ الأعلى، وهو يسمع هذا الكلام، وقال وهو يمدّ يده إلى باسل بوثيقة إلكترونيّة ممغنطة ومصورّة ومضغوطة: نعم أنت بطل كونيّ، جميعنا فخورون بكَ.

سأل باسل، وهو يطالع الوثيقة، فتقفز إلى عينيه صورتها، هاهي بشعرها الطّويل الأسود المخالف لنظام المجرة القاضي بقصّ الشّعر إلى ما قبل الكتفين، لا بدّ أنّها كانت تدفع الكثير من الغرامات لقاء الاحتفاظ بهذا الشّعر الأسود الطّويل المنسرح بتحدٍ والمندلق على

ظهرها وعلى كتفيها بجمال لم يعهد مثله، لأوّل مرّة يراها بنكهة الحياة، عيناها جميلتان غارقتان في خضرة نهريّة عجيبة، وتلك الابتسامة القرمزيّة الجميلة تعلو شفتيها هي ذات الابتسامة التي يحفظها من تلك الليّلة الرّهيبة.

أزاح نظره عن صورتها بعصبيّة نزقة مصنوعة بصعوبة، وسأل المندوب قائلاً: ما هذه؟

- هذا أرشيفكَ الكونيّ الجديد، وهذه وثيقتكَ الرّسمية الجديدة، أنتَ منذ الآن باسل المُهريّ يُبعث من جديد في جسد آخر.

سأل بحزن مداهم لا يعرف له معنى: وماذا عنها؟

- هي ماتتْ، وانتهى أمرها، وأُقفل ملفّها إلى الأبد، أنتَ وحدك الباقي الآن. أجاب المندوب بتقريريّة عالية تحمل نكهة الأمر الخفيّ.
- أليس هذا الشّكل الأنثويّ متناقضاً مع اسمي وعملي وحياتي بل وذاكرتي؟
- الأمور كلّها ستحلّ في حينها، الحلول كلّها مؤقّتة الآن، وفيما بعد سوف نرتّب لكَ جسداً ذكوريّاً خاصّاً بكَ بشكل قانونيّ، لا تقلق، الأمور كلّها تحت السّيطرة، وتسير لصالحكَ، ولصالحنا جميعاً، وحكومة المجرّة لا تنسى جنودها البررة الصّالحين.

- وأنا؟

- لم أفهم، عمّ تسأل بالضّبط؟

لم يجب باسل، وغرق في ضياع سحيق في روحه، كاد يمسّد بحركة لا إراديّة على مرضه الحمل، لكنّه استدرك على نفسه في اللّحظة الأخيرة، فاكتفى بأن غرز ناظريه بتفرّس مشوب بالاستسلام في بطنه المنتفخ، وانزلق بغير تدريج إلى قدميه الصّغيرتين، كم هما صغيرتان ونحيلتان وهما تشفّان عن عروق صغيرة متوارية تحت جلد رقيق ناعم! تساءل في نفسه: يا ترى كم هو مقاس حذائي الآن؟

من جديد كرّر المندوب سؤاله العالق في المكان، وقال: عفواً سيّد باسل، لم أفهم سؤالك بالضّبط، من واجبي أن أردّ على أيّ استفسار لك أيّاً كان.

ابتسم باسل بميكانيكيّة متقنة، واجتاحته رغبة ملعونة في أن يلكم المندوب ليكسّر له أسنانه اللامعة وفكه المستطيل، ليخلّصه من ذلك التقعّر الجميل المصنوع ببراعة في وسط ذقنه، لكنّه قدّر أنّ هذا الجسد الصّغير النّحيل بهذا المرض الحمل المتكوّر بخبث مستفزّ لن يهبه القوّة واللّكمة المناسبة، ولاسيما أنّه سجين في قامة قصيرة لا تبلغ طول قامة المندوب، ولا تتسلّق في العلياء كما كان جسده الماضي الذي يبزّ الطّوال طولاً، والأقوياء شموخاً وامتداداً.

من جديد عاد مسوقاً إلى أسئلة لا يعرف لها ضرورة أو هدفاً أو غاية، اتّسعت ابتسامته مساحة وسخطاً، وبحركة شبة انفعاليّة داعب شعره الممتدّ حتى أذنيه، فألفاه ناعماً أكثر مما يجب، ومنزلقاً دون رقبته بحنان دبق خجول، لا بدّ من أنّهم حلقوا شَعْرها عندما كانت في المعتقل، ليلة قابلها جسداً مسجىً كانت دون شعر، كانت صلعاء مقيتة السّحنة، لا بدّ أنّهم عذّبوها بحرمانها حتى من شَعْرها الذي يبدو أنّها كانت تحبّه، وتقايضه بدفع غرامات كثيرة، لتبدو به امرأةً مختلفةً خارجةً بسلام على قوانين حكومة المجرّة التي تتكاثف جميعاً وبإصرار على توحيد الشّكل الخارجيّ للجميع من حيث الأوزان المسموح بها وطول الشّعر وموضات الملابس وتقنين حدود الاختلاف، فالإنسان الكونيّ المعاصر عامل منتظم وفق جدول إلكترونيّ مرسوم له منذ أن كان مجرد جينات مختارة بدقّة وفق منظومة كروموسومات في بويضة مخصّبة؛ لذلك فلا مجال في هذا العالم الجديد للفرديّة المزعجة والذّاتيّة المغرقة في أسئلة تعطّل ركب العمل والإنجاز والانتظام والخطط الكونيّة القادمة، ومن يفكّر في الخروج عن هذا النسّق سيكون مصيره –دون شكّ– مصيرها هي.

كرّر من جديد مداعبته لشعره الذي نما خلال غيبوبته الطّويلة، أحسّ بألفة جامحةٍ نحوه، أدار في المكان نظرة غير آبه بمن حوله، ضارباً صفحاً عن نظرات المندوب التي تطالبه بسؤال ولو كان مكروراً كي يهبه بسخاء إجابات مدروسة واجبة العمل بمقتضاها، تجاهله دون

اكتراث، فهو يعلم أنّه لن يملك أن يجيبه عن سؤال: ماذا عنّي أنا؟ فالمجهول وحده يعلم ماذا عنه هو؟ أو عن بعضه.

تكاد الأمور تكون مختلطة تماماً في نفسه، فهو لا يعلم إن كان هو هي، أم هي هو، أم كلاهما هما، أم كلاهما ليسا هما، يحتاج الأمر إلى طول تفكير وتدبّر وتنظيم ليعدّ سؤالاً يتقن اللّعب على ضميري هو وهي، ويجيد التّفريق بينهما، فهو ما عاد قادراً على ذلك بأيّ شكل من الأشكال.

يطالع باسل وجه كبير الأطبّاء، يكاد يتنزّى من بين شفتيه سؤال يقول: متى بالتّحديد سأشفى من مرض الحمل؟ لكنّه يمتصّ سؤاله بقلق لا يفهمه، وعزيمة غير قادرة على انتظار أيّ إجابات أو وعود، فيتلاشى السّؤال، وتضيع حروفه وأصواته، ويبتلعه من جديد، يشيح برأسه نحو الممرضة ذات الابتسامة الوظيفيّة المتقنة، ويقول لها بنبرة يخفق في أن تكون آمرة، بل تخلص بقوة للتّوسّل والتمنّي: أريد مرآة، أريد أن أرى كيف يبدو وجهي الجديد.

الفصل الرّابع

(البُعد الرّابع: العرض، لا تتجاوز مساحة الكون عرض أحزاني)

الفصل الرّابع

(البُعد الرّابع: العرض، لا تتجاوز مساحة الكون عرض أحزاني)

لم أعد أراني، فقط هي الحاضرة في هذا العدم الممتلئ، هي من تسكن مجال الرّؤية والحقيقة والوجود، هي من تعترف بها قوانين الطّبيعة والوجود والفيزياء كلّها، هي من تكرّس بحضورها غيابي، وهي من يكرّس حضوري حضورها، ولا شيء غير حضورها الذي يصفع ضعفي ووحدتي وحضوري الغائب المشظّى، أستطيع أن أدّعي أنّها ميّتة، الأوراق الرّسميّة والحكومة والمخابرات والأطبّاء والصّحافة وذاكرة الموت جميعهم يقولون ذلك بصراحة، لكنّني وحدي أعلم أنّها موجودة، وأنّني الغائب الحق، هي الكأس، وأنا المدام المراق، وما قيمة مدام مهدور أمام حقيقة وجود الكأس؟

في حضرة جسدها أشعر بكامل الغربة والتّطفّل؛ لذلك اعتدتُ منذ أسابيع على أن أجلس في الظّلام كي لا أراه، ولا يراني، فقد بتّ أكره طقوس الاستئذان التي ألزم نفسي بها تجاهه، أخجل كلّما حمّمته، انزعج عندما أعرّيه لحاجة أو علاج، أعاند طاقته دون رحمة قبل أن أستسلم له، فأحكّه في منطقة فرج أو ثدي أو فخذ، أو أكشف

عورتـه مـن أجـل تبـرّز أو تبـوّل، وعندما يُخرج ريحاً –رغماً عـنيّ– أبالغ بالتّقزّز منه، وأمنّي النّفس وأعلّلها بأن أغادره في يوم قريب.

هو متسع لي، لكنّني على الرّغم من ذلك أشعر بأنّه ضيق علـيّ حدّ الاختناق، وكثيراً ما يخون حركاتي، فهو أضعف من ذاكرة القدرة عندي، أقصر من جسدي السّابق، ألحف منه، أضعف منه، لا يملك أيّاً من مرونته أو قوة عضلاته أو حِرَفيّة حركاته، ناهيك عن رقّـة جلـده، وتراخي بعض عضلاته، وهذه البروزات المقـزّزة في الثّـديين والـبطن هـي محركـات دائمـة لبؤسـي، عنـدما أنظـر مباشـرة بنظـرة عاموديّـة منحدرة من العينين إلى أسفل فالأنف فالذّقن تحجـب هضـبتا الثّـديين وجبل البطن رؤية تجويف مابين الفخذين والأقدام، بل تحجبان رؤيـة موطئ قدمي، فأصاب بكآبة حقيقيّة، هذا أمر مقرف.

تخلّيت تماماً بفعل المرض والتّحذيرات الطّبيّة وجسدي المسـروق عن رياضاتي الأثيرة كلّها وحركاتي ذات العنفوان الذّكوريّ المـدجّج بقوة البنية ومـراس التّـدريب العسـكريّ الطّويـل والمنـتظم. أنـا الآن باختصار جسدها، ولاشيء غير ذلك، ولأنّني جسدها بتُّ أتـوارى في الظّلام لأمارس عادة التخيّل والاسترجاع والعودة إلى الزّمن المسروق حيث كنتُ رجلاً حقيقيّاً، أمّا الآن فأنا جسدها، والمُعذّب رغـم أنفهـا وأنفي بمرضها الحمل السّخيف، لم تتـح لـي بعـد فرصـة دراسـة هـذا المرض، والقراءة حول تاريخه وأسبابه وعلاجاته، أنا أثق الآن مرغمـاً

في أطبائي، وأسلمهم أمر علاج هذا المرض، والحقيقة هي أنّ تكالب الأمراض والعلل عليّ جعلتني ضعيفاً في حق نفسي في الدّفاع عنها إزاء هذا المرض، وليس كذباً أو مبالغة أو شططاً إن قلت إنّني أجد متعة غريبة في نفسي في الاحتفاظ بأكبر عدد من العلل والمشاكل الصّحيّة والتّوعكات انتقاماً منها ومن جسدها، ومن شيء آخر لا أعرف له اسماً، لعلّي أريد أن أنتقم بشكل سرّي من هذه التّجربة السّخيفة التي حولّتني إلى شبه إنسان، وشبه جسد، وشبه عقل، وشبه حالة، قد يكون من الأجدر أن أُحسن الانتقام من جلاديّ الأطبّاء والمخابرات والمجلس القضائي الكونيّ الأعلى والمهتميّن والإعلاميين وكلّ من لا أعرف ولا يعرفني من بشر فضلاً عن الذين أعرفهم أجمعين، فأنتحر، وأحبط لهم مخطّطاتهم جميعها، وأهزم للأبد هذه التّجربة المؤلمة المهزلة، هذه فكرة جريئة واقتراح موغل في الشّجاعة، لكن من قال إنّني أملك الشّجاعة العمليّة الكاملة لأنفّذ هذا الانتحار؟ ما زالتْ نفسي تتمرّد على تمردّي، وتهزأ من نوبات كبريائي وألمي وندمي، وتدير لي ظهرها، وتطير بخفة وزهو نحو شمس يوم جديد، ما تزال آمال النّفس تكبر باطّراد وصمت وانتظار المجهول مثل هذا المرض العجيب الذي يكبر يوماً بعد يوم كجرم سماويّ متوحّش، فيدفع بطني إلى الأمام، خارجاً على رفضي له، ومعتدّاً بنشاطه وحركته.

وحده جسدها هو مَنْ استطاع أن يهزمني، ووحده مَنْ استطعتُ أن أذلّه، بل أن أكرّس له كلّ وقتي وجهدي من أجل أن أهزمه، منذ أيام لم أحمّمه، رائحة أنثويّة طاغية تشتمله، منذ أيام وعندي دفق من سائل أبيض لزج يتنزّى منه مرافقاً لألم وتشنّجات في البطن والظّهر، فأهمله، ولا أحدّث الأطبّاء عنه؛ كي أعذّبه بقوة، لم ير الشّمس منذ أيام، وقليل من الطّعام والشّراب كان نصيبه، فضعف المراقبة الطّبية عليّ جعلني أتفرّغ تماماً لقهره ولإذلاله وللتجبّر على هزيمته المزعومة أمامي، الشّعر الجّميل اللّزج يعاني من تشابكات مريرة من قلة تمشيطه وتسريحه، والفخذان وجلد ما تحت الثّديين يعانيان من تقرحّات شديدة ومؤلمة من طول الاحتكاك وملوحة التّعرّق، وأنا لا أبالي به على الرّغم من ألمه الرّهيب الذي يضرب في رأسي، ويلكز أعصابي كلّها دون رحمة، لكنّني لن أستسلم له، سأعذّبه حتى يستسلم لي، وأنتصر عليه، فأعرف على مهل جارح ما هي مظاهر استسلامه، وما هي مطالبي للنّصر، لكنّني مصمّم على موقفي، وهذا قراري المصيريّ الذي لن أتراجع عنه أبداً.

جسدها لي، وأنا مَنْ له أن يمسك بخيوط اللّعبة كلّها في هذه اللّحظة، ولن أخسر مهما كلّف الأمر، هذا الجسد بات لي، ولم يعد لها، قريباً سأطردها حتى من جسدها، سأجري عمليات تجميل، لأحوّل هذا الجسد الأنثويّ إلى آخر يضجّ بالرّجولة، سأخضع لعملية إزالة لورم الحمل، وسأحلق شعر رأسها من جديد، فأنا أكره شعرها

الجّميل؛ لأنّها تحبّه، وإن تأكّدت بطريقة ما من أنّها لا تحبّه، فسوف أربّيه مديداً نكاية بها ولو كبّدني ذلكَ دفع غرامة ماليّة لحكومة المجرّة، وفي اللّحظة المناسبة سأهجر هذا الجسد، وأرحل إلى جسد آخر، وأهبه للخراب والموت الذي كان قدره حتى ظهرت في حياته، نعم سأنتصر عليها بها، سأكسرها فيّ، لن أفكر فيها أبداً، حتى اسمها لن أحاول أن أعرفه، لا أريد أن أعرف عنها أيّ شيء، ومن يحتاج إلى معرفة ذلك، مهمتي الآن هي استرجاع باسل المُهريّ، ولاشيء غيره، ولتذهب ابتسامتها الورديّة إلى الجحيم الكونيّ، ولتغرق المحيطات جميعاً -دون رحمة- خضرة عينيها المائيتين، أريدها أن تكون نورساً مكسور الجناحين، قدره أن تنهشه أمواج البحر، وأن تسحقه لعبة المدّ والجزر، فيصبح منارة مهجورة متأبّدة لا يقصدها ضالٌ في أيّ حال.

الفصل الخامس

(البُعد الخامس: بالحبّ وحده
تتغيّر حقائق الأشياء وقوانين الطّبيعة)

الفصل الخامس

(البُعد الخامس: بالحبّ وحده تتغيّر به حقائق الأشياء وقوانين الطّبيعة)

الآن بتُّ حبيس الأشياء كلّها، فلماذا عليّ أن أحقد على جسدها دون الأشياء الأخرى اللّعينة واللّئيمة دون ذنب اقترفته أو حدّثت نفسي باقترافه؟ أأحقد على جسدها لأنّه الأضعف؟ أم لأنّه الأجمل؟ أو ربما لأنّه الأكثر حناناً عليّ ورفقاً بسخطي الطّفوليّ المتعاظم على فقده، جسدها يكرّس معنى الفقد في روحي، وكلّ ما حولي يكرّس معاني الخواء كلّها في ذاتي.

الآن أنا حبيس إجازة إجباريّة وطويلة من العمل بسبب ظروفي الطّارئة والاستثنائيّة وحبيس لائحة عملاقة من الإرشادات الطّبيّة والأدوية والجلسات العلاجيّة والمراجعات الدّوريّة الملحّة، وأسير أحلام موقوفة عن التّحقّق، ومعلّق في رفض زوجتي وأبنائي لي بسحنتي الجديدة ورفضي لهم، ومخلوع عن الدّنيا والخلق والآلات أجمعين، وجسدها الوحيد هو من يخلص لي في هذه اللّحظات، لم أعد أملك غيره لأكونني، وعليّ أن أقتلها فيه من جديد لأظفر بالحياة الحقيقيّة مرة أخرى، عليّ أن أحاصر شبحها فيه، عليّ أن أقرأ عليها تعاويذ الجاهلين والمنقرضين من السّحرة والمشعوذين والمجاديب

والدّراويش والصّوفيين والصّالحين والمؤمنين الغابرين في الأزمان السّحيقة كي تخرج من جسدنا، فيخلو لي دونها، سلكتُ الطّرق كلّها في سبيل ذلك دون فائدة، واكتشفت أنّ أفضل طريقة للهروب منها هو الهروب إليها، ولو لبعض الزّمن، وقررتُ أن أهادنها حتى أستطيع أن أصالحها ثم أفاوضها بدهاء ولؤم؛ لأخلعها من جسدها في نهاية المطاف، وكي أعرفني عليّ أن أعرفها تماماً.

عندي عشرات الطّرق كي أعرف أيّ النّساء هي، كان من الممكن أن أسلك هذه الطّرق كلّها، ولاسيما بعد أن تحسّنت صّحتي، وأصبحتْ إقامتي في المستشفى إقامة اضطراريّة من جهتي في ضوء لفظ عالمي لي، وتصميمي على أن لا أفرض نفسي على أحد، ولو كان هذا الأحد هو زوجتي وأبنائي وأصدقائي في العمل ومساعديّ وزملائي من رجال آليين.

سلكتُ نحوها الكثير من الطّرق السّريعة والمختصرة عبر استغلال التّكنولوجيا المتقدّمة، وما كان هذا بالأمر الصّعب، فقد اكتشفتُ أنّها أكثر شهرة من جهلي بها، وأنّ الوصول إلى معلومات عنها هو أسهل من معرفة طريق إحدى المحطات الأرضيّة عبر جهاز الحاسوب الشّخصيّ عبر المركبة الفضائيّة الشّخصيّة، أو ساعة الزّمن أو منبهات الخرائط الإلكترونيّة العامة للأرض ولمسالك الفضاء، وعلمت أنّ لها مريدين وأتباعاً وقرّاء ومشجعين، وعلمت أنّ الدنيا

قامت ولم تقعد على إثر قتلها في المعتقل، وأنّ الحكومة واجهت حروباً شعواء من المعارضة على أثر ذلك، وأنّ قضيّة اختفاء جسدها بعد إعلان خبر موتها، وعدم تسليمه لحزبها من قبل الحكومة ما يزال يشكّل أزمة ثقة متجدّدة مع الرّأي العام، ومادة غنية لهجوم الإعلام على الحكومة، ومثالاً واضحاً للتشّكيك بنزاهتها وديمقراطيتها والتزامها بالقانون وبحقوق المواطن، ومطيّة لكثير من أصحاب الأغراض المتعدّدة كي يرفعوا قضايا عامّة ضدّ الدّولة مطالبين لشتّى الأسباب بفتح تحقيق في ملابسات اعتقالها وتعذيبها وقتلها، ومن ثم اختفاء جثتها.

هذا الصّخب والتّطاحن كلّه قد حدث وأنا غارق في غيبوبة طويلة في المستشفى مع مرض خبيث ينمو في بطني آمناً حرّاً طليقاً بأسري، لي الآن أن أسعد؛ لأنّني الرّابح الوحيد في هذه المعارك المتوالدة كلّها على الرّغم من حرائقي جميعها؛ فأنا دون غيري مَنْ كسب رهان الحياة من العدم والموت، وأنا من آل إليه جسدها وحملها اللّعين وألغازها المعلّقة كلّها، وأنا من عليّه أن يعضّ على هذا السّر بإصرار وحذر، فهو يوازي حياتي، بل هو حياتي بكلّ ما تعني الكلمة، ليسعى الجميع في البحث عنها لشتّى الأسباب، ولأسْعَ في البحث عنها؛ لأجد نفسي أو بعضَها.

المخابرات المركزيّة للمجرّة هي المصدر الأصعب للحصول على المعلومات عن صاحبة جسدي، ولولا العلاقات القديمة وظلال بعض المصالح المشتركة والكثير من الفضائح والتّجاوزات المسكوت عنها بشروط ووجود الكثير من الإدارات البشريّة الفاسدة في إزاء إدارات آليّة صعبة المراس و صعبة الانقياد للانحراف، ومن شبه المستحيل زحزحتها عن مواقفها وقراراتها، لما كنتُ حصلتُ على الكثير من المعلومات الحزبيّة والسياسيّة والفكريّة عنها، لكنّها كانت جميعاً معلومات شبه معروفة لي عبر بحثي القريب والموسّع عنها، خلا بعض التّفاصيل الفرعيّة التي ما كانت لتعينني بشكل جاد في بحثي عنها.

الحقّ أنّني لا أدرك ماذا أريد أن أعرف عنها بالضّبط، فأنا قد بتُّ أعرف عنها كلّ شيء تقريباً، لكنّني ما أزال أشعر بأنّني لا أعرفها، عليّ أن أحدّد بدقّة ماذا أريد أن أعرف عنها، لعلّي سأجد ما يجب أن أجد لأعرف ماذا أريد منها أو عنها في هذه الحزمة الضّوئية المكتوبة، وهي الباقي الوحيد منها في ملفّها في المخابرات إلى جانب بعض المعلومات التي لا تعنيني عنها.

كان من الصّعب الحصول على هذه الحزمة الضّوئيّة المكتوبة التي قيل لي إنّها آخر ما كتبتْ، لكن بفضل موتها وتحوّلها إلى نسي منسيّ، لا قلق أو شرّ يأتي منه على الرّغم من الفوضى الإعلاميّة

التي رافقت وما تزال قضيّة اعتقالها وتعذيبها وعدم احتوائها علي أيّ معلومات خطيرة في نظر المخابرات والحكومة، و بفضل إصراري العجيب على الحصول عليها وتأكيدي بضمانات مصدّقة على أنّني سأعيد الحزمة إلى الملف في حين انتهائي من قراءتها وصداقتي الشّخصية مع آمر الوثائق الإلكترونيّة في المخابرات أو لنقل حساسيّة موقفه معي؛ بسبب مصالح له معلّقة بي، فقد حصلتُ على الحزمة الضّوئيّة أخيراً، وللهف نفسي ضممتها إلى جسدي وأنا أقبض عليها في جيب معطفي الخريفيّ، وأشدّها باتجاه فخذي، وكأنّني أخشى أن أخسرها بعد أن حصلت عليها بشقّ الأنفس، وهي دربي الأخير المحتمل إليها وإليّ، تنفّستُ الصّعداء، وأخذت نفساً خريفيّاً عميقاً، وانسربتُ نحو البعيد لا ألوي على شيء خلفي.

* * * *

تناولتُ عشائي الذي كان في انتظاري على عجل، أخذتُ حماماً بارداً في جوّ باتَ يحتاج إلى حمام دافئ، لبستُ ملابسي اللّيليّة بعد أن علّقتُ بنطالي وقميصي ومعطفي على المشجب الأبيض القصير، فلا أزالُ ألبس ملابس الرّجال، وأنا بجسم امرأة إكراماً للماضي ونكاية بالحاضر وتماشياً مع وقعي النّفسي الدّاخلي ومحاكاة لعاداتي الطّبيعيّة، فأبدو للرّائي لي على عجل أو من بعيد-في كثير من الأحيان- صبيّاً لم تغادره ملامح الطّفولة يحاول أن يدسّ نفسه في

صفوف البالغين، أو رجلاً نحيلاً متصابياً، أو امرأة مسترجلة في أسوأ التّخمينات، وإنْ كنتُ أساساً لا أملك موقفاً معادياً أو متحفّظاً من قضيّة التّخنيث أو الجنس الثالث الذين ينتشرون بكثرة في المجرّة، وحاصلون على كامل حقوقهم المدنيّة والإنسانيّة والاعتباريّة؛ فهم يمثلون تطوّراً جندريّاً معلّلاً ومقبولاً، ما دام لا يتعارض مع المصالح الكبرى لحكومة المجرّة، ولا يمسّ خطوطها الحمراء، ولا يصطدم بآليات التّكاثر والازدياد والاقتران الرّسميّة والقانونيّة وإعادة توزيع الملكيات والمواريث والثّروات.

جلستُ في سريري المفعم ببياض باهت، تربّعتُ بصعوبة في نصفه، وبطني يتدلّى في حضني، فيدفن أعلى فخذيّ في كثير من الأحيان، تنهّدت بعمق منتظراً الخلاص القريب منه، قبل أن يتمّ شهره الثّامن، فقد صارحني الأطبّاء أخيراً بحقيقة مرضي، وأخبروني متأخّرين بالحقيقة، وهم لا يدرون أنّني اكتشفتها قبلهم بمساعدة صديقي الآليّ الذي بحث لي دون توقّف حتى كاد شحنه ينفد في الشّارع العموميّ الضّوئيّ السّريع في المكتبات الإلكترونيّة، والمتحف الكونيّ المتحرّك والقوائم التّراثيّة الممغنطة والحزم المعلوماتيّة السّريّة والمنتديات التّراثيّة الإشعاعيّة عن حقيقة هذا المرض الذي كنتُ أخاله خطيراً، ليفضح لي حقيقته، ويكتشف أنّه حالة منقرضة للشّكل التّقليديّ السّائد في الألفيات الماضية للتّناسل عند البشر.

كـم كـان النّـاس حمقـى ومغفلـين بركـونهم إلى هـذه الطّريقـة السّخيفة والمقرفة للمتعة وللتّواصل طـوال آلاف السّـنين! فـاتهم أن يعرفوا معنى المتعة المضغوطة في أقراص انفعاليّة تُستخدم وفق برنامج مقنّن للإشباع الجنسيّ تحدّده مؤسّسات العمل لموظفيها اعتمـاداً علـى لحظات أوجهم ومناسـيب أمـزجتهم وعطلـهم الرّسميّـة، وفـاتهم أن يحصـلوا علـى أبنـاء معـدّلين وراثيـاً وفـق أدقّ طلبـات الـزّوجين ورغبـاتهم، وفـاتهم كـذلك أن يـذوقوا معنـى التّـآلف الإلكترونـيّ والزّواج الآليّ الذي لا يكون إلّا بعد تقديم طلبات خاصّـة في نمـاذج رسميّة، إذ تتكفّـل الحكومـة بتـوفير الشّـركاء المناسـبين للـرّاغبين في الزّواج اعتماداً على رؤيتها في هذا الصّدد مع الأخذ ما أمكـن برغبـة المتقدّمين بطلبـات الـزّواج، لتحـدّد لهـم بشـكل إجبـاريّ شـركاءهم المستقبليين ومواعيد الزّواج الرّسميّـة وعنـاوين شـققهم الـتي تُوهـب للمتزوجين الجدد بإيجار مقتطـع مـن الرّاتـب بشـكل دوريّ، وتكـون غالباً في أماكن جديدة تُستأنس كي تُؤهل أو على طريـق المواصـلات الأثيريّة فيّ السّماء، أو في بعض الكواكب المأهولة حـديثاً بالسّـكان في أسوأ الحالات.

على كلّ حال المشكلة في مراحلها الأخيرة، في القريب سُـتجرى له عملية إجهاض، وسيتخلّص من هذا الجـنين الكريـه الـذي يسـكن أحشـاءه بموافقـة أمنيـة خاصـة وشـبه عاجلـة مـن المجلـس الأعلـى للمخابرات و المجلس القضائيّ الكونيّ الأعلى وإدارة الأبحاث الطّبيّـة

ومنظّمة الأطبّاء الرّواد التي أجرت عملية نقل دماغه إلى جسدها، لكن سيكون عليه حينها أن يدفع مخالفة ماليّة عملاقة قد تنسف ثلث تقاعده وربع تعويضه الماليّ عن إصابته في أثناء تأديته لمهام عمله للدّولة نظير قيامه بمخالفة خطيرة لقوانين المتعة والزّواج والإنجاب كلّها في الدّولة، وسيكون عليه في الوقت نفسه أن يخضع لجلسات قضائية معقدّة حتى يشرح للمجلس القضائيّ الكونيّ الأعلى بمساندة الأوراق الرّسميّة التي يملكها وشهادة أطبائه كيفيّة تورّطه في هذا الحمل الغريب وفي هذه المخالفة الشّائنة، لا بدّ من أنّ تلك الشّقية المسمّاة بالنّبيّة كانت مولعة بالمخالفات والسّلوكيّات الغريبة والأفعال الاستفزازيّة، وهاهي تورّطه في مخالفاتها حتى وهي متوارية في العدم.

يشعر بجنينه يرفسه أسفل خاصرته اليمنى، يضحك متوعداً إيّاه بعقاب شديد، وهو من بات يعرف معنى هذا الرّفس والقرع واللّكز، كان يظنّه في الماضي عوارض مرافقة لمرضه الحمل، أمّا الآن فيعرف أنّه حركة طبيعيّة لجنينه الذّكر في أحشائه، الأطبّاء أخبروه بجنس جنينه، وإن كان سيقدّر أنّه ذكر ولو لم يعلموه بذلك؛ لصلابة ركلاته ولإصراره العنيد على رفسه كيفما اتفق، وهو الوارث الطّبيعيّ -على ما يبدو- لكلّ عناد أمه وإصرارها، أتراه ورث صعوبة المراس من والده أيضاً؟ أراهنُ على أن لا أحداً يعرف الإجابة، فقد يكون والده مجهولاً في غياهب الأرقام، ولا يتجاوز أن يكون متبرعاً بمنيّ لبنك التّخصيب الكونيّ مقابل راتب ثابت وحوافز إضافيّة لصعوبة العمل

وخصوصيته، لعلّها لا تعرف من يكون والد جنينها، وقد لا يجديها نفعاً أن تعرف؛ فكلّ ما يغريها -على ما يبدو- هو التّمرّد والعصيان وتثوير المواطنين ودفع الغرامات، هذا هو ملخّص ما قرأتُه عن شخصيتها، وتركيبتها النّفسيّة من ملفّها في المخابرات المركزيّة للمجرّة، لقد صاغ هذا التّحليل النّفسيّ والتّصوّر الذّهنيّ والسّيكولوجيّ عنها كبار أطباء علم النّفس المجنّدين في المخابرات والمشرفين مباشرة على حالتها طوال فترة اعتقالها.

يسبّها بصوت منخفض، فتأتيه -من جديد- رفسة شديدة من جنينه الشّقي في المكان الأوّل ذاته، يقهقه ضاحكاً؛ إذ يخمّن أنّ جنينه غاضب منه؛ فهو على ما يبدو لا يتحمّل أن يسبّ أحدهم أمّه مهما كانت الأسباب.

يمدّ رجليه ليتيح مساحة أكبر لبطنه للتّمدّد، ولجنينه بالسّباحة في رحمه بعيداً عن خاصرته التي أوهاها لكزاً ورفساً، وربما يعضّها بعد قليل إن استمرّ الحال على ما هو عليه الآن.

يعدّل ضجعته بوسائد إضافية، ويضرب صفحاً عن منظر ثدييه المتضخّمين باطّراد منذ أسابيع، يدرك الآن علاقة هذا التّضخم بالحمل وبسلوك هرمونات الجسد في حالة الحمل، يتأفّف متوعّداً الثّديين بالاستئصال في القريب في عملية تعديل جنس مُتفَق عليها مع الأطبّاء، يأخذ شهيقاً طويلاً مثل من يستعد للغوص في بحيرة

أسطوريّة تسكنها مخلوقات متوحّشة، ويفتح الحزمة الضّوئيّة المكتوبة بعد أن يدخل الرّقم السّريّ لها شاكراً ذاكرته التي لم تخنه في حفظ الرّقم السّريّ الذي أخذه على عجل من آمر الوثائق الإلكترونيّة في المخابرات.

يقرأ بنفس عميق في الصّفحة الأولى على عجالة، لم تكتب فيها إلّا فقرة واحدة تقول:

"وحدهم أصحاب القلوب العاشقة من يدركون حقيقة وجود بُعد خامس ينتظم هذا الكون العملاق، أنا لستُ ضدّ أبعاد الطّول والعرض والارتفاع والزّمان، ولستُ معنية بتفكيك نظرية أينشتاين التي يدركها، ويفهمها جيداً حتى أكثر الطلبة تواضعاً في الذّكاء والاجتهاد في أيّ مدرسة من مدارس هذا الكوكب الصّغير، لكنّني أعلم علم اليقين والمؤمنين والعالمين والعارفين والدارين وورثة المتصوّفة والعشّاق المنقرضين منذ آلاف السّنين أنّ الحبّ هو البُعد الخامس الأهم في تشكيل معالم وجودنا، وحده الحبّ هو الكفيل بإحياء هذا الموات، وبعث الجمال في هذا الخراب الإلكترونيّ البشع، وحده القادر على خلق عالم جديد يعرف معنى نبض قلب، وفلسفة انعتاق لحظة، أنا كافرة بالأبعاد كلّها خلا هذا البعد الخامس الجميل، أنا نبيّة هذا العصر الإلكترونيّ المقيت، فهل من مؤمنين؟ لأكون

وخالداً وجنيننا القادم المؤمنين الشّجعان في هذا البعد الجميل. خالـد، أنا أحبّكَ، وأحبّ جنيننا كما ينبغي لنبيّة عاشقة أن تحبّ..."

يعجب من هذا الكلام الذي يكاد لا يفهمـه أبـداً، أتـراه كـلام يحمل شـيفرات سـريّة، لعلّهـا تتحـدّث عـن اخـتراع جديـد، أو عـن اكتشاف فيزيائيّ خطير، هل كانت عالمة؟ أم كانت مطّلعة على أسـرار علميّة واكتشافات كونيّة خطيرة؟ ماذا تعني بالبُعد الخامس؟ هل هـذه نظريّة جديدة تسـتدرك علـى النّظريـة النّسـبية لأينشـتاين؟ فتنسـفها، وتعيد تأويل حقائق العـالم مـن جديـد؟ هـل سـتُحدث نظريـة البُعـد الخامس دمارًا جديدًا في الكون وحروبـاً طاحنـة وتسـابقاً في التسـلّح الرّهيب الجديد كما فعلت النّظرية النّسبية إبّان تصنيع القنبلـة النّوويّـة في الألفيّة الماضية؟ ونظرية ما بعد النّسـبيّة الـتي كانـت السّبـب فـي تصنيـع القنبلـة الهيدروجينيّة في مطلع الألفيّـة الميلاديّـة الثالثـة مخلّفـة دماراً بيئيـاً لا علاجـاً أو حـلاً لـه في كوكـب الأرض وفي الكواكـب المجاورة.

يبدو أنّ هذه المرأة أخطر ممّا توقعّتُ، وعلي أن أنزلهـا في مكانهـا الصّحيح في تقديري، وعليّ أن آخـذ منهـا كامـل الحيطـة و وموفـور الحذر، وأن أقرأ كلّ ما كتبتْ، هذا في حال كفّ جنـيني اللّعـين، أعـني جنينها اللّعين، عن رفسي دون رحمة، أتراه معجوناً بمنشّطات حيويّـة؟ أم هو شقيّ ومتمرّد ومتعب مثل أمّه؟

يعدّل ضجعته من جديد، ويحرّك ثدييه بتؤدة، فهما محتقنان بألم شديد، ينتقل عبر الآمر الإلكترونيّ إلى صفحة ضوئيّة جديدة، يجد زهرة بريّة مجفّفة مجهولة الفصيلة، يداعبها برقّة خوفاً من أن تسقط بتلاتها نتفاً بين يديه، منذ زمن طويل لم يرَ زهرة أو شجرة حقيقيّة؛ فمن يريد أن يرى شجرة حقيقية أو زهرة غير صناعيّة عليه أن يذهب إلى متحف زراعيّ أو إلى محميّة طبيعيّة؛ فقد انقرض الغطاء النّباتي منذ مئات السّنين من كوكب الأرض، ولولا عمليات الاستنساخ الطّويلة لما عادتْ كلمة شجرة إلى قاموس البشريّة المعاصرة، فالإنسان دمّر هذا المفهوم عن بكرة أبيه منذ قرون بسبب تعدّيه الجائر على الطّبيعة واستنزافها عبر الاستهلاك غير المدروس والحروب والحرائق والكوارث البيئيّة المتلاحقة.

قرّب الزّهرة من أنفه، وشمّها بتمهّل واستمتاع قادم إلى نفسه على جرعات، ما تزال تملك بعضاً من شذاها الطّبيعيّ المُسكر، قال في نفسه: من أين لها بهذه الزّهرة الجميلة؟ هل قطفتها من محميّة ما؟ ألا تعرف أنّ هذا سلوك جرميّ، ويعاقب عليه القانون بغرامة كبيرة؟ يبدو أنّها مولعة بحق بالمخالفات وبالغرامات وبالجُنح القانونيّة.

قلّبَ الصّفحات الضّوئيّة على عجل حتى وصل إلى الصّفحة الأخيرة منها، ومن جديد عاد يتصفحّه بشكل عشوائيّ، استعرض نظام الصّفحات، جميعها مدوّنة بطريقة النّابض اليدويّ، كم هي

طريقة قديمة! كيف وصلتْ هذه المرأة العفريت إلى هذه الطّريقة في الكتابة؟ ولماذا تُكتب بهذه الطرّيقة شبه المنقرضة والمضنية التي تحتاج إلى أوقات طويلة؟ المجرّة كلّها تعلّم أبناءها الكتابة بطريقة النّابض الدّريّ، وتكتبُ بهذه الطرّيقة، وتتعاملُ بها، وهي ما تزال غارقة في الماضي، لا بدّ أنّ لها اطلاعاً كبيراً على الماضي وعلى تقنياته، وإلّا لما أُتيح لها أن تعرف الكتابة بهذه الطّريقة البدائيّة، ولولا التحاقي بمنظومة الدّفاع العسكريّة للمجرّة، وأخذي دروساً عسكريّة وثقافيّة وأمنيّة عن طُرق القتال والتعلّم والتجسّس في الماضي، لما كان أُتيح لي أن أقرأ هذه الحزمة الضّوئيّة العملاقة في ضوء توثيقها بهذا النّوع شبه المنقرض من الكتابة.

لماذا تستخدم هذه المرأة اللّغز طريقة الكتابة بالنّابض اليدويّ؟ فتلزم نفسها بهذا الجهد كلّه من نقل الحروف إلى الورق الضّوئي، وإعادة تشكيل الأفكار وتصحيح الكتابة وضبط النسّق والترتيب؟ وهي تستطيع بكلّ بساطة أن تركن إلى طريقة الكتابة الشّائعة والعصريّة، وهي طريقة النّابض الدّريّ، كلّ ما عليها حينئذٍ هو أن تثبّت شريط النّابض الدّريّ على مؤخرة رأسها حيث الدّماغ، وتكفّ عن الكلام، وتخلص في استجماع الفكرة في ذاكرتها، فتتحوّل طاقة حركة المعلومة في النّواقل العصبيّة في الدّماغ إلى نبضات كهربائيّة، يحوّلها النّابض بكلّ سهولة ويسر إلى حروف تسجّل على الحزم الضّوئيّة خالية من أيّ أخطاء إملائيّة أو لغويّة أو أسلوبيّة، ومنظّمة

في فقرات وصفحات قابلة لإعادة ضبط حجمها وعدد صفحاتها والحذف منها وفق الحاجة والقدرة على البوح والتّصريح بصدق دون خوف أو محاذير.

كلّ شيء يتعلّق بهذه المرأة هو محض أسئلة معلّقة في عالمي الصّمت والإلغاز، ولا إجابة شافية لها، وأنا وحدي المعني بالإجابات المولودة من رحم أسئلة تتكاثر بنشاطٍ ذرّيّ في ذهني، أريد أن أجد الإجابات لعليّ أجدني، أريد أن أفهمها لعلّي أفهمني، وحدها هي من تسرقني، ومهمتي في الحياة باتت تنحصر في أن أطاردها في كلّ شبر من الكون حتى أستردّني. في يوم قريب سأخلعها جسداً وحكاية وذاكرة، سأفعل ذلك بمحض إرادتي، تماماً كما لبستها بكامل قراري وبموافقتي الكاملة، لكن حتى ذلك الوقت سأعرفها كما ينبغي أن تكون المعرفة.

يعود إلى تقليب صفحات الحزمة الضّوئيّة الواحدة تلو الأخرى بتوقّف غير قصير عند كلّ صفحة، ثم يعاود تصفّح التّالي من المكتوب، يصل إلى منتصف الحزمة، يرفسه جنينه من جديد، لا يستطيع أن يكتم ابتسامة تندّتْ منه دون رغبة محدّدة، من جديد يرفسه رفسة أقوى من الأخيرة، فيمتعض، ثم ثالثة، فيردّها إليه عبر لكمة قوية موجّهة مباشرة إلى رأسه الذي يدفع بطنه إلى الخارج، يشعر بألم عظيم في بطنه، لكن لا يبالي ما دام ذلك الجنين قد تعلّم الأدب،

يكفّ الجنين عن الحركة لثوانٍ، ثم يعود من جديد إلى الرّفس والنّقر بقوة، وعلى المكان نفسه من البطن، يقول له بصوت مرتفع مُغتاظ: أنتَ عنيد مثل أمّك، اللّعنة عليكما.

من جديد يعود إلى الصّفحة الأولى من الحزمة، يقرأ بصوت خفيض الفقرة الوحيدة الموجودة في تلك الصّفحة مرة ومرتين وثلاثة، كلّما رفع الصّوت أكثر كفّ الجنين عن رفسه، يجزم بأنّ جنينه منخرطٌ في السّماع بفضول لما يقرأ في حزمة أمّه، يقول له وقد قرّب رأسه من بطنه، وكأنّه يهمس له: اسمع أيّها الجنين المزعج، لماذا لا نعقد حلفاً، ولنسمّيه حلف الرّجال، فكلانا رجل، والرّجل لا يفهمه إلّا رجل مثله، أنا أعدكَ بأن أقرأ لكَ من حزمة أمكَ على أن تكفّ عن إزعاجي ورفسي حتى نحظى بحلٍّ نهائيّ لهذه المعضلة الطّارئة في حياتي. ما رأيك؟ تبدو موافقاً على هذه التّسوية، ولاسيما أنّك ستحظى بالتّسلية المناسبة، وأنا سأهبكَ اهتمامي الصّادق وقراءتي المتأنّية مادمت تلتزم بشروط الهدنة، إذن اتّفقنا؟

لا يحظى بأيّ حركة من جنينه، فيخمّن أنّه قد نال مبتغاه أخيراً، وحصل على اتفاقية استثنائيّة مع خصمه العنيد الذي يسكن بطنه، ويعيش على معاشه، ويجبره على حمله، ويشاركه في كلّ شيء دون موافقته أو رضاه أو رغبته أو حتى تقبّله، يفكّر في أن يمسّد عليه عبر جلد بطنه رضا عنه، وتشجيعاً له على الطّاعة، لكّنه يتراجع سريعاً

عن الفكرة، ويمضي يقرأ له الفقرة اليتيمة في الصّفحة الأولى من جديد، ويتوقّف طويلاً عند الجملة الأخيرة التي تذيّل الصّفحة، يقرأها من جديد، يُدهش؛ لأنّه لم يدرك معناها في قراءته السّابقة، مرة ثالثة يقرأ جملتها: "من يوميّات امرأة عاشقة في مجرّة درب التبّانة".

إذن فما سيقرؤه هنا لا يعدو أن يكون يوميّات شخصيّة لها، يا لخيبة أملي! إذن لن أجد أيّ أسرار، بل يوميّات، ولاشيء سوى يوميّات، يا للعجب العجاب، أما زال هناك بشر يفكرون في كتابة سيرهم الشّخصية ويومياتهم؟! ولمن يكتبونها؟ ولماذا؟ أكاد لا أصدّق أنّ هذه المرأة اللّغز قد أحرقت الكثير من وقتها وجهدها من أجل هذه اليوميّات، أخال أنّها آخر شخص في هذا القرن يفكّر في هذا الأمر، فلا وقت عند البشر لمثل هذه الترّهات، وحدها الدّولة عبر نظامها الإلكترونيّ الدّريّ المرتبط بمناحي الحياة ونشاطاتها وفعالياتها و ووقائعها كلّها هي المعنية بمثل هذا التّدوين لغايات التّنظيم والتّرتيب والضّبط والتجسّس.

أمّا البشر فقد غادروا هذه الهواية أو غادرتهم منذ غدوا أرقاماً في مجرة عملاقة كلّ شأنهم فيها أن يعملوا دون توقّف، وأن يتمتّعوا بإجازاتهم القصيرة بالتّرف المبالغ فيه، وأن يسندوا الكثير من مهامهم إلى مساعديهم وخدمهم من رجال آليين ونساء آليات، ويتركوا كلّ شيء بعد ذلك إلى الدّولة تنظّمه لهم وفق ترسانة أسطوريّة من

المعلومات والتّكنولوجيا التي سبقت الخيال في التطّور الماديّ، لتختار لهم حقول أعمالهم ومجالات تخصّصاتهم وشركاءهم في الحياة، وتربّي لهم أبناءهم، وتهبهم بيوتهم، وتردّهم دون أن يشعروا بألم أو بإهانة أو بإساءة إلى البيئة الكونيّة بعد أن تحوّلهم إلى مواد عضويّة مفيدة في حالة موتهم، ثم تذر الباقي القليل غير المفيد من رفاتهم في الفراغ الكونيّ مقابل أن يكونوا جنوداً عاملين ومطيعين في دولة الإنسان الأولى الموّحدة للبشريّة كلّها بقوة السّلاح والمصلحة والعابرة للكواكب في مجرّة درب التّبانة.

أمّا هي، فتنصرف إلى كتابة يومياتها ضاربة بعادات سكّان المجرّة وأولوياتهم وأنماط حيواتهم عرض الحائط ملتفتة بجلّها إلى كتابة شيء ربما يكون ذاتها، وهذا هو مبتغاي بالتّحديد، ففي هذه الحزمة الضّوئيّة سأجدها فأجدني، سألمسها، فألمسني، سأكونها، فتكونني، أنا مستعد لكلّ شيء منها، فهل ستهبني الحقيقة كلّها التي ما أدري أيّ لبوسٍ عليها أن تلبس لتكون حقيقتي دون سائر حقائقي المخادعة في هذه الحياة اللّغز؟ لعلّها تكون كريمة علي كما كانت حتف أنفها، فوهبتني هذا الجسد الغريب في حين بخلت الأجساد كلّها بصفاتها الجينيّة عليّ لتهبني ذاتها عندما أصرّت على أن تكون بصفات جينيّة وأنسجة تتطابق تماماً مع أنسجة جسدي البائد، وقد كانتْ أشدّ سخاء وبهاء ورحمة عندما احتضنتْ بجسدها الضّعيف دماغي المهاجر إليها

دون الأجساد كلّها، فتعاطفتْ معه، وتقبّلته غريباً غازياً بأريج ودفء، وانصهرتْ معه، لتغدو به حقيقة جديدة، اسمها أنا وهي.

لا أؤمن كثيراً بالحبّ، هذا الأكسيد الغريب للشِّعر شبه المنقرض والآلام الاختياريّة والنّهايات الحزينة، أنا أفهم الحبّ بطرق أكثر ماديّة ممّا كتبتْ في هذه الصّفحة الأولى من يومياتها، لكّنني في هذه اللّحظات مستعد بقبول منقطع النّظير للاستماع إليها بكلّ آذان صاغية حتى أخرج من هذه المتاهة العجيبة التي اسمها جسدنا.

تنتابني رهبة غريبة تجعلني أكاد أقسم بجنينها أنّني قد أؤمن بنبوّتها شأن الآخرين من أتباعها ومريديها إن هي فكّتْ لي لغز ذاتي، وخرجتْ من جسدنا بسلام؛ ليكونني حتى أرحل عنه في أقرب فرصة يحدّدها لي الأطبّاء موعداً لنقل دماغي إلى جسد ذكوريّ آخر.

يتابع تقليب الصّفحات الضّوئيّة مستعرضاً نظام اليوميّات، الصّفحات كلّها تبدأ بتأريخ اليوم والشّهر والسّنة، جميعها ممتدّة بتتابع في أقل من شهر، هذه مدّة قصيرة للشّروع في كتابة اليوميّات، يبدو أنّها لم تكن من هواة كتابة اليوميّات، لكن طارئاً ما هو من سار بها في هذا الاتجاه، وجعلها تكتب هذه اليوميّات على عجل، وبهمة لا تفتر، لا يوجد يوم دون تدوين وكتابة، اليوم الأخير من هذه اليوميّات هو المنقوص، وغير كامل خلا التّاريخ وبعض الجمل، لعلّها تراجعت عن غواية الكتابة فجأة دون مقدمات، كما شرعتْ فيها فجأة دون أسباب

ظاهرة للعيان، أو لعلّ الظّروف هي من أعاقتها عن أن تكمل ما بدأت فيه، فتاريخ الصّفحة الأخيرة يقع في دائرة الفترة الزّمنية التي أُعتقلت فيها، وهي من بعد ما عادتْ تستطيع أن تكمل ما بدأتْ في كتابته، ففي معتقل المخابرات المركزيّة لحكومة المجرّة تُحرم من كلّ شيء حتى من ذاكرتكَ.

إذن عمر هذه الحزمة الضّوئية في مجمله إن أضفنا إليه الأشهر التي أمضاها حبيساً في قسم الحرائز في مخابرات المجرّة تسعة أشهر، إذن هي يوميّات جديدة، تأتي بعد فترة من تحليق نجمها في عالم النّبوة وبداية ولادة معضلاتها مع الدّولة وفق المعلومات التي جمعها عنها ومساعده الآليّ.

كلّ صفحة من صفحات اليوميّات تبدأ وتنتهي بقطعة نثريّة مكتوبة بالأحمر الفوّاح بنكهة الفراولة المصنّعة، فهذه الحزمة الضّوئية من فئة الحزم الضّوئية الفاخرة المزوّدة بروائح لونيّة ملازمة، وهي جميعها ممهورة باسم خالد ومنتهيةٍ بقفلة لازمة هي أشتهيك، أمّا القطاع الأكبر من اليوميّات فمكتوب باللّون الأزرق بنكهة الياسمين المصنّعة. هل كان خالد هذا بطعم الفراولة المصنّعة؟ أراهن على ذلك، لأنّها -دون شكّ- قد كانت بطعم الياسمين وبرائحته، الآن أدركتُ ما حقيقة هذه الرّائحة الطّبيعيّة الجّميلة التي تسكن جسدنا، هي رائحة الياسمين، كم أنا أحمق لأحتاج إلى هذه الفترة كلّها لأدرك

أنّني عالق في جسد برائحة الياسمين! كي لا أكون جحوداً وبعيداً عن الذّاتية علي أن أعترف بأنّ جسداً برائحة الياسمين وبرقته هو أحلى الأقدار، لكن في ظروفٍ غير ظروفي الحاليّة.

النّصوص الخالديّة كلّها في اليوميّات تعود إلى تواريخ متعدّدة وممتدّة إلى أكثر من ثلاث سنوات تقريباً، وهي مقرونة بنصّها الأحمر اللّون الفراوليّ الرّائحة دون تقيّد بترتيبٍ وفق التّاريخ، لا بدّ من أنّها نسخ عن رسائل حقيقيّة موجّهة إليها من خالد، ويبدو أنّها كانت على عجالة، فأثبتتها في صفحات الحزمة الضّوئيّة دون مراعاة ترتيبها الزّمنيّ، أو لعلّ هناك سرّاً ينتظم هذه الرّسائل في تواريخها العشوائيّة، وهو سرّ تدركه هي دون غيرها، لكن كيف سأفهم مرادها من هذا كلّه؟ ألم يكن من الواجب أن تكتب بنظام وترتيب لأدرك كنه ما تبغي؟ اللّعنة، هي في الأحوال كلّها ما كانتْ لتعرف أنّ ما كتبتْ سيؤول إليّ في زمن احتضاري ومحنتي بها وبي، لأبحث فيه وبه عن شيء لا أعرف ما هو، وأبغي أن يكونني بكلّ عناد الحمقى وسكرات المخبولين.

في نهاية يوميّات كلّ يوم هناك قصة قصيرة، أكانتْ تكتبُ يوميّات أم مجموعة قصص قصيرة؟ أم أنّ هذه القصص هي امتداد بمعنى مُلغز ليوميّاتها؟ هذه المرأة محيّرة بحق، والرّكض خلف جموحها يشبه الجري في متاهة كونيّة تنتهي بثقب أسود يبتلع الحقائق والألغاز

والموجودات كلّها، ويورثها للعدم. لكن سيكون من المسلّي لي أن أجد في انتظاري في نهاية كلّ يوم من يومياتها قصة تسكّن قلقي وبحثي، وتعزّي لهاثي الشّوكيّ خلف نبضها الخافت فيها العاصف في روحي ومداركي .

هناك متسع في روحي النّزقة المأسورة في جسدها الصّغير الضّيق على ذاكرتي كي أقرأها دون ملل أو كلل حتى أعرف من أنا؛ فهي فقط من تملك أن تخبرني بهذه الحقيقة الوجوديّة الجافية المناقضة لمعطيات قلقي كلّها. أنا على أتمّ الاستعداد لتحمّل جنينها وخالدها ويوميّاتها وتواريخها البائدة وقصصها الختاميّة من أجل ذلك المأمول الذي يستلقي بصفاقة في روحي، ويحرمني لحظة سعادة أو رضا مع جسدي، أعني جسدها، أقصد جسدنا.

يأخذُ شربة ماء من كأس زجاجيّ مهجور منذ ساعتين فوق منضدة قريبة من سريره ذي الأغطية البيضاء المحايدة الملمس، يتنفّس الصّعداء، ومن جديد، يعود إلى الصّفحة الأولى، لا يقرأ ما فيها، بل يقلّبها، ليتوقّف بهدوء غادره منذ زمن عند الصّفحة التالية، ويشرع يقرأ...

الفصل السّادس

(النظرية: نظرية طاقة البُعد الخامس)

الفصل السّادس

(النّظرية: نظرية طاقة البُعد الخامس)

(١)

اليوم: ٣ شهر النّور عام ٣٠١٠م

"يا نفحة من روح الإله، يا نبيّة الكلمة، يا نبيتي، أتمنّى أن تكوني مستعدة لاستقبالي هذا المساء، لقد جئتكِ خفية، وانزويتُ إلى زاوية في غرفتكِ أتأمل جلستكِ، يبدو لي أنّكِ تلبسين ثوباً شفافاً أسود، ما أجمل الأسود والسّواد؛ إنّه لون النّبالة والشّرفاء والصّدق، راقتني الطريقة التي تداعبين بها لوحة المفاتيح، لقد أُفتتنتُ بأناملكِ، أمّا الذي يشتّتني فابتسامتكِ ونظراتكِ الغارقة. أنتِ أذكى امرأة عرفتها في حياتي؛ لأنّك أكثر صفاء وحركة وكلاماً وأنوثة، عشقتك لأنّ شيئاً من روحكِ يذكرني بالإله، عشقتكِ لأنّكِ ملأت قلبي في لحظات كان فيه الفراغ يملأ جغرافيتي "أشتهيكِ: خالد[1]

---

(١) لعلّ هذه الرسائل من رجل حقيقي اسمه خالد ينتمي إلى زمن مفترض، وليست نصوصاً إبداعيّة للمؤلّفة. خالد وحده يعرف الحقيقة في زمن الكذب، وأنا لا أملك حقّ البوح حين يصمت خالد. لكن يستحيل أن يكون خالد من بنات أفكاري، بل هو حقيقة بمعنى ما، بل هو الحقيقة بالمعاني جميعها. سأعترف من يكون عندما يسمح لي بذلك.

حبيبتي ورد، اليوم فقط عرفتُ أنّكِ أصبحتِ حقيقة في عالم الوجود، بكيتُ كثيراً فرحاً بحضوركِ البهي؛ فقد جئتِ في زمن الفقد لتقولي لي إنّني حقيقة، ولستُ كذبة، وأنّ عشقي لخالد هو البُعد الخامس الجبّار الذي يمكنه أن يلد المستحيل، ويعيد تشكيل خرائط السّعادة والعطاء والتمرّد في هذا الكون، لولا أنّكِ وفيتِ بالأمل وحضرتِ، لكنتُ رحلتُ عن الحياة مكسورة وحيدة كما رحل خالد، وصمتَ إلى الأبد، ولما قلتُ مرحى للبُعد الخامس، لكن بحضوركِ ستكون الأشياء مختلفة، وسُيولد التمرّد.

قال لي الطّبيب الآليّ إنّكِ الآن نطفة جميلة في رحمي المعطّل منذ أبدٍ قدره أكثر من ألف عام من عمر البشرية الحديثة، عمركِ الآن أسبوعان مزهران بألف قبلة من خالد، فوحده خالد من يستطيع أن يخلق عالماً وبشراً وأقداراً وسعادة من قُبل شهيّة، فهو آخر ذكر يملك مثل هذه القُبل في هذه المجرّة.

الطّبيب لا يستطيع أن يحدّد ما هو جنسكِ قبل أن تكملي الشّهر الأوّل من عمرك النّامي في أحشائي، لكّنني أعرف أنّكِ أنثى، هذا ما خططنا له، وهكذا شئنا أن تكوني، خالد أراد دائماً أنثى سليلة مائه ومائي، أراد أن يعيد بها التّاريخ من جديد، أراد أن يحيي بها سائر ملاحم التّاريخ المنقرض وحروب البشر ورغباتهم؛ لذلك أنتِ بالتأكيد أنثى؛ لأنّ خالداً يريد هذا، وأنا لا أريد سوى ما يريده، خالد

الذي يقول إنّ رحم المرأة هو حقيقة الخلود والخلق، وإنّ جسدها هو المعبر المقدّس نحو الأزمان كلّها، وبكِ يا ورد ستعبر البشريّة إلى زمن آخر وبُعد خامس، هو بُعد الحبّ والسّعادة وجنّة الله على الأرض.

أنا متأكّدة من أنّك ستكونين مزيجاً عجيباً من خالد ومنّي، وستخلصين لنا بصفاتكِ وملامحكِ وجيناتكِ كلّها، وستتجاهلين الكون كلّه خلانا، ليتك ترثين عن خالد ملامحه وصفاته وأحاسيسه وذكائه وكآبته الجميلة في إزاء كلّ قبح يرفضه في هذا الكون، ليتك ترثين مني حبّي لخالد وإيماني الرّاسخ بنظريتنا التي ستهب الطّاقة الحلم للإنسان كي يتجاوز معاني العدم والفقد والنّهايات المفجعة كلّها.

نسيتُ أن أقول لك من أنا يا ورد، اعذريني يا غاليتي؛ فأنا أدرك كم هو الوقت ضيّق أمامي الآن، في أيّ لحظة أنا مهدّدة بالاعتقال أو الاغتيال أو النّفي، وتلك قصة أخرى أخبركِ بها لاحقاً، لكن تأكّدي من أنّ أمّك امرأة خيّرة لا شريرة، لا تقلقي حبيبتي أنتِ في مأمن في داخلي، لا أحد يستطيع أن يفكّر في إيذائكِ؛ فلا أحد يعرف بوجودكِ خلا روح خالد وأجمل ليالينا ولقاءاتنا التي خلقتكِ، أنتِ مخلوقة من الحبّ، ولاشيء غير الحبّ، وعليك أن تكوني فخورة بذلك.

نسيتُ أن أقول لكِ إنّ خالد رامي الأشهب هو أبوك البيولوجيّ والرّوحيّ والحقيقيّ، وأنا أمّكِ (شمس) النّبيّة التي حاربت

المجرّة لتكوني، لا تستعجلي، ولا تخافي، ولا تضيقي ذرعاً بكلامي المختصر، سأحدّثك عن كلّ شيء ريثما تعرفين الحقائق كلّها، فأنتِ حالة استثنائيّة في الوجود، وعليكِ أن تعرفي ابتداء ما ينتظركِ، أخشى أن تموت الحقيقة ريثما تولدين، وتأتين أنثىً مكتملة الخلق إلى هذه الحياة الماديّة الضّنكة؛ لذلك عليكِ أن تقرئي كلّ كلمة كتبتها لك في هذه الحزمة الضّوئية، وأن تكوني مقدّرة للإرث العملاق الذي نتركه لكِ أنا وخالد.

أمّا أنتِ، فتكونين جنيننا أنثى عمره -في هذه اللّحظة- أسبوعان فقط ليس غير، أنتِ الآن تعيشين في رحمي، وبعد تسعة أشهر ستكونين مكتملة الوجود، وتشقّين طريقك إلى خارج جسدي نحو قدركِ الجميل.

اسمكِ سيكون ورد، هذا الاسم اختاره لكِ خالد، منذ الآن أكاد أشمّ رائحتكِ الورديّة تنبض في أمومتي الوليدة، الورد يا حبيبتي الصّغيرة هو جمع كلمة وردة، والوردة نبات جميل له روائح زكية، وملمس مخمليّ وألوان جميلة، هذا الكائن النّباتيّ انقرض منذ زمن طويل، قيل إنّه كان في الماضي يغمر الأرض خبط عشواء، وبسخاء إلهيّ بهيّ، أمّا بعد الحروب الهيدروجينيّة الكونيّة في نهاية الألفيّة الماضية، فقد انقرض هذا النّبات الجميل، كما انقرض الغطاء النّباتيّ الأرضي كلّه، وما بقي منه إلّا عينات مستنسخة ومعدّلة الصّفات

الجينيّة، وهي معروضة للزوّار في محميّات خاصّة ومتاحف نادرة الوجود، على كلّ حال أنا أترك لك في طي هذه الحزمة وردة نادرة، عمرها أكثر من ألف عام، هي هدية من والدك، احتفظي بها للقادم من سلالتك البشريّة. والورد كذلك اسم لحيوان منقرض ينتمي إلى زمن ما قبل الألفيّة الرّابعة، اسمه الأسد أيضاً، وهو حيوان مفترس ومتوحش وقوي، ونبيل كذلك، يعيش بكبرياء، ويموت بكبرياء، ويرفض الجيف، ويعتزّ بقوته؛ لذلك أسميناكِ ورداً لتكوني منذورة للجمال والقوّة ولحبّنا.

وردي الصّغيرة، احفظي كلّ كلمة كتبتها لكِ في هذه الحزمة عن ظهر قلب، أنتِ ورد، وأبوكِ خالد، وأنا أمّكِ النّبيّة، وأنتِ الجنين الأوّل من نوعه وبطريقة تكوينه منذ أكثر من ألف عام في تاريخ الكون، بعد تسعة أشهر سوف تغادرين رحمي، وتحملين للعالم رسالة الحبّ الجديدة، أنت فقط من ستعيدين الجنس إلى قاموس البشريّة، وسوف تردّين الاعتبار والوجود لمعنى التّناسل الإنسانيّ، والحفاظ على الصّفات الوراثية والشّفرة الجينيّة بعد أن أصبح البشر أبناء التّعديل الوراثي والمعامل وبنوك المنيّ والصّفات المشتراة، لا أبناء آبائهم وأمهاتهم المنسوبين إليهم وفق الأوراق الرّسميّة والمستندات الحكوميّة.

حبيبتي افخري؛ فأنتِ ابنة أبيكِ وأمّكِ بحق، أنتِ لحظتهما، وثالوثهما المقدّس، ووليدة فعلهما الجنسيّ وعشقهما الرّوحي. إيّاك أن تقبلي بأن تنتسبي في يوم إلى غير خالد، قد تنتسبين من باب حلّ مشكلة قانونيّة إلى زوجي، لكنّه ليس والدك، تذكري دائماً أنتِ لستِ إلّا امتداداً لخالد ولي وللبُعد الخامس للوجود.

الوقت ضيّق أمامي، وآلام الوحام تداهمني، هل تعرفين ما معنى آلام الوحام يا حبيبتي؟ هي تعني تلك المظاهر الجسديّة التي تربك الجسد لتخبره بوجودكِ السّعيد. البارحة فقط كنتُ أعتقد أنّني مريضة، واليوم أدركتُ أنّ جسدي معنيٌّ بالاحتفال بوجودكِ، وما عليّ إلّا الصّبر على هذا الدّوار، وهذا القيء المتقطّع والمفاجئ كي أحظى بكِ، وأسعد باحتضانك، أنا متعبة، وذهني مشوّش إلى حدّ كبير؛ لذلك اعذريني، لن أجد الوقت الكافي كي أرتّب كلّ رسائل والدكِ إليّ، سأرصدها بعشوائيّة في هذه الحزمة، وعندما يأتي الوقت المناسب سنعيد ترتيبها معاً، هذه الرسائل الدّريّة هي ثروتي من والدك، اقرئيها باهتمام، ففيها ستجدين خالداً، وبها ستعرفينه، وتدركين كم كانت أمّك ذكية ومحظوظة عندما صنعتكِ بشراكة مع هذا الرّجل الفاتن.

يا حبيبتي، هل تعرفين ما معنى رجل؟ سأحدّثكِ غداً عن هذا الكائن البديع، وحتى ذلك الوقت عليكِ أن تعرفي أنّه أجمل طريقة

لتكتشف المرأة ذاتها، ستسألينني طبعاً ما هي المرأة؟ غداً أخبرك ماذا تكون المرأة، كي تدركي ذاتكِ كما ينبغي.

وردي، رتّلي في كلّ ليلة كلمات والدكِ؛ فهي تميمة ضدّ الموت، سأهديك في كلّ ليلة قصّة المساء، أنا مخلوقة للحكاية والقصّ، لكن هذه ليستْ قصصي، بل إرث من والدكِ، هو من اعتاد أن يحكي لي قصة في كلّ ليلة، وأنا أغفو على صدره، وهاأنذا أهديكِ هداياه الكلمات.

تقول حكاية النّوم يا ورد الجميلة:

كانت الأرض في بداية التّاريخ والخلق جميلة؛ ببحار زرقاء هادئة، وأشجارٍ خضراء باسقة، وسماء عليلة، وحيوانات مسالمة، لكنّ البشر أفسدوا كلّ شيء بشرورهم، وحروبهم، وتطاحنهم، الدّماء الحمراء أغرقت الأماكن كلّها، وأفسدتْ الألوان جميعها، الآلهة ضاقتْ ذرعاً بهم، وأرسلتْ عليهم أمطاراً لا تتوقّف كي تغرقهم أجمعين، وجعلتْ تميمة الخلاص في فعل خير، لكن البشر بقوا في شرورهم، ولم يدركوا الحلّ، حتى كانتْ قُبْلة عاشق وعاشقة، كانتْ قُبْلة وداع قبل الموت غرقاً، لكّنها كانتْ جميلة وصادقة وخيّرة، ففرحت السّماء بها، وهلّلت الآلهة سحرها، فتوقّفتْ أمطار السّماء المتدفّقة دون نهاية إكراماً للقُبْلة التي أنقذت البشريّة من الهلاك".

من رسائل خالد:

"هل تعلمين لماذا أكرّر كلمة أحبّكِ ألف مرة، لأنّها تختزل تجربة الإنسانيّة كلّها في ممارسة الحبّ والجنس، أنا مستعد أن أملأها باسمكِ وحدك، بحبّي لكِ وحدكِ بجسدكِ وفتوّتكِ وبهائكِ ورائحتكِ ونظراتكِ وعناقاتكِ يا شمس، أشتهيكِ كما اشتهى الفلاسفة نهاياتهم، أريد أن أنتهي على أعتابكِ وأنا أتوسّد حدائقكِ، وأحترق بحرائقكِ يا نبيّتي، أحبّكِ وأحبّ أن أقبّلكِ قُبلة بشفاهي وأصابعي وجسدي، وأن أرسم في كلّ حيز من جسدكِ صمتاً مقدساً يغري العالم بأن ينتفض ضدّ تاريخ العالمين: القديم والحديث". أشتهيكِ: خالد.

يا لها من امرأة! يقول وهو يغلق الحزمة الضّوئيّة بإدخال الأرقام السّريّة من جديد في حافظتها الإلكترونيّة، يشعر ببحّة في صوته وقد قطع ليلته يقرأ بصوت مرتفع لجنينه، يبتسم بشماتةٍ لا تسعده بالقدر الذي يريده؛ لأنّ جنينه ذكر لا أنثى كما راهنتْ عليه وخالد، لكنّه يتمنّى لو كان جنينه أنثى؛ لكان الآن يستمع إلى ما يقرأ بانتفاع أكبر، وإن كان يعلم أنّه لن يستفيد أبداً من معلومات أمّه، فهو سوف يلفظ أنفاسه في القريب على حدّ مشرط في يديّ طبيب عندما يجهضه، عندها لن يرى أبداً الحياة التي وهبتها له أمّه ربما لقاء حياتها.

هذا كلّه لا يعنيه، معركته الآن مع جسدها لصالح نفسه، لا لصالح جنينها المجهول، يتساءل لماذا كفّ الجنين عن الرّفس بل وعن الحركة تماماً؟ أهذا التزام صارم منه بحلفه معه؟ أم هو صمت في محراب كلمات أمه التي لا يستطيع أن ينكر تأثّره بها؟ أم غلبه النّوم، فلم يسمع شيئاً ممّا قرأه له؟ يقرع بطنه بطرف سبابته، ويقول: أنتَ أيّها الجنين، هل ما تزال مستيقظاً؟ لا يحظى بإجابة، يضع الحزمة جانباً، ويحسن الاستلقاء في سريره، يغيّر من معدّل الحرارة والضغط والإضاءة والأوكسجين في الغرفة بضغطة زرّ على مكيّف الطّقس الدّاخليّ في الغرفة، ويستسلم لنوم مريح رحب يتسع لحلم شهي بشمس.

(٢)

اليوم ٤ شهر النّور عام ٣٠١٠م

"هل تعرفين أنّ ما يربطني بكِ الآن هو لغة روح مطلقة؟ لا الجنس يفهما ولا الجسد يشفي معناها ولا العراء يقرب دلالاتها، وحده اللّقاء في مكان صامت، لنفعل ما لم يفعله العالم من قبلِ، ولن يفعله من بعد قد يفسّر معنى الأشياء. قد نستعمل جسدينا أداة لتحقيق ذلك، لكن هذا لن يجعلني أكتفي بكِ جسداً، بل إنّك كلٌّ مطلق يسكنني. سأرتّب المستقبل كي أرسم خرائط لفهم أسرار جسدكِ، وأصنع مفاتيح لتحريره من كلّ القيود". أشتهيكِ: خالد

حبيبتي ورد، البشر أنواع، جلّهم مخلوق من خليط الشّر والخير، وقليل فقط مخلوقون من الحروف والكلمات، أيّ أنّهم كائنات لغويّة، خالد وأنا مخلوقان من الكلمة، لا يمكن أن تفهميننا أو أن تكونيننا أو تغادرينا دون الكلمة، كلانا يقدّس الكلمة، ومن هنا جاء تقديسنا لله وللحياة وللبشرية ولذواتنا؛ لهذا السّبب ذاته صنعناكِ، وبهذه المعرفة اكتشفنا الكون، وصُغنا وجوده في نظريتنا في البُعد الخامس.

لا تعتقدي يا حبيبتي أنّني ووالدكِ عالما ذرة خارقان، ولسنا أيضاً متخّصصين في علوم الجزئيات والأشعة وسلوك الذرّات والتّواصل الفضائي والهندسة الجينية والفيزياء الشّمسيّة والكيمياء الكوكبيّة والزّمن المنكسر والمرتدّ والثّقوب السّوداء والانفجار الكونيّ والموت الكونيّ والولادة النّجميّة، وغيرها من التّخصّصات الخطيرة والمعقّدة التي من الصّعب أن يستوعبها الآن عقلكِ الصّغير الحالم.

لكنّنا بارعان في فهم جمال القلب، وأوّل عاشقين في هذه الألفيّة، نحن من أعدنا زمن العشق الجميل إلى ذاكرة البشريّة، ونحن من أثبتنا أنّ البُعد الخامس قادر على تغيير سلوك الجزيئات، وتفجير طاقة عملاقة من هذه الحركة إن كانت تسير ضمن منظومة لولبيّة تتقاطع مع خطوط العرض والطّول، وتراعي حركة الأيض، وتدفّق الطّاقة الكونيّة في المجالات المغناطيسيّة والكهربائيّة، ولا تتعارض مع كهرباء أو ضوء سلبيّ منبعه الأفكار السّلبية أو المشاعر الشّريرة أو

الأفعال الآثمة التي تخفّض مستويات الطّاقة إلى أخفض حدودها، وتعيق تحرّك الذّرات وانبعاث الطّاقة الكونية الكامنة في الأبعاد الأربعة الطّبيعيّة بسقوط الأشياء عاموديّاً على محورها أو تقاطعها بزاوية حادة مع ظلّ الأبعاد الثلاثة الأولى ومحور البُعد الرّابع.

أعرف أنّ ما أقوله الآن يا ورد هو أكبر من استيعابك، لكن سيأتي الوقت الذي تفهمين فيه هذه المعادلات الخطيرة، لقد اكتشف والدكِ معادلة الطّاقة الكونيّة الكامنة في البُعد الخامس للمادة، وبهذه الطّاقة سنغيّر الكون، ونعيد بهاءه إليه، الكون الآن غارق في المادة والرّفاه الاستهلاكيّ، وهو خليط عجيب من بشر آليين وآليين أشباه بشر، يبدو الكون في هذه اللّحظة عادلاً ومنظّماً ومريحاً، لكنّه في الحقيقة فراغ متسع من الخواء، كلّه برود واضطهاد وظلم، ويعجّ بالإسمنت والزّجاج والمعدن، وتخنقه المسافات الشّاسعة التي قرّبتها وسائل الاتّصال، وجعلت الإنسان فيه عبداً للتحّكم الإلكترونيّ المبرمج حيث لا مكان للهرب أو الفرديّة أو الإبداع الشّخصيّ أو المشاعر أو الانعتاق أو الاستقلاليّة، ويقف على شفا حربٍ كونية أخيرة قد تمسح الوجود البشريّ من التّاريخ الكونيّ بعد أن هدر كثيراً من الفرص في سبيل إنقاذ إنسانيته، ودمّر كوكب الأرض، وأباد الكثير من بني جنسه وسلالات أعراقه، وأحرق الغطاء النّباتي، وخرق السّلسلة الحيوانيّة، وهتك الغلاف الجّوي الحامي، وغيّر من جغرافيا الأرض، فباتَ أسير التّصنيع الكهروذريّ للهواء، وتحت

رحمة الغلاف البلّوريّ الصّناعي البديل للأرض، وكائن تجارب لكلّ محاولة جديدة من أجل إعمار الكون والسّكنى في كواكب مجاورة محتملة مثل القمر وزحل وعطارد والزّهرة، وفي خواء هذا الخراب البشع المزدحم بالقبح المتوالد لازالت قوى الظّلام والشّر تهدّد من حين إلى آخر بحروب كونيّة دامية بأعتى وسائل الفتك والإبادة، ولو عنى ذلك الفناء للجميع.

البشرية جمعاء باتت خانات لأرقام عملاقة، تتعلّق بها شبكة خرافيّة عابرة للمجرّة من أرقام وأنظمة مراقبة وبرمجة وحوسبة وتأريخ وأرشفة، حتى أنا لي رقم يختزلني، وعبره أراجع قضاياي الرّسمية وغير الرّسمية جميعها، لا أحد يذكرني باسمي في عمل أو مراقبة أو خرق بل يذكرونني برقمي، ووالدك له رقم متسلسل كذلك، أنتِ وحدكِ من ستولدين باسم دون رقم جهنميّ يهبط بكِ إلى منزلة الآلات.

يوماً ما ستفخرين بوالدك وبي، وستواصلين المسيرة في سبيل إسعاد البشريّة ذات الطّباع الغريبة؛ فكلّما اكتشف البشر المزيد من أسباب الحياة والسّعادة، سارعوا إلى البحث عن قتل هذه السّعادة؛ لذلك حرص خالد على أن تبقى معادلة طاقة هذا البعد طيّ الكتمان، لا أحد في الكون يعرف المعادلة غيري وغيره، هو يحفظ

نصفها، وأنا أحفظ نصفها الثاني، ودون اجتماعنا معاً لا يمكن أبداً معرفة هذه المعادلة الخطيرة.

نحن نخشى حكومة المجرّة ومخابراتها يا ورد، ونكاد نجزم بأنّهم سيصلون إلى خبر عن هذه المعادلة، وسيقهروننا بالطّرق جميعها من أجل الحصول عليها، ولو عبر تصفّح ذاكرتينا بالماسح الذّريّ أو تحليل أحلامنا بالسّابر الكهرومغناطيسيّ، فالعلم جعل الطّريق سهلة أمام الكشف والمعرفة؛ لذلك فقد خضعت ووالدكِ لعمليّة إعتام مؤقت لذاكرتي التّوتر عندنا، وبذلك لن تستطيع أيّ قوّة أن تقرأ المعادلة من خلايا ذاكرتينا، بل أنا وهو لا نستطيع تذكرها فرادى، لا نستطيع تذكرها إلّا بفعل ثنائيّ اشتراطيّ مسبق، وقد برمجنا هذا الفعل في ممارسة الجنس، لا نستطيع أن نتذكّر المعادلة إلّا إذا مارسنا الجنس بطريقته الطّبيعية البائدة، حتى مساعد خالد الآليّ قد أعاد برمجته لينسى كلّ شيء عن هذه المعادلة، كلّ شيء قد حُسب حسابه، وأُحسن إعداده من أجل أن تقومي أنتِ بإكمال المهمة، وتسير هذه الطّاقة في وجوه الخير والنّماء، فهذه الطّاقة مصنوعة ومتولّدة أصلاً من قوى الخير؛ لذلك لن تنطلق أبداً على يدي شرير، لا بدّ من أن يكون عاشقاً متفرّداً هو من يطلق هذه الطّاقة.

لقد جرّبنا إطلاق هذه الطّاقة لمرة واحدة فقط يا وردي، كان ذلك في ليلة صناعتكِ، ليلتها كان الحبّ في أعلى مستوياته

في جسدي وجسد خالد، وكانتْ روحانا معلقتين في عرش السّرمديّة، ومتواصلتين مع قوى الكون كلّها، كانت لحظة انفجار الطّاقة الكونيّة، لقد كانت طاقة رهيبة وعملاقة حرفت كوكب القمر عن مساره الأبديّ الخالديّ بمقدار متر كامل، وسببتْ خللاً كونيّاً أبديّاً، ولو خرجت الطّاقة المنبعثة عن المقدار المتوقّع لها بمقدار أكبر لتفجّر القمر بنا وبليلتنا الخالدة وبمواطنيه كلّهم من العالم الجديد.

طاقة البعد الخامس مرتبطة بطاقة الحبّ، وبدائرة الجنس الخالدة المقدّسة التي تحتوي الوجود كلّه، لعلّك تسألين ما معنى الجنس؟ ولكِ حق في هذا السّؤال. الجنس يا صغيرتي هو قوة تختزل النّماء والاستمرار والحياة، وتكفل موثوقيّة المحافظة على العِرق البشري بصفاته ومميزاته وحوامله ومحدّداتها كلّها، وهو فعل تتكاثف فيه أدوات الجسد والروح والنّفس من أجل خلق تعبير عن الحبّ والحياة والاستمرار والتّعبير عن الفعل الجمعي بذاتيّة خاصّة، وبأدوات خاصّة، البشر جميعهم يملكون أدوات الجنس وآلاته الطّبيعيّة، وفي هذه الأعضاء تسكن اللّذة والسّعادة والاحتواء كلهّا.

لا قيمة للحياة دون الجنس، ولا جدوى للذكورة والأنوثة دون فعل التّواصل الجنسيّ الكامل، يقول خالد إنّ الجنس كان الطّريق الوحيد للحبّ والتّواصل بين الذّكر والأنثى في الألفيّات الماضية، لكن بعد انتصار الماديّات، وانحصار القوى الرّوحيّة، واتخاذ الإلحاد ديناً، والكفر بالله، ورحيل الأنبياء، واندثار العبادات والرّموز

الدينيـة، واسـتفحال الأمـراض الجنسـية المعديـة، وتشـوّه المخيـال الإنسانيّ، وانتشار العنّة، وشيوع تشوّهات الفروج والقضبان بسبب الحـروب الذّريّـة الداميـة، واسـتفحال التّلوثـات البيئيّـة والكيميائيّـة والبيولوجيّـة، فقـد انقـرض الجـنس، بعـد أن تذبـذب في سـنين مـن التّجريم والمطاردة والتّحريم من حكومة المجرّة، ثـم نُسـي تمامـاً، بـل نُسختْ ذكرى انقراضه، وما عاد له ذاكر حتى ولـو في ركـن تعليمـيّ في متحف أو مركز أبحاث، وغدا القليل فقـط مـن العلمـاء والمتـابعين لقضايا التّاريخ الإنثروبولوجيّ والفضوليين والمالكين لـبعض نفـائس المخطوطـات والرّقـع الإلكترونيّـة والـذّاكرات الممغنطـة الـتي تشـير للجنس وتملك صوراً نادرة لبعض ممارساته هم العارفون به وبحكايتـه الطّويلة مع الإنسانيّة.

والدكِ من أولئك الباحثين القلّة العارفين بسـرّ سـعادة الجسـد، ومعنى آلاته، وغرض وجود أعضائه الجنسيّة، ومن هنا كانت البداية، كان حبّه لي، وعشقي له، وقد جمعتنا الكلمة في هذا الشّـعور المسـمّى العشق، ألم أقل لك إنّني ووالدك كائنان لغويّان.

حبيبتي لقد تعبتُ بحـق، يجـب أن أرتـاح، وأن آكـل قلـيلاً قبـل أن أنام، فأنتِ في حاجة إلى الطّعام المغذّي، وأنا مـن عليهـا أن تأكلـه، وتهضمه، وترسله إليكِ عبر توليفة معقدة من الوشائج وحبـل سـرّي مدهش يصل بين نبضي ونبضكِ.

تقول حكاية النّوم يا ورد الجميلة:

"الشّعاع الضّوئيّ الصّغير المولود حديثاً كان سعيداً بقوته، مغترّاً ببريقه وشفافيته المدهشة. قام بالمغامرات كلّها. انكسر في الماء، امتدّ في المساحات، تسلّل في الأزقّة، قطع أشّعة أخرى أقلّ نشاطاً وزهواً منه، ارتدّ عن الأسطح، وانكسر دون عناد في الماء، لكن عندما عجز عن أن يخترق نفسه عرف معنى الهزيمة والحزن، وأصبح حكيماً كغيمة عجوز".

من رسائل خالد:

"كيف أصبحتِ يا وجه العشق في روحي؟ إنّ العطش وحده يعلمنا لذّة الماء، والحرارة وحدها تعلّمنا لذّة البرد ومعنى الشتاء ولياليه الباردة، هي ذا الحكمة التي لم أتوقّف عن تعلّمها من هذه الحياة التي كلّما كرهتها ازددتُ حبّاً لها، وتعلقًا بها، والحلم هو طريقي الجميل إليكِ، نعم لطالما قادتني الأحلام إلي بنيانكِ المرمريّ، إلى جسدكِ الذي اشتهيته لذة وشهوة، هل تعلمين ما الذي يحدث الآن في دواخلي؟ أنا أحلمكِ، وأحلم بكِ يا وجه الحقيقة، أريد أن نلد طفلة نسمّيها بما يشهد به الحبّ الذي أكنّه لكِ، سأبحث في الأساطير جمعاء حتى أجد المعنى الذي يحمله هذا الحبّ الذي تحوّل إلى قنطرة تصل بين القلب والروح والجسد، أريد أن أقبّلكِ دون حدود كي أنقذ روحي من الهلاك، أريد منكِ أنثى كي تملأ الأرض

خصباً، فصحرائي التي تمتدّ بين أضلعي لم تعد تتحملّ هذا العطش كلّه، أريد أن نطلق على ابنتا اسم ورد، لهذا الاسم قصّة طويلة تشبه جمالكِ، أقسم أنّنا سننجب هذه المخلوقة الخالدة الجميلة، أراهن على ذلك، أريد أن أسقيكِ كي أُسقى، أريد أن أبلل حدائقك بمائي الذي حملته وخبأته في بئري منذ أربعين عاماً ومنذ الأزل، بل قبل ولادة العالم، إنّه ماء الأنثى، ماء الأمل، ماؤنا، ماؤكِ يا نبيّتي القادمة من غياهب الروح. أحبّكِ يا ملاكي". أشتهيكِ: خالد

* * * *

هذه الصّفحات انتهتْ سريعاً، ما كاد يدلف إليها حتى انزلق خارجاً منها، كان سيسعده أن يكتشف سرّ معادلة طاقة البُعد الخامس، لكّنها قد أحسنتْ وحبيبها في إخفاء سرّهما، هي قد ماتتْ دون سرّها، فماذا كان مصيره هو؟ لعلّه مات أيضاً، أو لعلّه متسربل الآن في أحزان لا تعرف نهاية بعد رحيل من أحبّ، أتراه يعرف أنّها رحلت، وتركت له جنيننا مخبوءاً في جسده؟ لو عرف بذلك، ما تراه سيفعل؟ لا أستطيع أن أتنبّأ بردّة فعله، يبدو أنّ للعاشقين سيراً خاصّة وأفعالاً مختلفة وإرادات حديديّة قد تصل بهم إلى حدّ الموت دون إفشاء أسرارهم العاطفيّة، الآن فهمت كيف يمكن أن تموت تلك المرأة العاشقة العنيدة مشبوحة على دكّة التّعذيب أو مجذوبة إلى كرسي الاعتراف دون أن تنطق ببنت شفة.

أيكون إصرارها على كتمان سرّها هو سرّ ابتسامتها القرمزيّة في تلك اللّيلة التي قابلتها فيها جثّة عارية من كلّ شيء في غرفة العمليات؟ أم أنّها كانت تهزأ من جلاديها الذين سلبوا روحها، وما استطاعوا أن يسلبوا روح جنينها الرّاسية في قرار مكين من جسدها وروحها وذاكرتها؟ لعلّ ابتسامة الأم المشفقة على وحدة جنينها هي من كانت تملكها في تلك اللّيلة، إذن هي لم تكن تبتسم له أو منه، هو كان ذاتاً مكلومة ممزّقة تنحصر اهتماماتها في سلب جسدها، وهي كانتْ طاقة كونيّة تسلّم راية الحياة بصمت إلى جنينها، وتحلّق بعيداً نحو العشق الدّائم وحضن خالد.

كم كنتُ صغيراً في تلك اللّحظات، ولصّاً حقيراً أيضاً! يؤنّب نفسه بصوت مرتفع، ويربتُ على بطنه لأوّل مرة، ويقول بنبرة حُبلى بالرّجاء: وأنتَ أيّها الجنين، لماذا أنتَ صامت؟ لماذا لا تكفّ عن هدوئكَ الذي بات يغيظني؟ قل لي شيئاً حول كلّ ما قرأت لكَ، أنا أقرأ لكَ عن أمّكَ، فما رأيكَ؟ لا بدّ أنّك محظوظ؛ لأنّك تملك أمّاً تقرأ لكَ وهي بهذا الجمال وهذا الحبّ كلّه، وتحدّثكَ، وتقصّ عليكَ أجمل القصص، يا لكَ من منكود محظوظ! أنتَ تحبّها بكلّ تأكيد، ومن له أن يملك أن لا يحبّها؟ أليست سيدة المحبّة، لا بدّ من أنّني محظوظ لأحظى بجسد سكنته روحها الطّاهرة، أقول لكَ شيئاً أيّها الصّامت صمتاً يكاد يقتلني؟ أنا أشعر أنّ روح أمّك ما تزال تسكن جسدي، وتزحمه عليّ، لكن لا بأس، ما دامت تزحمه بجمالها وحبّها وقصصها الجميلة،

وطاقتها الكامنة المدهشة. لماذا لا تقول شيئاً؟ تكلّم، تحرّك، ارفسني لو شئت، المهم أن تقول لي شيئاً ما.

ينقر الجنين جدار بطنه بحركة نابضة تدفعه باتجاه كفّ يده المبسوطة على أعلى تكوّر البطن، يدرك أنّ جنينه الصّغير يتعاطف مع مشاعره الجيّاشة في هذه اللّيلة الماطرة الباردة، يمسّد عليه من جديد، ويغتنم فرصة صفاء نفسه ليبكي وينتحب، مؤثراً طعم دموعه على أن يظفر بمعرفة معادلة طاقة البعد الخامس، وعلى أن يعرف أكثر عن طاقة الجنس التي يفارق دبيبها النّابض نفسه بعرق يتنزّى سخيّاً من أعلى جبهته، وينحدر سخيناً ليختلط بماء دموعه المالحة.

(٣)

اليوم: ٥ شهر النّور عام ٣٠١٠م

لّي وجه لا أعرفه، وكنتُ عرفتُ وجهاً منه لا يشبه وجهي، حيّرني هذا الكائن الذي ألمّ بي منذ القديم، وصرخُت في وجهي حتى انفجرتُ، وتشظّيتُ، وصرتُ ألماً يطرق قلوبي التي حملتها ووجوهي المضاعفة، ما هذه الذّوات التي عبرتني، وعبرت بي الأعمار، وطافت بي متاهات الزّمن كلّها؟ ما معنى أنّني عدتُ إليك أيتها الأرض بعد أن غبت عنكِ، وتركتكِ حبلى بالموت والآلام؟ قولي لي أيّتها السّاكنة جسدي، هل تموت الرّوح حين تفارق مسكنها؟ هل ينتهي الجسد بنهاية الجسد؟ قل لي أيّها الوجه الذي عرفت به الله ماذا سأفعل بعد

دقيقة واحدة من انتزاع الـذكرى مـن محـار تركتـه علـى سـطح بيـت جدتي؟! قولي لي يا شمس هل يمكن أن تكوني كاذبـة مثـل أيّ بشـرٍ فان!؟ ماذا أفعل الآن هنا؟ أليست الطّـرق كلّهـا تتعـب مـن الطّـرق والأقدام؟ ماذا فعلتِ هناك؟ أليسـت البحـار كلّهـا تتعـب مـن وجـه السّماء، فتحار بين الأزرق وحمرة المساء؟

ماذا نسمي وجوهنـا حـين تغيـب عنـا؟ لاشـيء سـوى العـدم، لاشيء سوى ضروب من الفـراغ والـلاّ معنـى، سـوى سـحر أغنيـة فاضتْ من كأسٍ، فسال الوقت وفـاض العمـر، وصـرنا صـوراً دون مصير.

مثل شراب الصّباح كنتُ أسير تحت سيول الخريف، وأنا ألعـب بالكلمات وأغني الحياة، مثل جلسة على مائدة مسـتديرة كنـتُ أخـطّ الكلمات، وأقضم صور الطّفولة وأنا أرشف مع كلّ هبّـة ريـح بقايـا حبّ قديم. ما الحبّ يا قلبي؟ ما الشّوق يا صدري؟ مـا الفـراق حـين يختلط الصّمت بسكون الليل، وعجوز تشتهي الموت ولا تتحـدّث إلا عن طفولتها؟ ما العيون حين تشتهي منها النّظر، فتخونـكَ برمشـة أو انحناءة ومراود الكحل ترسم الخط الفاصل بـين الضّـفتين، والشّـفتان تتلمّضان بقايا كأس أو قُبْلة على إحدى الممرات؟ ما الحـبّ يـا حبّـي الذي غرّب بي وشرّق بي ورمى بي في المجهول؟

لا معنى لي بعد هذا العبور كلّه إلى ضفاف الخريف. روحي شتاء يأتي قبل الخريف. وخريفي صيف يأتي دون فصول، ووجهي قطعة أرض شوهتها أيادي البشر المأفونين. ما الحبّ يا قلبي؟ ما الشّوق يا صدري؟ ما المسافة والمواسم والأنثى والصحراء وقطر الماء حين يتلوّن الوجه، ويلبس الجسد درع النّهاية؟

أنا الحائر الذّاهب الآتي العائد القادم المذبوح اليقظ، شاخ جسدي، وأعيت السّنون وجهي. بينما حبّك يلهو بي كقطعة قماش وهو يطلق قهقهاته التي أربكتْ ما تبقى من المسير. أنا الموت المنقوش على لوح الرّوح، أقول لكِ يا طلوع الأفلاك إنّ قبري يتسلّل إلي بين الموتى كي يخبرني بأسرار المحار واعوجاج مخابئ ساكنه.

أنا الموت الذي انفضح الجرح أمام عينيه، وتقاطرتْ مصائر القادم على وجنتيه، فاخترت أن أكون شيئا آخر إلّا أنا، لا أستطيع أن أكون إلّا حبّكِ.

خسرتُ اليقين، وخسرتُ الجرح والبحر، وما تبقى كان فقداناً، أو إن شئتِ مجرد ليلة لم أنم فيها، فغطى الحلم يقظتي، وانصرف تاركاً هلوسات وجنوناً يشبهني، وهو يلبس ملامحي كلّها ونغمات روحي. خسرتُ زمناً كاملاً بين الفهم والحيرة، بين اليمين واليسار، بين الشّمال والجنوب، بين الحبّ والخيانة وصور الموتى.

ما الحبّ يا قلبي؟ أيُسمح لي بأن أحبّ بعد كلّ هذا التاريخ المسروق من البشرية الحمقاء؟ ما الخيانة يا صدري؟ أليس كلّ حبّ هو وجه من وجوه الخيانة؟ أنا عاشق الموت، خائن الخيانة الذي لا يوجد إلا في أقصى شمال الخريف حيث الموت مجرد محاولة لنسيان معنى الفقدان. ما الحبّ يا حبي؟ ألست يا شمس كذبة سجّلتها في صدري يوم تعلّمتُ السّير في المتاهات؟" أشتهيكِ: خالد.

هذا الصّباح وجدتُ نفسي محاصرة بكِ يا غاليتي الحبيبة، أنتِ الآن تحتلّين المسافات كلّها، وتقاربين الرّوح، فتكونين قوانين طبيعتي كلّها، تسكنين أحشائي، وتملين رغباتكِ على جسدي، حاولتُ أن أشرب مشروبي الصّباحيّ، وأن أتناول فطوري المعتاد، وأن أتجرّع دوائي المقوّي، لكّنك رفضتِ ذلك بعناد طفوليّ بأبّهة سلطويّة نافذة، ترفضين ما آكل، تملين عليّ أن أتقيّأ ما يصل إلى معدتي، وأن أنفر من كلّ رائحة طعام أو شراب أو بشر، حتى عطري المفضّل بتُّ أنفر منه، ولا أطيق بقايا رائحته على ملابسي، تهبينني دوخة لذيذة، ورغبة دائمة في البكاء دون سبب أعرفه، يا لحلولك فيّ ما أشدّ صعوبته! أكلُّ الحمل البشريّ بهذه الصّعوبة أم الحمل بك أنت بهذه الصّعوبة المقلقة؟ ليس هناك نساء غيري في الكون منذ ألف عام حملن بالشّكل الطّبيعيّ لأسألهنّ وأستشيرهنّ في شأن الحمل، فالحمل الكونيّ الحديث يتلخّص في اختيار الصّفات والكروموسومات والشّكل ودفع قيمة الجنين وتركه لينمو في حاضنات آلية إلى أن يبلغ نضوجه، ويخرج

من شرنقته، فيستلمه والداه مع شهادة ميلاده وخريطة رسميةّ موثّقة بخطوط دراسته واحتمالات عمله ومحاور مهاراته وقدراته ومواهبه وفق خارطته الجينيّة المصمّمة من أجله، الحصول على طفل في هذا العالم لا يختلف كثيراً عن التسوّق الأسبوعيّ من أجل حفل عشاء رسميّ، أو دفع مخالفة مالّية لجهة ما.

وتكرار اللّجوء إلى أطباء فيه الكثير من المخاطرة، فهذا سيعجّل في افتضاح أمري، وكشف حقيقة سبب غيابي عن العمل واعتذاري عن الكثير من الأعمال الكتابيّة والمقابلات المتلفزة الأثيريّة، وسيسارع بكلّ تأكيد في تفجير المزيد من المشاكل مع حكومة المجرّة، وقد يتطوّر أمر حملي إلى جريمة أو سجن أو غرامة، أو استياء شعبيّ من سلوكي، فلا أحد يرغب في أن يساند قضيّة امرأة يصل بها التّمرّد على الحكومة إلى حدّ إنتاج طفلها بطريقتها الخاصّة، واتخاذ منافذ الجسد البيولوجيّة من أجل هذا الإنتاج، فلا أحد تقريباً بات يظنّ أنّ المتعة والحياة والمحبّة والنّسل تسكن في جغرافية البول والبراز واحتقان روائح الجسد ذاتها، لكّنها السّبيل إلى نعيم الجسد، وأنا قد سلكتها.

وقد يخشى الجميع منكِ يا ورد، ويعتقدون أنّني سألد لهم كائناً فضائيّاً متوحّشاً مثل تلك المخلوقات التي يزعمون وجودها في عوالم فضائيّة لم يصل إليها إنسان، أو عاد منها أثر ضوء يحمل خبراً أو علماً أو رسالة أو صورة، كيف سأفهم الجميع أنّك ستكونين أجمل صورة

مختزلة لي ولخالد؟ هذا أمر بعيد عن الإقناع السّهل، إذن عليّ بالتحلّي بالصّبر والصّمت إلى حين اتّضاح الصّورة، لو كان خالد هنا لدعمني، ولمدّني بالكثير من المعلومات عن الحمل، لكنّه الغائب الحاضر الآن، وبذرته في رحمي تعاين التّمرد والحياة بطريقتها الخاصّة.

لا تحزني يا حبيبتي؛ لأنّ أمّكِ ستواجه الكثير من الصّعوبات بسببك، أنا مستعدّة لذلك ما دام الحصول عليك هو الثّمن، ستحظين بالكثير من المعطيات الخاصّة؛ فأنتِ أوّل طفل يولد بهذه الطّريقة قي المجرّة منذ ألف عام، وأنتِ أوّل ابن حقيقي لوالديه بالمعنى البيولوجيّ الحقيقيّ؛ لذلك ستحظين بولادة من نوع خاص، وستحظين بحملٍ طويلٍ يبلغ تسعة أشهر، وقد تضطلعين بخصائص أخرى وظروف طارئة وصفات وملكات غير متوقّعة؛ فأنتِ قد تعرّضت لمجال طاقة البُعد الخامس يوم زرعكِ خالدٌ في رحمي، ولا أحد يستطيع أن يجزم بأثر هذه الطّاقة عليكِ، المستقبل فقط هو من سيعرّفنا بذلك.

لقد بذلت من أجلكِ كلّ ما استطعت من حذر وحيطة وتكتّم، وحده الله من يستطيع أن يهبني وإيّاك الخلاص، أتعرفين من هو الله يا ورد؟ إنّه تلك القوّة التي تملأ عليك الظّلمات نوراً، وتشعركِ بأنّ هناك قوة خفيّة ترعاكِ، وتدعمكِ، فتأنسين بها من وحشة العالم. سأحدّثكِ طويلاً عن الله في الأيام المقبلة، أمّا الآن فعليّ أن أستريح قليلاً، وقد آخذ قسطاً من النّوم مادمتِ تحرمينني من الطّعام

والشّراب والرّوائح، وتفرضين عليّ إقامة جبريّة في سريري هروباً من دواري اللّذيذ.

تقول حكاية النّوم ياورد الجميلة:

الأم الطّيبة كانت أكثر نساء الدّنيا حزناً وألماً؛ فقد وُلد توأماها الجميلان بزوجي عيون دون نور، كانت عندهما عيون جميلة، لكن معتمة لا ترى، لم يستطيعا أن يريا أسراب السّنونو في السّماء، وجري الخيول في الوديان، ورقصة السّنابل التي تداعبها الرّياح في الحقول، ونظرة العشق في العيون، ونظرة الحنان في عميق عيني أمّهما، تضرّعت الأمّ طويلاً للآلهة كي تهبهما نوراً لعينيهما بأيّ شكل من الأشكال، الآلهة كانتْ ثملة في تلك الليلة، وراغبة في تسلية جهنّمية، استجابت لضراعة الأم الطّيبة، وفي لحظة إرادة جبّارة أشاعت النّور في عينيهما، وأطفأته في عيني الأم.

توقّعت الآلهة أن تضحك كثيراً من هذه المهزلة الإنسانيّة المبكية، لكّنها خجلت من نزوتها وحماقتها عندما غدت الأم ترى عبر عيون أولادها المسكونة بنور عينيها أسراب السّنونو في السّماء، وجري الخيول في الوديان، ورقصة السّنابل التي تداعبها الرّياح في الحقول، ونظرة العشق في العيون.

من رسائل خالد:

"سكون اللّيل في وجودي، بهاء الكتّابة ولوح طفولتي المقدسة؛ شمس هذا شهر "النّور الأحمر" العظيم، بخضرة العينين وفسحة القلب

ورحابة الرّوح، وامتداد نظراتكِ. أهبكِ حبّي مقدساً لـزمن امتلأنـي، وامتلأت روحي به، وكنتِ الحضور الدّائم منذ بداية عهد الحيـاة. إنّـه حدث الحبّ وزمن القلب ولوعـة المحـبّ الـذي عـاش دهـراً لم يكـن خلاله غير باحث عـن معنـى كنـتِ أنـتِ فائضـه ودليلـه في خـرائط الكائن.

في شهر" النّور الأحمر" أمتلئ حياة أو موتاً، وأشتعل ماءً وحرائـق، وأكتبُ الموسيقى والألحان، وأرسم الصّـور والأوثـان، فأعبـد صـورة واحدة هي أنتِ، في شهر" النّور الأحمر" يغتسل قلبي، فأولد من جديـد. ها أنذا أسرح في السّماء، في الهواء، في البعيد، في المدى، حيـث الأفـق يصبح ملهاة، ويصبح البعاد قُبْلة تنقذ العالم من الغرق. ها أنـذا أعيـد البحث عن لوحاتي التي رسمتها بريشة اللّحظات والعمر. فأرى وقتـاً استثنائياً هو أنتِ.

هل تعلمين حقيقة حبٍّ لا يتحقـق إلا زمنـاً؟ إلا امتـداداً أفقيـاً على قمة تلال الوقت والعمر والزّمن؟ هل تعلمين أنّ الـزّمن وحـده يحقق أبعاد الحبّ التي لا يدركها العامة؟ أنا أيضاً مـن العامـة، لكـنّني مـن عامّـة أزمنـة لا تعـرف هـؤلاء الـذين مـلأوا الكـون، وأفسـدوا الكلمات". أشتهيكِ: خالد

* * * *

كان اليوم مضنياً لروحه، ساحقاً لآخر أفراحه المحتملة، لسوء حظّه أنّ له صكّ عهد ملزم مع الألم وخيبات الأمل منذ أن انزلق في جسدها، لو أُجريت له هذه الفحوصات منذ أيام، وحدّد له موعد الإجهاض قبل أن يصبح شريكاً إجباريّاً في مراقبة حلمها في وهب الحياة والحماية لورد، لهان الأمر، إذن لتخلّص من جنينها الذّكر العبء الذي تظّنه أنثى، ولهيّأ نفسه للمرحلة الثانيّة من علاجه، ولنسيَ تماماً هذا الوضع الملبس الذي يعيشه، ولارتاح بشكل جذريّ من انتفاخ جسده وتعملق أطرافه وهذا الكمّ الكبير من احتباس الماء في جسده وتنفّخ قدميه واحتقان ثدييه وضيق أنفاسه واضطراب ضغطه واحتباس إخراجه وضعف مثانته واضطراب مزاجه ورغبته المحرجة والملحّة في اشتهاء أشياء مفقودة وامتصاص الموالح بجذوة يصعب إخفاؤها.

لكّنه الآن عالق في أحلامها وفي مشاعرها وفي حبّها لورد، بالتّحديد عالق في حبّه لجنينهما مهما كان اسمه أو جنسه، كيف يستطيع أن يعدمه بمجرد اعتماد موافقته بتوقيع إلكترونيّ على ورقة الإجهاض؟ كيف يمكن أن يهزأ من مشاعر شمس ومن انتظارها وخوفها وأمومتها؟ كيف يمكن أن يبيد إنساناً قادماً لسبب أنانيّ؟ أيفعل ذلك؟ ويحرم البشريّة من فرصة قادمة للنّجاة؟ لعلّ هذا الجنين هو نبي الإنسانيّة المخلّص المنتظر للألفية الثالثة، فكيف له أن يحمل وزر قتل نبي في أحشاء أمّه؟

لعلّه لا يكون نبيّاً، بل قد يأتي مسخاً مخيفاً يحمل الشّر والأذى كلّه، لكنّه لا يستطيع أن يجزم أبداً بذلك، ومن له أن يفعل؟ إذن ماذا عليه أن يفعل؟ عليه أن يكون بقدر كرم المرأة التي وهبته جسدها، وإن لم تُستشر في ذلك، فهذا أحرى به كي يقوم تجاهها بواجب التّعويض والوفاء والإخلاص، ومن أبسط أشكال الامتنان لها أن يحترم رغبتها الأخيرة والأكيدة في الاحتفاظ بهذا الجنين، وحمايته إلى أن يصل إلى برّ الأمان، فهذه الرّغبة هي من أطعمتها للموت بشكل أو بآخر، إذن فللجنين حقّ أصيل في أن يبقى في رحم أمّه إلى أن يستوفي زمنه الطّبيعيّ، ويغادره ناضجاً مؤهلاً للحياة خارجه.

قد يقول العالم كلّه والبشرية والأطبّاء والحكومة إنّ لا حقّ له في البقاء في هذا الرّحم، لكنّني وحدي صاحب الحقّ في الكلمة الفصل في هذا الأمر، وعدالتي وصوت ضميري يقولان إنّ له الحقّ كلّه في البقاء في رحم أمّه حتى آخر لحظة قبل ولادته، فهو رحم أمّه، فما قيمة الآراء جميعها أمام صوت ضميري الذي يخز إنسانيتي دون رحمة.

أستطيع أن أحتمل آلام الحمل ومشاكله ومواجع الوضع، لكنّني لا أستطيع أن أحرم شمس من حقّها الأموميّ في حماية جنينها، بتُّ أشعر بمشاعر الأمومة أكثر من مشاعر الأبوة التي عشتها زمناً طويلاً، ولم تصل يوماً إلى قلبي، ولم تتجاوز أن تكون التزامات رسميّة

وقانونيّة واجتماعيّة وأدبيّة نحو كائنين مصنوعين في معامل الدّولة وفق رغباتي وطلباتي، ويُعدّان من صلبي، ويحملان اسمي، والحقيقة البيولوجيّة عكس ذلك تماماً.

الآن أنا لا أفتقدهما، بل لا أفتقد أمهما زوجتي التي تجاهلتْ وجودي، ونفرتْ من شكلي الأنثويّ الجديد، ونعتتني بالمخنّث، وانقطعتْ عن زيارتي وأنا في أمسّ الحاجة إلى دعمها ومشاعرها؛ لأنّني فقدت جسدي الذّكوريّ الذي تعشقه، وتسعد بالافتخار به أمام الصّديقات والقريبات، كما فقدتُ عملي العسكريّ الرّفيع الذي يوفّر لها الامتيازات الاجتماعيّة والأدبيّة الرّفيعة والرّحل المجانيّة السّنوية إلى كثير من الكواكب، ويدعم وجودها وترقياتها في عملها الذي تحبّ راتبه الكبير أكثر من التزامها بأدبياته الخطيرة ومهماته الحسّاسة.

هي الآن غائبة عن الرّوح والفضاء المكانيّ، قد كدتُ أنسى ملامحها الحلوة المناسبة لبرجوازيتها المصنوعة حديثاً على أكتاف وظيفتي الحسّاسة، وكدتُ أتنكّر كذلك لطفليها المصنوعين وفق سحنتها الجميلة الباردة كقالب ثلجٍ معتم، لا بدّ أنّها ترفل الآن في الدّمقس والحرير بعد أن استلمت من الحكومة تعويضاً عن أضراري، فوفق قانون الدّولة هي من كان لها أن تحصل عليه، وتطلق يديها في الإنفاق منه وفق ما تشتهي ما دامت الوصيّ الشّرعي على ابنينا القاصرين في أثناء سقوطي في غيبوبة عميقة طولها ثمانية أشهر.

لتذهب هي بالمال والابنين وبسنين طويلة من الزّواج الباهت الممجوج، وليتذوّق مع جسد شمس تلك الغائبة الحاضرة حلاوة الأمومة، وليسعد بالجنين ولو إلى حين، ولينتظر القادم بكلّ ما يحمل من صدف ومفاجآت، فهو على الأحوال كلّها لا يملك غير جسدها والجنين ليراهن عليهما، فالماضي كلّه ذهب مع جسده الفاني، والحاضر والمستقبل مرهونان بهذه السّعادة الصّغيرة التي تتسرّب إلى نفسه كلّما مسّد على بطنه، وقرأ لجنينه مذكرات أمّه، وشاركه في تلقّي حنانها، وتتبّع مراحل عشقها، واحتضن بجسده أحلامها وإرثها الوحيد، ورعاشات روحها واختلاجات قبلاتها، وسِفْر أشواقها لخالد.

سيحتفظ بهذا الجنين مهما كلّفه الأمر، وسيجعل من ادّعاء الخوف من تكرار العمليّات الغريبة والقلق على حياته وادّعاء حاجته إلى وقت إضافي كي يرمّم شروخه النّفسيّة درعاً واقياً لنفسه من الشّكوك في سبيل الاحتفاظ بهذا الجنين الذي يبيت في قلبه، وينبض بنبضه، ويحتمي بأحشائه من يتمه وخوفه وبشاعة هذا الكون الرّديء حيث لا حضن دافئ في انتظاره سواه.

(٤)

اليوم: ٦ شهر النّور عام ٣٠١٠م

أنا قلب لا يقرعه إلا القدر الجميل الذي حوّلني إلى حكاية حبّ يا شمس؛ لذلك عشقتكِ، أنتِ المطلق الـذي يختـزلني في مجـرد عشـق وعاشق، وأتمنى أن أكون المعشوق يا ولهي، يا نبيّتي، يا طريقي إلى اللّه.

لا يمكن أن يكون هناك حبّ من دون ألم وحزن؛ فالحـبّ الحـقّ هو الذي يؤلم، ويحزن، ويجعل القلب دائم الخفقان، إذا لم يخفق القلب حزناً أو فرحاً فلمن يصلح يـا نبيّـة الكلمـة؟ هـل القلـب آلـة لضـخ الدّماء فقط؟ من قال هـذا؟ القلـب كتلـة مـن الألم والحـزن وبينهمـا يسكن العشق واللّذة والحقيقة الوجوديّة العظمى، في ارتعاشـة القلـب وخفق جناحيه ينام العشق، وهو يحلم بقرع القدر الـذي لا ينتهـي إلا رائعاً وخالداً خلود ملامحكِ في تجلّياتي كلّها.

من أنا الآن لأقول لكِ إنّني أكثر حبّاً لكِ مـن المحـبين جمـيعهم؟ من يكون هـذا الكـائن الهلامـي الـذي ضـاع في طيّـات حقائقـكِ؟ ! أسكرة موت أم قطعة من مسالكِ الحياة؟! أهبـة عُمْـر في هـذا المـدى الذي تزمّنَ بالتّواريخ والأعمـار أم صـورة كائـن يحمل جمراً مشـتعلاً في دواخله؟ لا بدّ أنّ الله قد صنعكِ في لحظة أراد فيها أن يصنع كائنـاً فريداً يرسم الكون بمهارة.

قولي لي يا شمس من أنا؟ فأنا أعرف أنّك القدر الذي طرق بابي يوم كنتُ جالساً أتأمّل صنع الله للكون، واكتشفتُ أنّ هناك بُعداً خامساً يفسّر ألغازه كلّها، فكنتِ أنتِ وحبّك هذا البُعد الخامس".

أشتهيكِ: خالد

لستُ اليوم أفضلُ حالاً، فأنا أعاني من وحدة عجيبة، وأشعر بأنّني خائفة كما لا ينبغي لنبيّة تحمل أسفار القادم، وتخفي في أحشائها طفلة المستقبل، وتعيش أجمل قصة عشق لأعظم رجل في هذه المجرّة، لو كان خالدٌ الآن معي لاختلف وجه الأشياء، ولكانتْ قسمات الحقائق أجمل، ومباسمها أبهج، وهي تستقبلني باحتفاء بعشق هذا الرّجل النّادر، لكّنه غائب الآن؛ لذلك للخوف اللّئيم والوحدة الشّمطاء والقلق أن يتحالفوا جميعاً ضدّي، فتهصر سعادتي، وتغور نحو الجحيم.

أنا اليوم أكثر جوعاً، وقد أكون أكثر نحافة وأشدّ شحوباً؛ فمنذ يومين لم يثبت طعام في معدتي، حبيبتي أنتِ ترفضين بقوة أيّ طعام أرسله إليكِ، ألا يعجبك ما آكل؟ أم هو دلال متمادٍ منكِ؟ على الأحوال كلّها أنت أنيسة روحي، ولكِ أن تتدلّلي كما تشائين، ولي أن أطيع وأرضى وأسعد بكلّ ما تفعلين، ألستِ بعض خالد وهديته الخالدة لي؟ إذن لكِ النّفس ملعباً لطفولتك وشقاوتك

وأوامركِ، ولي أن أجوع، وأن أتوحّم حتى تطلب نفسكِ ما تشتهين، فآكله لكِ.

الانتظار هو كلّ ما أملك الآن، وليس لي غيره، أنا أنتظر ولادتكِ، وأنتظر عودة خالد من رحلته الغامضة، وأنتظر دون قلق أن يلقي جنود الحكومة القبض عليّ، ويقودوني نحو المجهول. لستُ مجرمة، لكنّني أعرف أنّ الأمور لن تمرّ على خير وسلام، وآرائي تملأ الدّنيا، وتحشد الأنصار الذين يطالبونني بأن أقود ثورة تصحيحيّة في المجرّة لأعيد الأمور إلى نصابها، وأكفّ أيدي الرّجال الآليين الذين غدوا قوة ضاربة في عمق الوحدة البشريّة وفتيلة انفجار يهدّد الجميع بمستقبل قاتم يستعبد الإنسان، ويحوّله إلى عبد لمولاه الآلة، قد أقود هذه الثّورة في أيّ لحظة، لكنّني أنتظر عودة خالد من رحلته، فثورتنا تحتاج إلى كلينا وإلى طاقتنا العملاقة، وأنتِ يا ورد من ستكملين الطّريق من بعدنا، وأنتِ من ستحملين الرّاية، وتكتبين عليها: لا إله إلّا الله.

حربك ليستْ سهلة؛ فهي حرب ضدّ البشر الشّريرين والآلات المتسلّطة والشّياطين. أتعرفين ما هو الشّيطان؟ إنّه كلّ قوة ضّالة تأمر بالأفعال الآثمة وبالطّغيان والتّظالم والتّحاسد والكره والقتل، وتنكر على الإنسان الإيمان بربه. المجرّة الآن تعجّ بالشياطين الآدميين

والآليين، وتعجّ بالبشر التّائقين إلى نور الخالق وهديه، وأنتِ رهان الجميع على الطّريق إلى الخالق والنّور.

لا تخافي يا حبيبتي، ولا تخشي أحداً، بقوة الخالق وقوة طاقة البُعد الخامس وقوة عشقي وعشق خالد الذي صنعكِ من العدم سوف تكونين الأقوى، وحتى ذلك الوقت أنا أحميك من كلّ شيء، وأتستّر على وجودكِ حتى يعود والدكِ، وننتقل إلى العيش معه في إحدى مدن القمر أو في المدن الجديدة في واحدة من كواكب المجرّة، هناك سنجد الملجأ والعون والأنصار، أمّا هنا فأنا محاصرة بقوى الشّر كلّها وبمراقبة المخابرات التي تدركني في أيّ مكان أكون فيه، من الصّعب في هذا الزّمن أن نتهرّب من سلطة المجرة ومراقبتها، وهي من تراقبنا بالخفاء والجهراء في تفاصيل حياتنا كلّها عبر أحدث وسائل المراقبة والتجسّس، ألم أقل لكِ يا حبيبتي إنّنا مجرد أرقام في هذا العالم الرّقمي المخيف؟ لذلك من العبث أن أهرب من بيتي، وأعرّضكِ للخطر، وأنا في الأحوال كلّها في متناول أيديهم.

لعلّهم يراقبون الآن ما أكتب لكِ، لكنّني لا أبالي بذلك، فما أكتبه لكِ ليس سرّاً لا يعلمونه، لكنّه غيب لا تعلمينه أنت، وأنا أخشى أن تأتي إلى الوجود، فلا تجديني وخالداً في انتظاركِ، فيغيب عنكِ وجه الحقيقة؛ لذلك أكتبها لكِ، لتعرفي من أنتِ، وما اسمكِ، وما هي رسالتكِ، ومن هما أبواك، وأيّ عشق أنتِ مخلوقة منه، فأنتِ

سـليلة العشـق الأبـدي وامتـداد دائـرة عملاقـة للجـنس والعطـاء والانصهار الكونيّ الذي ينتظم دائرة الوجود العملاقـة، ويمنعهـا مـن التّرديّ في غياهب العدم.

أكتب لكِ بطريقة بدائيّة شبه منقرضـة، اسمهـا طريقـة النّـابض الإلكترونيّ الذّريّ، لا أعرف كيف ستتوصلين إلى معرفة القراءة بهـا، لكنّني أؤمن بقوى الخير كلّهـا الـتي ستسـاعدك في هـذا الشّـأن، هـذه الطّريقة المثلى التي وجدتها من أجل أن أكتـب لـكِ كلامـاً تستعصـي قراءته على العوام والمخابرات، ولا يسـرق مـن ذاكرتـي مـا لا أريـد قوله، فتصبح كلماتي لك خطراً على وجودكِ وعلى رسالتكِ.

حتى هذه اللّحظـة لا يعـرف بوجـودكِ أحـد غـير الله، وطبـيبي الآليّ، أعتقد أنّه ثقـة ومـؤتمن علـى سّـرنا، لكـنّني أخشـى المسـتقبل، وأنتظر عودة خالد بلهفة كي أخبره بتحقّق حلمنا وانبثاقكِ من العدم، سيحلّق عندها بجناحين من السّعادة والحبور، وقد يطير بي وبـكِ نحـو عنان المجرّة حيث السّكون السّـرمديّ والبـدايات الأبديّـة، فأنـتِ مـن تهبين معنىً للحظاتنا، أنتِ من تحولين فعل الجّنس والمتعة إلى فعل نماء واستمرار وبقاء، أنتِ يا حبيـبتي الغاليـة حصـيلة عـدد لا نهـائيّ مـن القُبـــل والاشـــتهاءات والانصـــهارات والأصـــوات والانفعـــالات والارتعاشات ودفقات ماء الوجود.

وردي، أنا جائعة أكثر ممّا تتخيّلين، هل تسمحين لي بـأن آكـل؟ أكاد أنتفض برعشة برد شديدة من عضّات الجوع المنغرزة في جسـدي النّحيل، اسمحي لي بأن آكل ولو بعض أقراص الغـذاء المضـغوط أو مـراهم الفيتامينـات أو سـوائل الطّعـام المصـنّع والمهضـوم والجـاهز للامتصاص في ثوانٍ، لن أزعجك بروائح الطّعام الطّبيعيّة، ما رأيـك؟ أعدك إن سمحتِ لي بالأكل بأن أقرأ لـكِ عـدداً كـبيراً مـن رسـائل خالد، وأن أحدّثكِ عن تفاصيل عشقنا، وعن كيفية صـنعكِ وإثباتـكِ في أحشائي، أعدكِ بأكثر من ذلك، لكن اسمحي لي بأن آكل.

تقول حكاية النّوم يا ورد الجميلة:

الملك الطمّاع كان مولعاً بجمع الأشياء الجميلة، طوّف في البلاد، وأرسل الفرسان إلى أصقاع الدّنيا جميعها؛ ليجمعوا له أجمـل مـا فيهـا مـن نسـاء وجـواهر وتحـف وريـش وذهـب وفضـة وأحجـار كريمـة وقصص وحكايات وآوانٍ وزرابـي ومرايـا وسـجّاد وآرائـك، عـادوا جميعاً يحملون أجمل ما وقعت عليه أعينهم الباحثة بنهم عن كلّ جميـل، الملك استعرض دون مبالاة كلّ ما وقعت عيناه عليـه، صـرفهم جميعـاً بعد أن كافأهم بسخاء، وأمرَ بزجّ كلّ ما أحضروه في خزائنـه المنيعـة، وجلس إلى نافذة خفيضة يبكي بحرقة؛ لأنّه يبحث عن قلب جميل يحبّه بعيداً عن ملكه وسطوته وثرائه، فلا يجده.

من رسائل خالد:

"لا تسأليني يا شمس بعد الآن من أيّ القارات أنا؟ أنا عاشقكِ وكفى، هويتي أنتِ، ووجودي لمسة روحكِ لي، وملامحي ملمح عينيكِ. هل تعلمين أنّي رجل خجول؟ ومعروف عني أنّي لا أقول لا. وكم مرة ضحّيتُ بوقتي ومالي؛ لأنّي لا أعرف أن أقول كلمة لا، أبحث في سجلاتي عن الخجل، فأجده مرجعاً في طفولتي؛ لذلك نحن نخجل من بعضنا، وقد صرنا خجلاً، وما علينا إلا أن نسمّيه كي نلقي به في الطّرقات يا حبّي. ما معنى أن نخجل؟ قد أخجل من قول أحبّك، أمّا حين تخرج مني، فإنّها تكفي كي تحمل جغرافيات الحياة كلّها وخرائط الحياة، فيها الحياة والماء وأنتِ وأنتِ وأنتِ وأناكِ وأناي وأنانا.

أتمنّى لو أكون الملتصق الأبديّ بجسدك الأسمر الجميل وبحنان صوتكِ وهو يعزفني أو يمرغني في تراب قلبكِ كي أنبتَ كوردة الصّيف. يا شمس، يا رحمة الله في صدري، اعلمي أنّي هلامي بروح تتغذّى بالصّوت، وندف الثلج وقطرات المطر، اعلمي أنّه لا يصلني العالم إلّا عبركِ الآن، عبر مدائن روحكِ وحرارة قلبكِ. أتمنى أن تتاح لي الفرصة مرة أخرى كي أجول بكِ وأنتِ في أحضاني في شواطئ كوكب الأرض على مرمى حجر من الفضاء الكونيّ المجنون، أتمنّى أن نجلس على تلة حيث نكتشف معاً كيف يتحول الماء والملح زبداً،

وكيف يتدفّق الماء غيباً في المدى، والأفق روعة وزرقة وسماء وضياء، وأنتِ امرأة القلب، فطوبى لهذا الأفق الأزرق الذي يؤرّق عيني، ولكِ حبي وخيالي وقلبي وماء حياتي، لكِ كلّي وأناي وأنتِ والجزء فيّ منكِ. حبي:

قولي إنّي كائن كي أحقق كينونتي الكبرى يا امرأتي الرّائعة، أنا مواطن الكون، أنا مواطن بلد العشق، لستُ بشراً من الأرض، بل أنا المضمّخ بملح وماء وعطر، أنا السّائح الجوّال الذي اشتعل عشقاً وشوقاً بماء عينيك الغارقتين في خضرة الحياة. أعود إليكِ منكِ، آتي إليّ منكِ، ومن أساطير العدم انبثق طفلاً كنته وكائن إيّاه الآن، من مغارة المجهول اكتشفتُ سحر العالم، فيها وقفتُ أرقب انتحار الشّمس، منها رأيت كيف تحمرّ الشّمس، وتسقط نزيفاً على الأفق يفصل البحر عن المحيط، أنا اللامنتمي الذي قدم من سهول ما تزال عالقة فيها رائحة الشّهوة وقُبل السّاحرات والجميلات، والوفاء يلطخ المكان، أقبّلك بخجلٍ، أعانقكِ بخجلٍ، أتعرّى وأعرّيكِ، أقف على أعتاب قلبكِ، وأبحر فيكِ حتى نهاية التّاريخ القادم. أحبّكِ. أشتهيكِ: خالد

* * * *

طوال البارحة لم أستطع النّوم، وهذا القلق العجيب ينهش لحظاتي دون توقّف، وأحداث اليوم تتوزّع بينها أفعالي وأقوالي

ويقيني وحيرتي، كان عليّ أن أخضع للجان طبّية معقدّة لدراسة آفاق استمرار الحمل، واليوم فقط أدركتُ خطورة ما أنا مقدم عليه، شرحوا لي الطريقة الطّبيعية للولادة البشريّة المنقرضة، كم هذا الأمر مرعب ومؤلم ومخيف، ليس هناك بديل جراحيّ آخر في حالتي بسبب تضخّم الرّحم والتصاقه العجيب بالبطن والكثير من التّعقيدات التي قد تهدّد حياة الجنين بالخطر والموت المحقّق إن خرج إلى الكون بعملية جراحيّة، الخيار الوحيد أمامي هو أن ألده بشكل طبيعيّ عبر مخرج لم أتوقّعه أبداً، سيخرج من عميق جسدي، وسينزلق من تجويف أعضائي التناسليّة، يا للعجب! الأطبّاء قالوا إنّ جسدي عندها سيتسع عند منطقة الحوض، وأنّ عظامه ستتباعد في الأماكن المطلوبة لينزلق خارج الجسد، وأنّ قوى ضاغطة ستتولّد في الجسد بشكل تلقائيّ، وتدفع الجنين باطّراد إلى الخارج، وأنّ آلاماً رهيبة وتمزّقاً في الجلد والأنسجة واللحم سترافق هذا المخاض المخيف.

أمامي بديل واحد، وهو أن أجهض الجنين بأسرع وقت ممكن، وأن أنسى أمره إلى الأبد، وأتحاشى تعقيدات حمله ومشاكله، وأضع حدّاً للتكهّنات كلّها المرتبطة بامتداد مدّة حمله أكثر من الطّبيعي، فالشّهر التّاسع انصرم، وقد دخلنا في الشّهر العاشر، والجنين ساكن متربّص في رحمي، ولا يعطي أيّ بادرة تبشّر بخروج قريب، إلى متى سيستمر هذا الوضع المقلق؟ الطّب لا يملك جواباً، ويقف محتاراً أمام هذه الحالة العجيبة، وأنا أحمل بصبر سرّ جنيني الخارق الذي تعرّض

لمجالات طاقة البعد الخامس، الأمر الذي يجعله أهلاً لكلّ سلوك خاصّ خارج عن الطّبيعيّ، وأنا لا أملك إلّا الصّبر والانتظار، ولو حملتُ به إلى الأبد، فهو أمل المستقبل، والطّريق إلى الله والحياة والجمال والعشق؛ لذلك لن أكون الشّيطان الآدميّ الذي يقتل هذا الأمل في سمائه المنبلجة عن أجمل محيّا.

سأكون الرّاعي له دون العالمين، وسأكون الأمين عليه وعلى سرّ أمّه حتى آخر لحظة من لحظات عمري، أعتقد أنّ الأقدار تضافرت جميعاً، ولعبت أغرب لعبة، وراهنت عليّ بالتّحديد من أجل أن يصل هذا الجنين إليّ، وأنا لن أخذل أقداري المحتملة، وسوف أكون من الزّمرة الخيّرة التي تنصره وتحميه حتى آخر لحظة، فأنا منذ هذه اللّحظة أبوه وأمّه ومعلّمه، فبه فقط سأغفر للمجهول كلّ ما حدث معي من معاناة، وسأبحث عن الوجه الآخر لحكمة هذا الجسد الأنثويّ الذي أكتشفُ به ذكورتي وأنوثة نساء الكون من جديد، أنا الآن من المؤمنين الجدد بألوهيّة الجسد الأنثويّ، وبعظمة الخالق الكونيّ، أنا ثائر في هذه اللّحظة على كلّ بلادة الكون وإلحاده السّقيم وقوانينه الماديّة الجوفاء، أنا مؤمن ورب السّماء، أنا في بعثي الجديد بهذا الجسد الأنثويّ أصبحتُ من زمرة الثائرين الذين أفنيتُ عمري في محاربتهم، وعلى أيديهم أُغتلتُ في الماضي، وفقدتُ جسدي السّالف، يا لسخرية القدر! و يا لجمال قدري الجديد! يا لجمال قدر يقودني إلى أن أعشقها! أقصد أن أعشق جسدها، بل أن أعشق

روحها وذاتها، من الصّعب أن أشرح لنفسي هذه القضيّة الملبسة، فأنا أعشق امرأة هي أنا في واقع الحقيقة الملموس، وأنا إيّاها في السّياق المنطقيّ نفسه، لكنّ الحقيقة أنّني رجلّ يعشق امرأة في ظروف عجيبة، إذ هو ماديّاً مفقود، وهي روحانيّاً مفقودة، لكن كلينا في هذه اللّحظة في ذات واحدة، هي إيّاها وإيّاي، إذن أنا أَعْشَقُني؛ لذلك فأنا أعشقُها.

لا بدّ أنّ هذه القضيّة أكبر من فهمكَ الصّغير يا ورد، يوماً ما ستكبر، وتفهم معنى ما يحدث، وستفهم دون غيركَ من البشر معنى كلمة أَعْشَقُني، أنا يا وردي أَعْشَقُني، أتعرف معنى ذلك؟ معناه أنّني أعشق أمّكَ شمس بامتداد لا يعرف نهاية، فهل تغضب؟ تستطيع أن تركلني بقدر ما تشاء إن كنتَ حانقاً علي، لكن ذلك لن يغيّر شيئاً من حقيقة أنّني أ. . . عْ. . . شَ. . . قُ. . نِ. . . ي. . .

الفصل السّابع

المعادلة: معادلة نظريّة طاقة البُعد الخامس: (شَعْرِي+كلماتي +خالد = طاقة كونيّة غير متناهية)

الفصل السّابع

المعادلة : معادلة نظريّة طاقة البُعد الخامس :

(شَعْرِي+ كلماتي+ خالد = طاقة كونيّة غير متناهية)

(١)

اليوم: ٧ شهر النّور عام ٣٠١٠م

"لا صيف ولا شتاء ولا فصول عندنا في هذا الكوكب الغريب، لكن قلبي يحيا في حرارة تجعل الأمطار نهراً يبلّل شعيراتي التي أتخيلها حدائقكِ المزهرة، أقبّل شعركِ كلّه وشعيراتكِ جميعها، هل تعلمين لماذا؟ لأن الشَّعْر انسياب ينذر بغزارة الإيمان، ولأنّ الزّغب إيمان من نوع مختلف، ولأنّ زغب جسدكِ عشب مقدس، أتمنى أن أبلّله بماء نبعي. أحبّك". أشتهيكِ: خالد

حبيبتي ورد، اليوم أنا أفضل حالاً، لقد تعاطفتِ أخيراً مع حالي، وسمحتِ لي بأن آكل، وهذا مؤشر حقيقي على رقتكِ وحنان قلبكِ، لقد ورثتِ أجمل شيء من والدكِ، لقد ورثتِ قلبه الكبير الحنون، فطوبى لإرثكِ الجميل، أنا لا أعرف أيّ الظّروف والمعطيات تعيشين الآن داخل أحشائي، ولا أعلم كذلك لماذا تحرّضينني على الجوع والتقزّز من الرّوائح والدّوار والتّعب والخمول الشّديد، لعّلها

أمـور خارجـة عـن إرادتـك الشّخصـيّة، ومتعلّقـة بطقـوس الحمـل الإنسانيّ وبملابساته، أيّاً كانت الإجابة، فأنا أحبّكِ، وأشـعر بانتعـاش مسعد بعد أن تناولت وجبـة فطـور كاملـة، وأكلـتُ بشـهيّة منقطعـة النّظير قرصين لحامض مكثّف، لا أعرف سبب هـذه الرّغبـة المداهمـة عندي في أكل الحوامض، هل أنتِ السّبب في هذا الاشتهاء الجديد؟

سأستثمر نشاطي المفاجئ هذا الصّباح من أجل أن أحدّثكِ عـن خالد ونبوّتي وأشياء أخرى جميلة، فأنا أشـعر بـأنّ الوقـت يـداهمني، وعليّ أن أخبركِ بما لن يخبركِ به بشرٌ غيري خـلا خالـد عنـدما يعـود من رحلته، إن عاد حيّـاً، وأسـأل اللّـه أن يعـود مـن أجلـي وأجلـكِ وأجله.

الحكاية تبدأ من شَعْري وكلماتي وخالد، أمّـا شَـعْري، فهـو مـا جاء إلى الوجود قصر أنف والـدي، لقـد طلـب والـداي في اسـتمارة إنجابي أن أكون بشَعْر برونزي مجعّد، فوقع لبس ما في كتابة الاستمارة أو في تنحيـة الكروموسـومات الجينيّـة المطلوبـة، وحصـلتُ للصّـدفة المحضة علـى شـعر أسـود لامـع لـزج يتـوق إلى الاسترسـال والنّمـاء الطّويل والسّريع أكثر من جسـدي القصـير نسـبيّاً، فغضـبت والـدتي غضباً مرعداً غير ممطر، وهدّد والدي برفع قضيّة على حكومـة المجـرّة لهذا الخطأ البيّن والتسيّب الواضح، لكنّهمـا قـبلا صـاغرين في نهايـة

الأمر بشَعْري، وسعدتُ بهذا الخطأ الذي وهبني شَعْراً أحبّه أكثر من وجودي.

من هنا بالتّحديد بدأت مشاكلي مع نفسي ومع والديّ ومع المجتمع ومع الحكومة ومن ثم مع المخابرات وعملي وأصدقائي وعالمي كلّه، وبدأتُ سيرة التمرّد في حياتي في سبيل الاحتفاظ به طويلاً مسترسلاً، يتحرّك كما يهوى، ويطير أنّى شاء.

أستطيع أن أجمل لك هذه المشاكل كلّها في أنّ الحكومة تحرّم الشَّعْر الطّويل، وتدين تربيته، وتجرّم من يفعل ذلك، من باب فرض نمط شكليّ واحد على سكان المجرّة كلّهم لاعتبارات كثيرة يمكن اختزالها في ثقافة القبح والاستبداد وفرض النّمط الواحد ومحو خصائص الفرديّة والاختيار، ووالداي والمدرسة والعمل وكلّ من حولي يريدون أن أخضع للقانون من باب إغلاق منافذ المشاكل والمخالفات وغضب الحكومة، وأنا لا أبالي بإشراع النّوافذ كلّها على الجحيم مقابل الاحتفاظ بشَعْري الجميل الذي يسعدني، ويكتنفني بحميميّة خاصة تفجّر في داخلي اعتزازاً عملاقاً بأنّني أنثى .

ولك أن تتخيّلي كم عُنّفتُ، وضُربتُ، وعُوقبتُ، وأُضطهدتُ، وغُرّمتُ، ثم جُرّمتُ أخيراً عندما بلغت سنّ الحادية والعشرين، وهو سنّ الرّشد في المجرّة، وأخيراً قادني شَعْري الطّويل الجامح كنجمةٍ إلى المحكمة بصفتي متمرّدة صغيرة، وعاصية حمقاء، ومواطنة عنيدة

تتمسّك بمخالفة القانون، ومعاندة الدّولة من أجل شَعْر أسود طويل لا قيمة له، سوى ذلك الافتنان الجميل به والنّشوة الحلوة التي تسكن في نفس كلّ من يراه يتطاير بزهو في الهواء، ويتمايل بحركة غنجاء مائعة متهادية مع كلّ حركة أقوم بها.

وأُلقي بي في السّجن عندما رفضتُ دفع الغرامة، وقُصّ شَعْري وفق القانون، وكاد الأمر ينتهي عند هذا الحدّ لولا كلماتي التي كان لها الدّور الثاني في تغيير اتجاه حياتي، فقد شرعتُ أكتب رواية متمرّدة جميلة اسمها "سِيَر أصحاب الشّعر القصير"، ضمّنتها أجمل الأفكار التي قرأتها عبر مطالعاتي الطّويلة والمكثّفة لتاريخ البشر وسوسيولوجيا الأدب وأنطولوجيا المكان وتطوّر الفنون وتاريخ الإبداع الإنسانيّ في الألفيّة الماضية، واستفدتُ من معلوماتي عن قيم الجمال والحريّة في الألفية المنصرمة من أجل لمز قوى الاستبداد كلّها في حكومة المجرّة، ووظّفت أساطير الحبّ والجمال والخلق والوجود والنّهايات والجحيم والفردوس كلّها لأجل شحن هذه الرّواية بكلّ مثير وطريف ومقنع، وتثوير الشّعب ضدّ وجودهم المفرغ من الرّوح والسّعادة والذّاتيّة في عالم إلكترونيّ مبرمج وفق ما تقتضيه خارطة مصالح رجالات حكومة المجرّة.

نسيت أن أقول لكِ يا ورد إنّني متخصّصة في أدب الخيال العلميّ في أساطير الوجود والعدم والفناء إبّان عصر القنبلة

الهيدروجينيّة، ولأنّ عندي موهبة في كتابة قصة الأطفال، فقد حظيتُ منذ تخرّجي في الأكاديمية الفضائيّة لفنون المعلوماتيّة الأدبيّة بوظيفة مؤلّفة قصص خيال علميّ للأطفال في أشهر مؤسّسة كتاب للطّفل في المجرّة، وسرعان ما حصلتُ على وظيفة مدير تحرير أوّل مسؤول عن مجلة الخيال العلميّ للأطفال التّابعة لهذه المؤسسة التي دأبت على إصدار هذه المجلّة المتخصّصة لأكثر من ٢٥٠ عامٍ بشكل دوري شهريّ دون انقطاع، وقد كانت هذه السلسلة معنيّة بكلّ قصص الخيال العلميّ المهتمّة بالبُعد الرّابع، أعني بُعد الزّمن، وبفيزياء الشّمس بشكل خاص.

أعود، وأقول لكِ إنّ رواية "سير أصحاب الشّعر القصير" هي من عرّفتْ سكّان المجرّة بي، ونقلتني من خانة الإجرام والعناد والطّيش إلى خانة التمّرد المعلّل والبطولة الكونيّة والقيادة الثوريّة والرّيادة الفكريّة التّحرّريّة من قوى الظّلم والاستبداد كلّها، وهي من كفلتْ لي جيشاً من المؤيدين والمتعاطفين والمدافعين معي بعد أن قرأوا روايتي تباعاً عبر تداولها السّريّ النّشط في البداية ثم العلنيّ الأكثر نشاطاً ورواجاً في وسائل التّواصل الإلكترونيّ كلّها، وعبر كلّ مواقع الأندية المفترضة على شبكة التّواصل الزّمنية المهدرجة.

وهكذا تحوّلت قضيّة شَعْري ومن ثم سجني إلى قضيّة كونيّة تثير جدلاً كبيراً في الأوساط كلّها، وغدت روايتي القصيرة نسبيّاً كتاباً

مقدّساً للثورة والثّائرين، ووجدتُ نفسي في غضون شهور قليلة عضواً شرفيّاً في كثير من أحزاب العمّال وأندية العلماء والمفكرين ومحافل الأحرار بل وعلى القوائم السّريّة للمسجّلين خطر في أجندات الحكومة والمخابرات والدّوائر الأمنيّة تحت خانة الثوّار في كلّ مكان للأسباب كلّها؛ لذلك كان من الطّبيعي أن تُعاد محاكمتي تحت ضغوطات قُوى الاحتجاج والمطالبين بحقوق الإنسان ولجان العدالة الجندريّة ومؤسّسات دعم المبدعين، وفي خضم استياء شعبيّ من سجني الطّويل بتهمة صغيرة كتهمتي، ظهر في حياتي بيرق العاتي، كان عندها محامياً جديداً وطموحاً في محاكم جرائم السّير وحوادث المركبات الفضائيّة، لكنّه وجد في قضيّتي بغيته في الشّهرة والنّجاح السّريع؛ لذلك سارع إلى التّبرّع للدّفاع عنّي إلى جانب المحامي الرّسميّ الذي تؤمّنه لي المحكمة فور توقيفي على ذمّة أيّ قضيّة مهما صغرتْ أو كبرتْ.

لقد أحسن في توظيف قضيتي في إعلاء نجمه، وفي لفت نظر المجتمع القانونيّ إليه، وحقّق مراده عندما حصل لي على حكم مخفّف موقوف التّنفيذ، وتوصّل بذكاء إلى اتفاق يُعدّ الأوّل من نوعه في تاريخ القضاء، إذ وافق القاضي على إخلاء سبيلي دون قصّ شَعْري على أن ألتزم بجمعه تحت قبّعة في الأماكن الرّسميّة جميعها وفي أماكن العمل والتّجمّعات العامة، ولي حق إطلاقه في الأماكن الخاصّة والمغلقة فقط، والحقّ أنّ هذا الاتفاق كان مناسباً لي، وبه

خرجت الأطـراف جميعهـا منتصـرة دون هـدر مـاء وجههـا أو كسـر مواقفها وليّ أياديها خلف ظهورهـا، وهـو خـرج الأكثـر انتصـاراً في هذه المعركة، فقد بـات مشـهوراً، وقِبْلـة لأصـحاب القضـايا المعلّقـة، ورمزاً من رموز الحقّ والفضيلة.

عندها كان من السّهل علـيّ أن أقتنـع بفكـرة الـزّواج بـه؛ فقـد كنتُ في حاجـة إليـه في بحـري المـتلاطم بـأمواج الشّـهرة والتحـدّي وغضب حكومة المجرّة، بالقدر الذي كان يحتاج إلـيّ فيـه كـي يكمـل صورته البطوليّة في الأذهان، وقد وهبته ما أراد دون أن يهبني الحـبّ والأمن اللذين كنتُ أحلم بهما في كنفه، فقد كان مشغولاً عنّي وعـن حاجـاتي بنجاحاتـه وبالمعضـلات القانونيّـة والمخالفـات الأمنيّـة للشّركات العملاقـة العـابرة لكواكـب المجـرّة حيـث يعمـل مستشـاراً قانونيّاً لها جميعاً.

أمّا أنا فلم يبقَ لي عندها أنيسٌ غير الكلمـة والكتابـة وشَـعْري الأسود الجميل وجيشي الكبير المتنامي من القرّاء بعدما شرعتُ أكتبُ في أكبر المجلات الكونيّة لحقوق الإنسان وقضايا السّاعة، ونزلت ضيفة على أشهر الـبرامج الجدليّـة في أكثـر مـن مدينـة إعلاميّـة فضـائيّة في الأرض وفي كواكب أخرى في المجرّة، واسـتطعت أن أخفـي بـذكاء – ولو إلى حين-مواجع وحدتي وتوجّدات يُتمي بعد أن توفيّتْ والـدتي بعد سنوات من الصّراع مـع إدمـان الـدّخول في العـوالم المفترضـة في

شبكة التّواصل الزّمنية المهدرجة، الأمر الذي أثّر على دماغها وعلى صحتها العامة، وأصابها بفقر تغذية حاد وإشعاعات خطيرة أصابتْ خلايا دماغها بالضّمور ثم الشّلل التّدريجيّ ثم الموت، في حين اختار والدي الهروب من واقعه الأليم المتمثّل في زوجة مدمنة وابنة شبه مجرمة عبر السّفر إلى مدن العالم الجديد في القمر، فانقطعتْ أخباره تماماً عنّي على الرّغم من سعيي في سبيل ذلك حتى عرفتُ من خلال إجراءات إغلاق رقمه الكونيّ المتسلسل أنّه توفّي في ظروف مجهولة، وما عاد لي ذكرى منه سوى راتبه التّقاعدي الكبير نسبيّاً الذي ما كدتُ استثمره حتى حُرمته بعد زواجي وعودتي إلى العمل الذي صُرفت منه إبّان سجني.

أتصدّقين يا ورد؟ أنا لستُ حزينة الآن بسبب كلّ ما حدث معي في الماضي، فكلّه سخافات لا قيمة لها خلا شَعري وكلماتي إلى أن جاء خالد، فأصبح حقيقتي ووجودي الأكيد، فهما الحقيقتان الثابتتان وسط عالم من الأكاذيب، فأنا كنتُ مجرمة، ولستُ مجرمة، وبطلة ولست ببطلة، وثائرة ولست بثائرة، ويتيمة ولست يتيمة؛ فوالداي وفق ما هو مذكور في أوراقي الرّسميّة والثّبوتيّة في خانتي الأب والأم لم يكونا والديّ حقيقة، فأنا لا أحمل جيناتهما، ولستُ مخلوقة من كروموسوماتهما ولا من صلبهما، أنا شأني شأن كافة بني البشر في هذه الألفية أنتسب إلى النّاس كلّهم في حقيقة مفترضة، ولا أنتسب على وجه الحقيقة والتأكيد إلى من يدّعيان أنّهما والدي، فهما

ليسا أكثر من مشترين لجسدي، ومختارين لصفاتي الجينيّة، كما هما أيضاً ليسا بأيّ شكل من الأشكال الأبناء البيولوجيين لوالديهما ووالداتهما، وفي الوقت نفسه أنا زوجة لبيرق العاتي، لكنّني لستُ زوجته، بل أنا صفقة من صفقاته النّاجحة التي يبرمها بكلّ ذكاء وحنكة مشهود له بها.

إذن لا عجب أن أخلع هذه الأوهام كلّها في لحظة تمرّد من لحظات تمردّي المعهودة، وأتوقّف عن أحزاني، وأهجر هذا الزّوج المقيت للأبد دون رجعة، ودون خلاص رسمي منه، فلا طلاق أبداً في قانون حكومة المجرّة؛ لأنّ أيّ طلاق سيفسد النّظام الثّنائيّ القانونيّ والماليّ والاستراتيجيّ الذي قام بفضل الزّواج الذي لا يُسمح بفكّه أبداً إلّا بقوة الموت، فالزّواج في فكر الألفيّة الرّابعة هو توأمة قانونية ومالية واستراتيجيّة اختياريّة أبديّة لا انفصام لها، لا شراكة ودٍّ ومحبة ورحمة وبناء إنسانيّ طبيعيّ.

تقول حكاية النّوم يا ورد الجميلة:

أراد الأمير الشّاب الجميل أن يختار عروساً تملك قوة خارقة؛ إذ رغب في أن يضمّ قوة جديدة إلى ملكه، عرّافات القصر ووصيفاته أذكين العيون في شتّى أرجاء السّلطنة، وعرضن عليه النّساء كلّهنّ ذوات القوى الخارقة، بعضهن يملكن سحراً طاغياً، واحدة تملك حصاناً طائراً يسابق البرق، وأخرى تملك سيفاً بتّاراً ينصر كلّ من

ضرب به، وثالثة تملك ترانيم الفرح جميعاً، ورابعة عندها أقوى حيوان أسطوريّ لا يهزمه جيش من المصارعين، وخامسة تملك مغارة كاملة من الجوهر والنّفائس، وسادسة عندها وجه فاتن يسعد قلب العجوز، ويردّ إليه الشّباب والقوّة الرّاحلة، وسابعة تملك ماء الحياة والخلود، لكّنها هي دون النّساء من تملك شعراً غابة، طوله يتجاوز طولهما، فيسعى وراءها على الأرض، عندما نام في حضنها التفّ شعرها على جسديهما، ووهبهما شرنقة عشق دافئة حريريّة، ليلتها أدرك أنّ صاحبة الشّعر الطّويل هي أقوى امرأة في مملكته، فتزوّجها من ساعتها، ونَعِم بفردوس شَعْرها.

رسائل خالد:

"سأرسم في قلبك وردة الحبّ والشّوق، وسأدرّب قلبكِ على مبادلة قلبي بلوعة الشّوق، أنا مشتاق إليكِ، أنتِ امرأة تختزل نساء العالم كلّهنّ، صرت فتنتي التي أختار الافتتان بها، في كلّ أنثى أراك أنتِ، في كلّ لحن أسمعه أستمتع بجمال صوتك الذي صار وحده كافياً كي يغويني، ويغريني، ويأسرني، ويبلّلني، البلل يا شمس هو أقصى حالات الحبّ، هو أعظم صور صنعها الله".

شمس وأنا أتأمّل الصّور، أحسستُ بأحاسيس اختلطت فيها كيمياء الحبّ والعشق والجنس، صدقيني وجدتني. سأكتبكِ كما أحسستُ بك". أشتهيكِ: خالد.

زاد وزني إلى حدّ كبير، لعلّه تضاعف أيضاً، وبطني تغوّل حتى غدوت أخشى من أن يبتلعني، إلى متى سيستمر في هذا التّوسّع الجريء؟ مراقبة جسدي والتّمسيد عليه ودهنه بأجود أنواع المراهم الزيتية المرّطبة الكيميائيّة كي تساعد الجلد على تحمّل هذا التمدّد الكبير هي من أجمل هواياتي في هذه الأيام، أتعرّى لساعات أمام مرآتي ذات الأبعاد الثلاثيّة، وأتفقّد كلّ جزء من أجزاء جسدها، أعني من جسدنا، فيه نعومة بهيّة تستثير في نفسي أجمل اللّمسات، لا بدّ أنّ هذا الجسد عرف أغرب المتع الجنسيّة والخبرات الرّوحيّة والمباهج الحسيّة والمعنويّة.

كم يحمل هذا الجسد الصّغير من أسرار الحياة والتّمرّد والتّعذيب والعشق والموت والبعث؟ لا بدّ أنّه يحمل أكثر ممّا أتصوّر، كيف هان على أولئك الجلادين القُساة أن يعذّبوه دون رحمة؟ هو في تقديري أضعف من أن يحتمل العذاب؛ لذلك سرعان ما استسلم، وفقد روحه، وانساح في دنيا العدم، شمس لم تصمد طويلاً أمام التّعذيب، ولفظت أنفاسها سريعاً دون أن تتاح لها الفرصة ليكتشف معذبوها حقيقة حملها، لعلّلها فرّت من جسدها لتحافظ على جنينها، ولتعضّ للأبد على سرّ وجوده؟ كلّ شيء ممكن التوقّع من هذه المرأة ذات النّسيج المنفرد.

أمّا شَعْرها الزّلق الخجول بشهوة شبقيّة فقد آن له أن يعاود مسيرة نمائه وتمرّده، شعر الرّأس الأسود الجميل ينزلق بجموح إلى ما

دون الكتفين، ويلقي بنفسه إلى أسفل الظّهر في انتحار مقدّس يقبّل مجرى عظام الظّهر دون توقّف، وشعر الإبطين وزغب العانة ينموان كيفما اتفق برقصة شوكيّة تستثير رائحتها الياسمينيّة، وتنثرها مع لآلئ العرق الشّتوي، وأنا أحظى بمتابعة هذا الكرنفال الصّاخب ليل نهار بفضول آثم موزّع بين هضبة الجنين الناتئة وأغوار الفرج وحكاياته الأسطوريّة المقدّسة.

أحبّ شعرها كما هو، وأتعلّل بالمرض وبلزومي المستشفى للخضوع لعلاج طويل كي أتهرّب من قصّه نزولاً على قوانين حكومة المجرّة، ومادمت نزيل حجرة من حجرات المستشفى، فأنا في حِلّ من المخالفات والغرامات؛ لأنّني خارج المساءلة القانونيّة، حتى قاضي المحكمة الابتدائية في المجلس القضائيّ الكونيّ الأعلى لم يسجّل تحفّظه على شَعْري، بل اكتفى بالصّمت طوال جلساتي في الأسبوع الماضي من أجل تصويب وضعي القانونيّ بما يخصّ حملي الجريمة، المخالف لكلّ قوانين حكومة المجرّة في الزّواج والتّناسل، وقد حظيتُ بأكثر من ثلاثين بند من الجرائم والجنح والمخالفات بسببه، تمخّضت عن إحدى عشرة عقوبة، وحكم طويل بالسّجن والغرامة والأعمال الشّاقة المفروضة جميعاً على جسدها، وبما أنّني مجرد مستفيد مؤقّت من جسدها، وأشبه ما يكون بمنتفع قانوني به لمدّة مؤقتة ومحدّدة، والأوراق الرّسمية تشهد بأنّ جسدي الأول كان في خدمة حكومة المجرّة، وقد فَنِيَ في واحدة من حروبها، وتقديراً لكلّ ملابسات هذه

القضيّة الشائكة وبدعم مباشر من منظّمة الأطبّاء الرّواد المعنية باستمرار أبحاث نقل الدّماغ، وهي معنية بنجاح تجربتي بأيّ شكل من الأشكال، فقد سُجّلت الجرائم بأثر رجعيّ في ملف جسدها، وحُرمت على إثره من أيّ مستحقات ماليّة أو تعويضيّة مترتّبة لها عن عملها أو عن عضويتها في مجلس إسكان المجرّة، وتحوّل تقاعدها الدّائم إلى خزينة أموال المجرّة، وحُرمت من رقمها الكونيّ المتسلسل، وبذلك ليس هناك حق لأيّ وارث لها من أيّ درجة كانت في أن يطالب بتملّك أيٍّ من أملاكها، وهي تُعامل من تلك اللحظة معاملة الذي لم يكن أو يعش أو يمرّ بكوكب الأرض قطّ، وتصبح تاريخاً منسيّاً لا يستطيع أحدٌ إثبات وجوده.

إذن هي في نظر القانون شيئاً لم يكن، لكنّني أَعْشَقُني، أعني أعشقها، كيف تصبح المرأة التي أعشقها وهماً لم يكن؟ كيف يصبح جسدها غريباً عنها؟ وكيف يصبح جنينها نباتاً شيطانيّاً يلهو في أحشائي دون هوية أو ماضياً أو حاضراً أو مستقبلاً؟ كيف لي أن أقول لها أعشقكِ دون أن أخجل من هذا القضاء ذي العدل الأعرج السّقيم؟ شمس، أنا أعشقكِ، أنا أَعْشَقُني؛ لأنّك إيّاي، أو أنا إيّاكِ، فهل تعشقينني؟

أمّا أنا فتبرّأ ساحتي من أيّ مسؤولية قانونية خلا الخضوع الإجباريّ والدّائم للتّنسيق القانونيّ مع الجهات القانونيّة من أجل

ترخيص هذا الحمل، ومتابعة مستجدّاته مع قاضي السّكان الجدد في المجلس القضائيّ الكونيّ الأعلى من أجل التوصّل إلى صيغة قانونيّة مقبولة ومستحدثة لهذا السّاكن المتوقّع الجديد في المجرّة.

يا جنيني المسكين لم يعد لك في هذا الكون الفسيح المخيف إلّا حبّي ودعمي ويوميات أمّك وانتظار خالد الذي يلفّه صمت الغياب، فقد حُرمتَ الآن من حق الانتساب إلى والدتكِ التي يعاملها القانون على أنّها لم تكن، وحُرمتَ كذلك من كافّة مستحقاتها الماليّة وإرثها، ستأتي إلى الحياة عارياً من كلّ شيء إلّا من صدري الذي ينتظركَ بدفئه وحنانه وثورة حلمتيه المتحفزتين منذ الآن لإرضاعكَ، الحليب بدأ يتدفّق منهما منذ أيام، هل اقترب موعد حضورك؟ أتمنى ذلك، فأنا في انتظارك. أقرأ الآن كثيراً عن الرّضاعة الطّبيعيّة، وقد توصّلت إلى القليل من المعلومات عنها بصعوبة بفضل مساعدي الآليّ، هو آلة مدهشة وصديقة بحق، ستحبّه عندما تلقاه، عمره المعدنيّ متقدّم جداً، وهو من منظور استهلاكيّ وتكنولوجيّ قديم قليلاً، لكنّني أحبّه، وأثق فيه، ولستُ مستعداً لخسارته بأيّ شكل من الأشكال؛ فهو الوحيد الذي وقف معي في محنتي هذه في حين تخلّى الجميع عنّي، ورفضوني بشكلي الجديد، لعلّ ذاكرته التّصويريّة القابلة للتّعديل وإعادة البرمجة أعانته على أن يبقى على إخلاصه وحبّه لي. على الأحوال كلّها الرّضاعة الطّبيعيّة والحليب اللّذيذ السّاخن في انتظاركَ يا جنيني الغالي.

(٢)

اليوم: ٨ شهر النّور عام ٣٠١٠م

"نبيّتي، أنا أحبّ الله قوة خالقة لهذا العالم؛ لأنّه وحده يجمعنا في هذه اللّحظات، ولأنّه وحده يصرّ على وجودنا بالقوة". أشتهيكِ: خالد.

صباح ماطر جديد يغرق المدينة في الأمطار الحامضيّة التي تنحت الجدران الزّجاجيّة بإصرار، وتفسد الملابس، وتجرف طلاء الأرصفة واللافتات. قطرات المطر هي ما يطلّ عليّ من نافذتي التي تهبني ضياء خافتاً يزيد من وقع كآبتي في هذا الصّباح، فما خُلق المطر إلّا لاحتضان قُبْلة عاشقين، وفرحة جذلى لكفين منصهرين في لحظة لا تنتهي، المطر وحده يعرف حكمة الابتلال، وسرّ الأسرار فيه، إذا غاب خالد، فلا نزل المطر، ولا عرف القطرَ البشرُ.

تجتاحني رغبة البكاء، أتعرفين لماذا أريد أن أبكي يا ورد؟ لأنّني عاشقة، فوحده العشق هو ما يستحقّ نشوة البكاء وشهقاته ودواره وطعمه المالح الرّخو، العشق هو من يردّنا أطفالاً عاجزين لا نتقن غير حيلة البكاء التي تملك بامتياز أن تمسح الغبار عن إنسانيتنا المتخفّية خلف أقنعة الوجود. ومن غير خالد يستحق دموع العشق، وأنّات الفراق؟ دعيني أضمّك إليّ أكثر، كي تكوني النّبض والشّريان والدّماء، فهذه منزلة خالد في وجودي، وأنت بعضه، بل

بعضنا، فأصخي لشدو نبضي الذي يمدّك بالحياة في أحشائي، ويكفل لكِ وجيب النّماء، فما هو مترنمٌ إلّا بعشقه.

هناك قلة من البشر في هذه الحياة لهم طقوس للقاء بهم، أو لنقل تعويذة لنحظى بلحظة البداية معهم، وخالد من هذا النّوع من البشر؛ إذا كان يجب أن يغسلني المطر، ويسرقني تسارع النّبض، ويعلوني زغب الانتظار، وتسلبني لحظات التمنّي العاجز المتكئ على مشيئة الأقدار صبري كلّه، وأحارب الدّنيا كلّها، كي أحتفظ له بجدائل شعري ليلفّه بحنان حتى أنزلق في زمن خالد؛ فهو كان لي الزّمن الافتراضي الموازي للأزمان جميعها، أيّ أنّه كان زمني المفترض الذي كان يمكن أن أعيش فيه، أو أن تعيشه شبيهتي الأنا في بُعد زمني آخر، وما كنتّ أحتاج إلّا إلى قوة جبّارة لتنقلني إلى زمنه، فأعيش أزماني من جديد، وأسمّيها جميعاً خالد.

وجاء زمنه أخيراً، ولم أنتقل إلى عوالمه، بل هو من جاء إلى عالمي، ومن حسن حظّ العشق أنّه كان موجوداً حقيقة في عالمي الزّمنيّ المعيش، لا في زمن ماض أو مستقبل أو موازٍ، فكيف كنت سألقاه عندها؟ وشاءت أقدار العشق ومواسم الياسمين وفصول المحبّة أن ألقاه مضمّخة بماء الورد والبرد، كانت ليلة ماطرة يوم التقينا، كانت ليلة مزيجاً من البرد والدّفء والتدفّق والنّور والظّل والإحجام

والإقدام والأشياء المتناقضة جميعها التي لا تحضر دفعة واحدة إلّا في قُبْلة عميقة لعاشقين تحت المطر.

كانت ليلة بمثل طقس هذه اللّيلة؛ لذلك يغشاني ذهول الفراق في هذه اللّحظة، ويكسرني ذلّ الحاجة والبعاد، وتتنازع على افتراس روحي أشباح الخوف والقلق والوحدة، فأنا هنا وحيدة بكِ، وهو تائه في المجهول، لا منارة له نحو طريق العودة، لكّنني في انتظاره مهما طال الزّمن.

اعذريني يا ورد أنا لستُ على ما يرام في هذه الليلة، لا أملك روحاً تقدر على الكتابة لك، فأنا أتساقط أنفساً مشغولة جميعاً بغياب خالد، وحشرجة البكاء تقطف عزيمتي، لن أحدّثكِ اللّيلة عن الله ونبوّتي وخالد، ولن أذوق معكِ شهوة شَعْري وكلماتي، فما أنا هذه اللّيلة إلّا امرأة عاشقة تنتظر من تحبّ، وتضرب صفحاً عن الأشياء كلّها، سأنام الآن، وواجبكِ أن تقرئي تراتيل العودة حتى الصّباح.

لا تنامي يا ورد، فواحدة منا يجب أن تبقى موصولة مع السّماء بالدّعاء لخالد بالعودة والسّلامة، أترك لك الكثير من رسائل خالد، اقرئيها برهبة العابد، وصبوة المعتكف، واخلعي أحزانك على بوابتها، فلا يُدخلُ على خالد إلّا بأثواب الفرح؛ لأنّه رجل الفرح.

اكتشفي والدكِ عبر كلماته، ألم أقل لكِ من قبل إنّه كائن لغويّ، يفهم بالكلمة، ويُفهم بها، ويحسن أن يحوّل الكلمة إلى حالة والحالة

إلى حقيقة؛ لذلك هو أكثر رجل في الوجود قادر على إسعاد قلب أمّك، وأنا وربّ الكون الفسيح المترامي الحقائق سعيدة به حتّى النّخاع والأحشاء حيث تسكنين يا صنيعة عشقنا.

حبيبتي ورد هناك الكثير من رسائل خالد إليّ، سأنام بعد أن أروي لكِ حكاية ما قبل النّوم، ولكِ أن تقرئي في رسائل والدكِ حتى أستيقظ.

تقول حكاية النّوم يا ورد الجميلة:

قصة هذه الليلة الماطرة ستكون عن أبيكِ خالد يا وردي الجميلة، فمن غيره تتفاخر الحكايات به؟ احفظي قصصنا جيداً، وارويها في يومٍ ما للكون بأسره، ابحثي عن طريقة مناسبة من أجل ذلك.

وأنا صغيرة كنتُ طفلة مخلوقة من الأسئلة والأحلام الكبيرة، في كلّ عيد من أعياد ميلادي في طفولتي تمنّيتُ أن أحصل على الشّمس هدية عيد ميلاد، لكنّني لم أحصل على ذلك، وبقي والداي يتجاهلان رغبتي، ويهدياني هدايا طفوليّة تقليديّة لا تحسن أن تُسعد قلبيّ المتوثّب للحصول على الشّمس.

في يوم ما كنتُ في حضن خالد، وحدّثته عن هذه الأمنية الصّغيرة الكبيرة التي تلاشت مع سنين الماضي المنصرم، عندها صمتَ كثيراً، وغرق في البعيد، في اليوم الثاني صمّم على أن نلتقي في مركبته

الفضائيّة، أخبرني بأنّه يريد أن يصطحبني في رحلة فضائيّة قريبة لمعاينة ظاهرة نجميّة مثيرة عن قرب، لكنّ الرّحلة كانتْ رحلة مغامرة جريئة إلى أقرب نقطة ممكنة في تاريخ البشريّة من الشّمس، درجة حرارة المركبة ارتفعتْ إلى حدّ الخطر، وفي فيض من خوفي وتعرّقنا، طبع على عنقي قبلة أكثر حرارة من نفحات الشّمس اللاهبة الصّاهرة، وطوّقني بقلادة جميلة على شكل شمس ذهبيّة عملاقة محفور عليها بخط صغير رائق: "اكتشفتُ أنّ الشّمس ليست سوى ملمح من ملامح عينيكِ".

طبع قبلة ثانية عميقة في أعماق روحي، وقال: لذلك كان يحزنني اليوم الذي لا تشرق فيه الشّمس، والآن تغيرت نظرتي للكون، وصارت إمبراطوريتنا لا تغيب الشّمس عنها، طلعت الشّمس أم غابت. سيان؛ فقلبي مضاء بنور طلعتكِ يا حارسة عالمي. كلّ عام وأنتِ حبيبتي.

- لكنّ عيد ميلادي ليس اليوم.
- بأمر الحبّ أصبح عيد ميلادك اليوم. أشتهيكِ، أُقبّلكِ، قبّليني.

من رسائل خالد:

• قبّليني: ٦ شهر مسقط القمر عام ٣٠٠٨م

"قلتُ لكِ أنا لا أحبّك، أنا مسكون بكِ. لستُ أعرف كيف يمكن للمحبّ أن يصف حبّه، وهو حبّ؟ وكيف يمكنه أن يصف

محبوبه، وهو محبوب؟ أنا في لحظة التّيه العظيم، أنا لحظة تسكن زمناً اسمه شمس. فهل تقبّليني؟ ". أشتهيكِ: خالد

• حبّي لكِ: ٢٨ شهر مسقط القمر عام ٣٠٠٨م

"حبّي لكِ صار يقضّ وجودي. هل هذه مشكلة؟ إنّها قضيّة كبرى ما دام قلبكِ متعلّقاً باسم آخر غيري، قدري فظيع، حتى حين آويتُ إلى قلب وجدته مسكوناً بصور أخرى." أشتهيكِ: خالد

• أغار عليك يا شمس، ارحميني: ٢٢ شهر الشّمس عام ٣٠٠٨م

"بيننا فارق واضح، وهو أنّني أحبّك بقلب لا يطرق بابه غيرك، أمّا قلبك فطابور من الرّجال يطرقونه، وقد يكفي هذا الطّرق، دون أن أعرف الطّارق، كي أتبعثر كأوراق الخريف، كي أسقط متلاشياً على الأرض من غير أن أقوى على أن أحمل أضلعي الهاوية. أنا قلب لا تغويه زهرة ولا سنبلة ولا لون ولا ملامح ولا طقس". أشتهيكِ: خالد

• الكون هو أنتِ يا شمس: ٢٣ شهر الشّمس عام ٣٠٠٨م

"أقول إنّ العالم امرأة، وتقولين إنّ الله مطلق الكون، فأحكي حكايتي للتّراب والماء، وأبقى صامتاً في البعيد، فتشتعل الأرض وروداً فوق سنا قلبي وقلبك ووجنتيك يا امرأتي الباذخة. أقول من أنا في هذا الشّتات الذي يجمع الرّوح والحبّ والقلب والعقل؟ فأجد الوقت عيوناً تنظر في هذا اللّون الذي يخطّط للقادم والأيام، أقول لك

حكاية، هي حكايتي، بل حكايتكِ، إنّها قصة حبّ، لا أمل من أن أكرّرها، وأن أردّدها على مسامع قلبي. أنا الممتلئ بكِ، أنا الذي لا صديق له يحميه من رياح النّهار وعواصف الزّمان، أنا الذي لا يحكي الحبّ إلّا لحبه، ولا العشق إلا لعشقه، ولا يرى إلا الرّؤية التي تفيض عن قلب صار هو قلبي، وصرته صورة منكِ تنحت العشق واللّذة والشّهوة والقول، أنا محترف الحبّ وعشق كينونتكِ، أنا محترق القلب والوجد، أنا الذي لا يصبح ولا يمسي ولا يبيت إلا على صداكِ، أنا أهواكِ وأفتقدكِ في كلّ لحظة، ولكنّي ألقاكِ في كلّ ذرة مني". أشتهيكِ: خالد

• أنا العشق: ٢٣ شهر الشّمس عام ٣٠٠٨م

"ما سرّ هذا الغياب كلّه؟ أنا لا أحبّك كما يمكنكِ أن تعرّفي الحبّ، أنتِ نفس أمّارة بالعشق، وأنا العشق، أنتِ تقولين: أحبّكِ، وأنا أحيا الحبّ، أنت تتكلّمين، وأنا أصمتُ، إنّي أدرك الحبّ كخيط لازورديّ اللّون، وهو يلفّني، فيغرقني، فأنسى أنّكِ ذاتاً مستقلة عنكِ، وأجهش في الحوار والبكاء والتّقتيل والضّياع؛ لأنّك تمزّقينني بين حبيّ الموجود فيّ وحبكِ الموجود فيكِ، وعشقي الذي لا يوجد إلا في وبي وبكِ، نحن الثّالوث، نحن ثلاثة، روح تسكن الجسدين، أحدهما في أقاصي الجغرافيا القديمة، والآخر في صقيع الاغتراب والفقد، لكن ما يشفع لي أنّ الأرض كوكب نبيل دائر يرقص يترنح يقاوم من أجل

أن يجعل من الشّرق غرباً ومن الغـرب شـرقاً، ومـن القريـب بعيـداً، ومن البعيد قريباً. أشتهيكِ: خالد

• وجوه حبّي: ٢ شهر الرّعد عام ٣٠٠٩م

"يا شمس بعد اليوم اتركـي الحـبّ في عروشـه، ولا تقربيـه، ولا تزحزحيه، إنّ كلّ ما يمكن أن أكتبه لكِ من كـلام قـد يحمـل عبـارات الإحباط والموت والألم، لن يكون إلّا وجهاً من وجوه حبّي لكِ.

أنا أحبّكِ:

من عمق الألم تنبعث اللّذة، ومن عمق الإحباط ينبعـث الأمـل، ومن عمق الموت تنبعث الحياة، وحبنا انتصار يا وجه الحقيقة المطلقـة". أشتهيكِ: خالد

• حبّ لا نهاية له: ١٤ شهر الرّعد عام ٣٠٠٩م

"شمس، سـنلتقي، سـنتحدث، ونتراشـق، ونتعـانق، وننـام مثـل أطفال في الظّهيرة، قبل لحظاتٍ أخذت حماماً دافئاً، وأغمضـتُ عـينيّ، وتخّيلتـكِ معـي عاريـة، وأنـا أتفـرّس تفاصـيل جغرافيتـكِ، عانقتـكِ وسيول الماء تعبر تمثالنا، ثم لففنـا جسـدينا في مـلاءة واسـتلقينا عـراة على فراش، كان الضّوء يكسـر ظلمـة الغرفـة مـن إحـدى جوانبهـا، فعانقتكِ وغبتُ في ملكوت الشّبق والحياة والأمل. ألن يريحـكِ هـذا، ويخلصكِ من أسوأ أمزجـة العـالم؟ أغمضـي عينيـكِ، وأعيـدي هـذا المشّهد يا شمس، إنّه تمرين ينبغي أن نتدرّب عليه قبـل أن نلتقـي؛ لأنّ

لقاءنا ينبغي أن يكون جسراً للعبور إلى حـبّ لا نهايـة لـه". أشـتهيكِ: خالد

• هل تحبّينني: ١٤ شهر الكوكب العظيم عام ٣٠٠٩م

"يا بعض روح الإله، عشقتكِ وأحببتكِ، أنتِ جسد وروح وكـلّ شيء في خرائطي يقتسمني، ويزهر فيّ، أهديكِ قطرات المطر كلّها الـتي تغسل الأرض والمرتفعات، هنا الحبّ كلّه". أشتهيكِ: خالد

• أهديك قطرات المطر: ١٤ شهر الكوكب العظيم عام ٣٠٠٩م

"هل تحبّينني؟ أظنّ لا، وحده زوجك اللّعـين في قلبـكِ، سـأبعث عن عرّاف أو مشعوذ كي أخرجه من صدركِ. هل أنتِ مستعدّة؟ قال أحدهم: النّساء لا يعشقن، وإذا أحببن، فإنّهن يحببن خطـأً. أشـتهيكِ: خالد

• قبّليني من جديد: ١٥ شهر الكوكب العظيم عام ٣٠٠٩م

حبيبتي شمس: يا وجه قلبي، قبّليني كي أشتعل حقيقة، أنـا أراك حقيقة من الحقائق التي طالما نزفت دمائي مـن أجلـها، أنـا أشـهد أنّ الحقّ لا يُضادُّ الحق. أنـتِ وجـه الحقيقـة في قلـبي وعقلـي". أشـتهيكِ: خالد

• عيناك غائمتان: ١٨ شهر الكوكب العظيم ٣٠٠٩م

"يا حبّي الكبير، إنّي أحبّكِ يا شمس، أمس كـان خـدّك الأيسـر مجرى نهر الدّموع، واليوم تغيّـر وجـه السّـماء في هـذه الأرض، هـل

تعلمين لماذا؟ لأنّ عينيك غائمتان، ولم تطلع الشّمس في قلب هذا النّهار، فيومي حزن، وحزنك سرّ، وسرّك حبّ، وحبّكِ يمكن للمجرّةّ أن تركع له، فلماذا لا أكون أوّل المصلّين، وأتخلّص من هذا البطش الإلهيّ الكوني البشع". أشتهيكِ: خالد

• **ماء الرّوح: ١٩ شهر الكوكب العظيم ٣٠٠٩م**

"ما أجمل النّظرة الخارجة من نظراتك وقد تبلّلت بماء الرّوح، الدّموع ماء الرّوح، والرّوح لا تبكي، إنّما تبلّل حقائق الكون كي تزهر عشقاً وحبّاً. عشقتُ تلك الدّمعة التي سقطت على صدرك، فأيقظت حلمة النّهد من نومها، فارتعش لها قلبي. وقال: إنّي أحبّكِ يا شمس، فمرحباً بالعراء والشّعر والحبّ والبهاء، مرحبا ببهائكِ وحبّكِ وعيدكِ وميلادكِ فيَّ. إنيّ أحبّكِ". أشتهيكِ: خالد

• **حرفة النّسيان: ١ شهر المسرّات الأولى ٣٠٠٩م**

"النّسيان حرفة لا أتقنها على الرّغم من محاولاتي اليائسة جميعها، ماذا سأفعل بنفسي الآن؟ لاشيء سوى أن أشرب الألم وأدخن العدم وأغتسل بمرارة فراقكِ. أحمل غربتي وملامحي القديمة وألم رأسي لا يفارقني كما كنتُ في الماضي. أهو الوجع؟ أهو الهيجان؟ هو أنا وما كنتُ أُريدني. قد أفكّر في الارتماء في تيه في الفضاء الكونيّ، لكن لا معنى لهذا؟ قد أفكّر في أن أتناول جرعة زائدة من دواء تحسّس انعدام الجاذبية، فأموت، وأستريح، لكن لا معنى لهذا؟ قد أفكر في قطع

الصّلة بالعالم أجمعه، لكن ذاكرتي تفضحني أمام الوجود. أنا حائر. ما الحيرة يا ترى؟ إنّها وجودي بالذّات، إنّها امتدادي، إنّها نهايتي.

قلبي تشدّه غيمة، فأضيئي ظلامي في هذه اللّيلة التي غاب فيها كلّ شيء عني، سوى أغنيتك يا ملاكي. أشتهي الموت كما أشتهيكِ يا نبيّتي. ألف احتراق وشوق واحد وعشق وحيد". أشتهيكِ: خالد

- **أنتِ أنا: ٢ شهر المسرّات الأولى ٣٠٠٩م**

"أنا لا أحبّكِ، أنا أصلُ إليّ منكِ، ولا أدخل إلي ذاتي التي صرتها أنتِ، أنتِ أنا، وأنا أنتِ، وعشقي بوتقة لانصهار تفاصيلي ومفاصلي وأزمنتي. يا سمائي، قبّليني ودثّريني بجسدكِ، فأنا ثمل، ولا أريد أن يعلم أحد كيف صحوتُ". "أشتهيكِ: خالد

- **أنا سليل الألم: ٦ شهر المسرّات الأولى ٣٠٠٩م**

"أنا سليل الألم والحزن؛ كنتُ أحلم بأن أكون فيلسوفاً فلم أكن، كنتُ أحلم بأن أصبح شاعرًا فلم أكن، كنتُ أحلم بأن أكون حاكماً في قارتي، فاضطررتُ إلى الرّحيل عنها، كنتُ أحلم بأن يكون لي أصدقاء فلم أجد غير الخونة، كنتُ أحلم بكتابة كتاب رائع، ففشلت، كنتُ أحلم بأن أرسم لوحة، فجرّبت الألوان وقلم الرصاص، فلم أرسم غير أجساد عارية، شددتُ على الزّغب النّابت في الحديقة السّريّة للجسد وبعض تقاطيع النّهد، ونسيتُ الوجه أو بالأحرى فشلتُ في رسم صورة للوجه. كنتُ أحلم بالعلم والمعرفة، ففشلتُ فيهما، وضاعت مني القواعد جميعها، حتى أبسطها.

أنا سليل الألم والموت. كنتُ أبحثُ عن صفاتي في الأرض، وإذا بي أجد نفسي في القمر، أحيانًا أجد نفسي ضائعاً بين مهارة التّفكير في الموت وحرفة صناعة الكآبة، فلا أجد غير الحزن.

أنا حزين يا شمس وضائع، ضاع مني العمر، ضاع مني الحلم. كنتُ أريد أن أكون ذاتاً أخرى غير هذه، قد أكره نفسي ووجهي وحلمي، لكنّني أجدهما في الطّرق التي أعبرها كلّها. ماذا علي أن أفعل؟ ربما عليّ أن أتمرّن على الحزن كي أفقد الألم، وأنتشي بالألم كي أتحرّر من سلطة السّاديّة. آه لو نولد من جديد، آه لو أُولد من فراغ أو من عدم كي لا أكون غير هبة صمت في فراغ العدم. آه لو أنيّ مجرد لوثة في هذا الهباء المتناثر في المدى". أشتهيكِ: خالد

- **حبّي صوفيّ: ١٢ شهر المسرّات الأولى ٣٠٠٩م**

"يا حبّي الشّبق، يا كأسي التي كلّما شربت منها ازداد صحوي ثمالة. اعلمي أنّي أحبّك حبّاً صوفيّاً لا تقوى اللّغة على وصفه، ووحده الجسد حين يتحدث يمكنه أن يقترب من المعنى، ويمكّنه من أن يجعل من الدّال مدلولاً لقواميس العشق كلّها". أشتهيكِ: خالد

- **سرّي: ١٦ شهر المسرّات الأولى ٣٠٠٩م**

"سرّي حملته معي إلى الفضاء الخارجيّ، سرّي أنتِ يا شمس، أريدكِ أن تكوني لوعة وروعة وصمتاً في أقاصي ما وراء المحيط، هنا يسكن الحبّ بصخب في اللاأثير، هنا يتلوّن بلون الانفجارات الكونيّة المدهشة، وأطياف النيازك المسافرة، والكواكب المحتضرة، أو تلك

المولودة في سديم أعمى عملاق، هنا أريدكِ يا شمس، أتمنى أن أكتب شيئاً يروق لكِ في المستقبل، فأنا ما زلتُ أبحث عن لغة تصلح للكتابة، أعرف بيقين أنّني فاشل في كلّ شيء سوى في حبّكِ؛ فأنا كاتب فاشل، مفكر فاشل، ومؤمن فاشل، وكائن غير كائن، لكنّني أحبّكِ، وهذا يعطيني مبرّراً كي لا أموت. أشتهيكِ: خالد

- **وجدتها: ٢٥ شهر المسرّات الأولى ٣٠٠٩م**

"شمس، الآن قتلتيني، الآن صار شوقي أكثر للقائكِ، لقد وجدتكِ، وسأخرج إلى متنزهات القمر، وأشرب مشروباً على نخبك، وأعلن: وجدتها، وجدتها. هذا هو الحبّ الذي أريده أن يجمعنا، أحبّك، أقسم لك بالمطر الأرضيّ الرّائع أنّني أحبّكِ، هذا هو الحبّ الذي أؤمن به، هو وحده الكفيل بأن يجمعنا إلى الأبد، أقبّلكِ بشكل آخر، أضاجعكِ بشكل مختلف، أنام بين نهديكِ بشكل طاهر.

أنا لا أكره المطر، أنا أكره طقساً ممطراً في الصّيف، لكنّني أعشق الماء والبلل، يمكنني أن أعدكِ بالحبّ الطّاهر كإله السّماء" أشتهيكِ: خالد

- **صوركِ كلّها: ١٢ شهر المسرّات الثانية ٣٠٠٩م**

"سأملأ قلبي بصوركِ كلّها، شمس، أيتهّا الحلم الوديع، هدهديني، للمميني، ضّميني إليكِ، أنتِ خريطة الحبّ اللاّنهائيّة، وعوالمكِ عوالمي، أسير فيكِ منكِ في اتجاهكِ.

قولي لي ماذا فعلت بي ولـي، أنـتِ لا تـؤمنين بالسّـحر، لكـن الحبّ الذي كفرت به هو جوهر السّحر، ماذا تريـدين أن تقـولي لـي هذا المساء؟" أشتهيكِ: خالد

* * * *

مصابٌ أنا بدوار اسمه كلمات خالد وعشق شمس، لأكثر من نصف شهر وأنا عالق في قراءة هـذه الرسـائل الـتي أتشـارك والجـنين باجترارها دون ملل، سرتُ عشرات الكيلو مترات إن لم يكن المئـات، وأنا أعيد قراءتهـا علـى جنـيني دون ملـل، اصـطحبتها معـي في نـزهٍ طويلـة في طرقـات المستشـفى وفي حـديقتها وفي الغابـة الخاصّـة بهـا، حيث هناك الهواء النّظيف المعقّم المبثـوث في غـلاف عمـلاق يكتنـف سماء الغابة، فلا تُرى سماؤهـا إلّـا مـن خلـف زجـاج شـفيف، وفي الجوار الكثير من الأشجار الصّناعيّة الخضراء المصـنوعة مـن اللّـدائن الطّريـة ذات اللّـون الأخضـر والتّمايـل الإلكترونـيّ والـرّوائح شـبه الطّبيعيّة التي توحي للرّائي بأنّه أمام أشجار غابة عتيقة تهبه أسراباً من العصافير وهديراً من سقسقتها.

لا بدّ أنّك يا جنيني الحبيب تتـوق إلى أن أقـرأ لـكِ المزيـد مـن يوميّات أمّكِ، ولعلّ هذا الانتظار هو ما يؤخّر حضوركَ إلى الكـون، الأطبّاء قلقون من تأخّركَ العجيب ومن تصـميمكَ علـى أن تبقـى في ملجئكَ الدّافئ أطول مدة ممكنة، ينعتونكَ أحياناً بـالموات، ويفكّـرون

في استئصالكَ، فتردّ عليهم ساخراً من مزاعمهم وظنونهم الأمنيات بوجيب قلب صاخب وبحركة دؤوبة لا تعرف توقّفاً، أنا لستُ مستعجلاً أو قلقاً؛ فكلّ إيماني ينحصر فيكَ، وكينونتي كلّها تأخذ شكلاً واحداً، وهو انتظاري لكَ.

نزولاً على أمر الأطبّاء المؤطّر بالاهتمام والنّيّات النّاصحة أمارس وإيّاكَ رياضة المشي الصّباحي لأكثر من ساعتين منذ ثلاثة أسابيع، أعترف بأنّ حملكَ بوزنكَ الثّقيل أمر مضنٍ، تكاد قدماي النّحيلتان تخوران تحتكّ، ولكنّي مصمّم على أن أهبكَ فرص الحضور جميعها في أفضل صحة ممكنة، أحقاً سيسرّع هذا المشي من حضوركَ إلى الكون؟ وهل حقّاً سيهبني ولادة أيسر وآلاماً أقلّ؟ أرجو ذلك، فأنا أحتاط للألم منذ عرفتُ حقيقة الولادة بمساعدة صديقي الآليّ الذي أمدّني بمعلومات مذهلة حول تسريع الولادة، وتسهيلها طبيعيّاً قدر الإمكان.

دخلنا منذ يومين في الشّهر الحادي عشر من الحمل، وأنت يا غالي تزداد حجماً، وتزداد قوّة في الرّكل، وتصميماً على أن لا تغادر رحمكَ، وكلانا يمشي دون توقّف في هذه الغابة الجميلة، لنقرأ بتكرار لا يعرف السّأم رسائل والدكَ لأمّكَ، لعلّهما كانا أسعد كائنين في مجرّة درب التّبانة في هذه الألفيّة بهذا العشق الكبير.

لقد عرفتُ الكثير عن خالد الكائن اللّغويّ النّادر في عصر غابتْ فيه الكلمات، وانتحرتْ فيه الحروف، وسُبيت منه كلّ تفاعلات الجمال والاندماج والانصهار التي تهب العمر أعماراً، واللّحظات لحظات، والمساحة مساحات، أعترف بأن والدكَ خليط عجيب من الأشياء الجميلة، أكره أن أعترف بذلك، فالرّجل لا يسعده أبداً أن يعترف بسحر رجل غيره، لكن لأنّني الآن رجل غير الرّجال أجمعين، فأنا حالة معلّقة بين عالمي الرّجولة والأنوثة؛ لذلك لي الحقّ في أن أُطلّ دون خجل على العالمين، وأتملّى من عريهما، وأقول ما يطيب لي؛ لذلك أقول لكَ يا جنيني الأثير إنّني أعرف خالداً الآن كما تعرفه أمّكَ، أدركتُ مدى قدرته الفطرّية المدهشة على أن يجعل من أمّكَ امتداداً لوجود الله في صدره، وشكلاً من أشكال إيمانه، وطريقة لعبادته وصلاته، وامتداداً لطاقته، عرفتُ معنى أن يختزل رجل جسده وقبلته وشهوته في امرأة دون غيرها، استوعبتُ معادلة مستحيلة من ابتعاث طاقة كونيّة مدمّرة من جسدين صغيرين يتقنان حرفة الخير والعطاء والاشتياق والجنس، هي وهبته الافتنان والكلمات وذاتها، فوهبها تأليهاً على قلبه، وجعلها مفتاح مداركه ومحرّكة عشقه ومستفزّة حواسه وشهواته والحارسة على امتداده الطّبيعيّ فيها. كم هو عجيب الحبّ الذي يجعل امرأة سمراء صغيرة الجسد ورجلاً مغترباً في أقاصي القمر حارسين نبيلين على بوابة الكون.

خالد يملك معادلة غريبة من الحبّ والدّعم والإقدام والإحجام والخوف والرّجاء والقوّة والعطاء والتّمنّي والتّمنّع والغيرة والتّفهم والإدراك والفناء في اللّحظة والامتداد والتّمحور فيها، يملك التّناقضات جميعها دفعة واحدة وبطعم حلو، فماذا كانت تملك شمس؟ يا جنيني الأثير، اجبني، ماذا كانتْ تملك أمّك دون نساء العالمين؟ ماذا ترى في داخلها الآن؟ هل يجري الدّم في عروقها؟ أم هو ماء الياسمين ما يضجّ بوجيبها الحارّ؟ هل تشمُّ من قرارِكَ المكين رائحة جسدها الياسميني أم أنا وحدي من يسكر به ببذخ وارتواء؟ هل تفهم معنى ما أسألكَ عنه يا جنيني؟

اجبني يا جنيني بأيّ علم تملكه هل كانت ستتغيّر أقداري لو كنتُ أملك قلب خالد؟ هل كانتْ زوجتي ستخلص لي في أزمتي هذه عندها؟ هل كان ابني سيكونان بقلبين يعرفان الحنين إليّ والاشتياق للحظاتي؟ أعتقد أنّ القضيّة لا تتعلّق فقط بقلب خالد وبأقداري التّعسة، بل تتعلّق بقلب شمس وبمشاعرها الجيّاشة وبطبيعتها المعطاءة، معادلة عشقهما تتطلّب وجودهما كي تحصل المعجزة، وتنبعث أجمل طاقة إسعاد وحياة من تفاعل جسديهما وروحيهما وفعليهما، كي يكون هناك خالد يجب أن تكون هناك شمس، وكي يكون هناك معنى لوجود شمس، يجب أن يكون خالد هناك، هذه هي المعادلة الصّعبة السّهلة، هما دون شكّ البُعد الخامس للأشياء، نعم

الحبّ هو البُعد الخامس للوجود، والمفتاح لكلّ طاقاته وأسرار وجوده ونمائه وفنائه.

يا جنيني الجميل المشاكس سأقرأ لك بعضاً من رسائل أمّك إلى أبيك، لقد قرأت هذه الرّسائل عشرات المرّات البارحة وأنت نائم، كانت متعتي الوحيدة في لحظات سكونك وغيابك في أحشائي عنّي، لا تغضب منّي لأنّني استأثرت بها دونك، الآن أقرأها لكَ من جديد، أشعر أنّني حفظتها تقريباً عن ظهر قلب، لقد قرعت هذه الرّسائل قلبي دون توقّف، تمنّيتُ لو أن شمس كتبتها لي، لا قيمة لرجل لم تكتب امرأة عظيمة رسالة عشق له. أمّكَ أسمت هذا النّص "عبرات". أتعرف ما معنى كلمة عبرات؟ إنّها تعني الدّموع. لا بدّ أن العشق العظيم يجبر الإنسان على البكاء مهما كان قويّاً ومتحدّياً، أمّكَ لم تبكِ يوماً في سجنها طلباً للرّحمة، لكنّها كانت تبكي لخالد طلباً للعشق، كم هنّ النّساء العاشقات غريبات السّلوك.

عَبرة (١)

من جديد يقرعُ المطر نافذتي متحدّياً السّماء الصّافية، ودورة الفصول، وأفول الشّتاء، ومولد الرّبيع. كم هو لئيم المطر عندما يقرع قلبي الوحيد بأصابع من ماء وبرد وصقيع، ويسخر من أنوثتي المنتظرة لرجل لا يحزنه أن أنتظره دون معطف أو مظلّة أو شجاعة في ليلة ماطرة تحت نافذة دون قمر.

عَبرة (٢)

يوم جديد يمضي دونك ودوني، أيام جميلة سرقت من عمرينا؛ لأنّنا لم نكن قد التقينا بعد، وأيام أجمل تسرق من عمرينا ساعة بعد ساعة؛ لأنّنا التقينا.

عَبرة (٣)

كنتُ بأرضٍ دون سماء، فجعلني حبّك بسماء ودوار دون أرض، معلّقة الآن بعرش عشقك. وما أبعد السّماء عن الأرض إن سقطتُ من عليائك!

عَبرة (٤)

أكتبُ لي كي لا أجنّ ولا أعقل.

وأكتبُ لك كي تعلم أو لا تعلم.

سيان المتناقضات جميعها في عشقي لك.

عَبرة (٥)

البشر الورقيون، لا سيما الرجال منهم، أشدّ ما أكره في هذه الحياة، وعندما أكتبهم في عوالمي السّرديّة، فإنّني أكرس بوجودهم الوهميّ مصيرهم التّعس، وهو أن يكونوا ورقاً، ولا شيء غير الورق.

وها أنذا أحبّ رجلاً ورقيّاً لّماعاً يصلح لأن يظهر مبتسماً في الصّور كلّها حتى الجنائزية منها ذوات الأشرطة الجانبيّة السّوداء.

حبيبي مصنوع من ورق فاخر؛ يحبني على الورق، يخاصمني على الورق، يهجرني على الورق، يصالحني على الورق، يشتاق إليّ على الورق، يسافر إليّ على الورق، يغادرني على الورق، يلقاني على الورق، ويزورني على الورق، ويغار عليّ على الورق، ويحميني على الورق، يخلص إليّ على الورق، يخونني على الورق، يطمئن على صحتي على الورق، يعرف كلّ شيء عنّي على الورق.

عَبرة (٦)

الكتابة هي الشّيء الوحيد النّابض في عشقنا الموميائيّ؛ أكتبُ، فتقرأ، فتتذكّرني، لا أكتبُ، فتنساني.

ماذا سيكون مصير عشقنا إنْ كفرتُ بالكتابة إليكَ؟ وهجرتها إلى إله آخر؟ أو مللتَ القراءة لي؟ فوجدتَ متعتك في رياضة أخرى؟

عَبرة (٧)

كلّما نزفتُ لكَ اعترافي بعذاباتي وألمي الجهنمي من غيابكَ وبعادكَ ازددتَ إمعاناً في البعد، وإخلاصاً للعمل، وانتماءً للغياب، وتكراراً للاختفاء.

أشعر أنّك تتعمّد ذلك بمعنى ما، وهذا يخيفني منك؛ فما مغزى أنّ تعذبني وقلبي العاشق لك حريٌّ بالإسعاد والإجلال والّتمسيد على

كلّ خلجة من خلجاته، بما يتناسب مع حكمتك العملاقة التي تـدري أنّني امرأة مستسلمة لك تماماً، وخارجة عن أنواع الحروب والمناورات وأفعال السياسية وحسابات الكسب والخسارة والتحالف والتّآمر، فلا تحتاج إلى خطط أو اسـتراتيجيات أو منـاهج أو حيـل تقريـب وإبعـاد وتعذيب وتمريض وتسويف وتغمية وإلغاز. أنا امرأة النّور، فهل أنت رجله؟

عَبرة (٨)

يا لك من رجل وردي هرب منه الصّواب نحو غرور الـذّكورة، وصلف التّدبير! تريدني أن أعتاد على بعـادك؟ تريـدني أن أستسـهل فراقك؟ تريدني أن أستعذب الحياة بعيـداً عنـك؟ تريـدني أن أتجـاوز صـوتك وصـورتك ورائحتـك كلّمـا أمـرتني بـذلك وفـق برامجـك وظروفك الخاصة وحالاتك المزاجيّة؟

أهنّئك بل أعزّيك، فها قـد غـدوت معتـادة علـى فراقـك وبعـادك، وصالك هو من يدهشني؟ فماذا ستفعل الآن يا مـولاي كـي تسـتعيد لهفتي عليك؟ فهي غالية وجميلة ومخمليّة ودافئة.

عَبرة (٩)

أقسم باسمكَ كلّما عزمتُ على أمر، أردّد اسمكَ في جـوارحي كلّما أردتُ أن أتبارَكَ، وألزم نفسي بكلّ صعب إذا مـا قرنتـه نفسـي بلهيبك. أيّها المقدّس، باركني بكَ فإنّني آثمة دونكَ.

عَبرة (١٠)

هذا الصّباح رسمتك على جسدي بالحنّاء، فاستيقظ جسدي بك، وهرب منّي إليك، فهل وصل إليكَ؟

* * * *

لقد تعبتُ من المشيّ، وبدأت أشعرُ بحرارة لافحة تصلي أفخاذي، أشعرُ بدوار شديد، علينا أن نرتاح قليلاً على هذا المقعد يا جنيني، وأظنّ أنّ عليكَ أن تصرخ بكلّ ما أُوتيت من قوة طالباً العون لنا، فأنا لستُ على ما يرام، وصور المكان تغيب عن عيني، والأرض تدور بي سريعاً. . . وأشعرُ أنّني أتلاشى ى ى ى. . . .

عَيْنا كبير الأطبّاء خانتاه بمكر، وقالتا بتبجح متعالٍ: إنّ حياتي، وربما حياة الجنين في خطر كذلك. هذا الدّفق الكبير من الدّم المتنزّي من بين الفخذين أربك جأشي وخبرتهم الطّبيّة، استعانوا بالمزيد من الأطبّاء، طالت المشاورات المشوبة بالقلق والمصطلحات الطبّية، وعلتهم حيرة فيما عليهم أن يفعلوا في هذه الحالة النّادرة التي لم يدرسوا عنها في كليّات الطّبّ ولا في أيّ مرحلة من مراحل الاختصاص، فمنذ أكثر من ألف عام لم تشهد البشريّة حالة ولادة أو نزيف متعلّق بها، توقّعوا أنّها حالة ولادة في البداية، واستبشروا خيراً، لكنّهم جزموا بعد ذلك بأنّها حالة نزيف غير مفسّرة، الأمصال والحقن وهذه العناية الطبّية المدجّجة بالأجهزة المتطوّرة والكادر المهنيّ

الرّفيع لم تعد تجدي نفعاً مع حالتي، والنّزيف في تدفّق، وسرّ الحياة يكاد يتلاشى ميّتاً من بين فخذيّ، أصرّ فخذيّ بقوة على بوابة الحياة في جسدي، أخشى أن ينزلق جنيني خارجها ميتاً، أعاهدُ نفسي على عدم فتح فخذيّ، ولو تصفّى دمي كلّه، وانطفأت جذوتي حياتي.

أنا لن أتنازل عن هذا الجنين مهما كلّفني الأمر. أتحدّى نفسي قائلاً. مسبار التنفّس، ومراقب دقّات القلب يشيران باطّراد إلى اضطراب التنفّس وعدم انتظام دقّات قلب جنيني، وحدات جديدة من الدّم تدخل جسدي عبر محاقن خاصة، الممرضات المشرفات على حالتي يقلن إنّ منسوب الدّم في جسدي في انخفاض خطير، يصرخن طالبات المزيد من وحدات الدّم زمرة+o، تداهمني رغبة حمراء بضحك أسود جنائزي، أجزم بأنّ الجميع يؤدّي عمله في هذا المكان أفضل مني، فلو سألنني الممرضات عن زمرة دمي دون أن يفحصنها للتو على عجل، لقلت لهنّ إنّها +A، ولما فطنتُ إلى أنّ زمرة دمها قد تكون مختلفة عن زمرة دمي، وعندها ستقع الطّامة الكبرى، وأحصل على دم من غير زمرة دمي، وأدخل في مشاكل صحّية جديدة، قد تزيد من الأخطار المحدقة التي تهدّد جنيني.

نعم الكلّ يؤدّي عمله على أفضل حال، أمّا أنا فمخفق دائماً، في المرة الأولى خسرتُ جسدي؛ لأنّني لم أحسن القيام بعملي، ومن ثم خسرتُ حياتي وزوجتي وولديّ وعملي وعالمي كلّه، والآن أنا مخفق

من جديد، وأشارف على أن أخسر السّبب الوحيد لحياتي والمعنى العريض لوجودي ومبرّر انتظاري لغد، أكاد أفقد جنيني، لا أعرف فيما أخطأتُ في حقه، حتى يقرّر أن يغادرني ميتاً أو مختنقاً بسوائل رحمي أو بنزيف جسدي إن استمرّ على هذا الحال، لقد كنتُ له المأوى والملجأ والأم والأب والصّديق والعشيرة، والآن بعد أحدَ عشرَ شهراً يريد أن ينبذني في الوحدة والفراغ من جديد، ويستسلم للموات.

لا، هذا لن يكون، جنيني، هل تسمعني؟ لن أسمح لكَ بأن تستسلم، أنتَ ابن النّبيّة وابن خالد، لقد غيّرا قانون الأشياء جميعها من أجلك، لقد تحدّيا حكومة المجرّة من أجل أن تكون، بكَ ارتبطتْ طاقة جديدة ستغيّر خارطة القادم، ألا تخجل من أن تكون هارباً وفاشلاً وضعيفاً بعد هذا كلّه؟ يا لكَ من جاحد!

عليك أن تقاوم يا أثيري الغالي، هناك من ينتظرك هنا بمحبّة الكون كلّها، أنا أنتظرك، وخالد في القريب سيكون في انتظارك، أتحرمه منك قبل أن يعرف أصلاً عن وجودك؟ لمن سأقرأ مذكرات أمّك بعد الآن؟ أنا آمركَ بأن تصمد، لن تتسلّل خارج جسدي جثة مهما كلّفني الأمر، أنا لن أُهزم أمامكَ بكَ، بل سأنتصر بكَ لكَ، لقد قرّرت ذلكَ، وعندما يتكلّم باسل المُهريّ فارس أوّل جيش مقاومة عليكَ أن تطيع، أنا أحبّكَ يا صغيري. في هذه اللّحظة أشعر بأنّكَ

جنيني أنا، لا جنينهما هما الغائبان الحاضران، لا تجرّعني مرارة ثكلكَ، وأنت من أذقتني حلاوة أُنسكَ.

للحظة يخفت صوت مسبار تنفّس الجنين ومراقب دقّات قلبه، يسود هدوء مميت في المكان، سؤال مكفّن بالسّواد يطوف سريعاً على أزواج العيون كلّها الموجودة في الغرفة، وخلف أجهزة المراقبة، تهرب عيناي في البعيد حيث لا أسئلة أو أجوبة، يا إلهي ما أبشع الفقد في لحظة الأخذ! ما أشدّ قسوة الحرمان في لحظة البذل! كيف لي أن ألتقط من بين فخذي جثة هامدة وقبل دقائق كانت هبة منذورة للحياة؟ كيف أسجّيه وكنتُ أؤمّل النّفس بأن أضمّه إلى صدري وأهدهده، لألقمه ثدي الحنان؟ كيف؟ وكيف؟ وكيف؟

من جديد يتعالى صخب مسبار التنفّس ومراقب دقّات القلب بقوة وانتظام متحديين، راحة بطعم الحياة والانتصار على الفناء تداهم العيون كلّها في لحظة فرح، أجزم بأنّ جنيني قد قرّر أن يصمد، يرتخي فخذاي دون قلق مني، فأنا متأكّد من أنّه لن يغادرني مجروفاً مع أيّ نزيف، فهو يريد فرصته في الحياة، أبصق باستهزاء في وجه الموت ذي السّحنة المقيتة، وأهلّل للحياة بترديد ترنيمة ارتجالية، ثم استسلم لنوم قرير يصلح للمنتصرين.

* * * *

لقد رأيتُ حلماً جميلاً في نومي، بل إنّ هـذا الحلـم هـو مـن رآنـي، رأيتُ جنيني قد جاء إلى الحياة أخيراً، لم يأتِ إليها طفـلاً رضـيعاً كمـا كنتُ أتوقّع أن يأتي، بل جاء إليها صبيّاً جميلاً يافعاً في سـنّ العاشـرة، كانت له ملامح أمّه شمس، وله ضحكات عالية مقهقهة، لعلّه ورثهـا من أبيه خالد، كـان يجلـس إلى جـانبي علـى مقعـد في حديقـة جميلـة، ويتعلّق بيدي، ويرجوني أن أقرأ له المزيد من رسـائل أمّـه شمـس إلى أبيه خالد، وكنتُ أقرأ له بسعادة غامرة رسالتها التي بعنوان "جمرات":

جمرة (١)

للاحتراق قدسيته عندما يكون في مذبحك، هي رسائل النّساء كلّهـا مرسلة دفعة واحدة إليك.

جمرة (٢)

رجل يسكن ما لا يجب أن يُسكن في الرّوح، يحتلُّ هضاب النّبض وقيعان الوجدان وأشجار التمنّـي، يُطـلُّ وجهـه مـن المرايـا والعيـون والكلمات جميعهـا، يقـاسمني السّـرير والشّـهوة والحلـم، وينـام عـن شمالي وعـن يمـيني وعـن قلـبي وعـن روحـي، ويبـاتُ في مسـامات جسدي. أهو حقيقة أم خيال؟ أهو عشقٌ أم جنون؟ أهو من روح الله أم من نفحات الشّيطان؟ لا أعرف ما يكون! لكنّني أعرف أنّه أنتَ.

جمرة (٣)

لا ترسلُ إليّ رسالة الصّباح لتقول لي تصبحين على حبّي ! لكـنّني أسمعك في كلّ صباح تقولها لي! فمـاذا يعـني ذلـك؟ لا ترسـلُ إلـيّ رسالة المساء! لكنّني في كلّ ليلة أتلصّـص عليـك، وأنـت تطبـع قبلـة المساء على خدّيّ! فماذا يعني ذلك؟

لا تتصلُ بي، لكنّني أسمعُ صوتك الخليط من صـوت الـرّيح وأزيـز المطر، وحكمة الفلاسفة يقول لي: أحبّك أحبّك أحبّـك. فمـاذا يعـني ذلك؟ قد يعني أنّني مجنونة، قد يعني أنّني مريضة بك دون شفاء، لكنّـه بالتأكيد يعني أنّك معي في الأوقات كلّها.

جمرة (٤)

يوم جديد ولا جواب لأسئلتي، يوم جديد يـأتي ولا تـأتي، يـوم جديد لا يزورني صوتك أو كلماتك. غيابك يا رجلي هو إلحاد قلـبي المؤمن بك.

جمرة (٥)

كنتُ أعرفُ أنّني سأعشق رجلاً لا يتكرّر أبداً؛ فأنـا لا أقبـل بأقـلّ من القمّة، لكنّني أعترف بأنّكَ فقتَ توقّعاتي وأحلامـي، أنـتَ رجـل كبير كبير، وأنا صغيرة أمامك، ماذا أفعل بهذه المفارقة الغريبـة، أنـا لا أستطيع أن أرقى إليك! هل تستطيع أن تنزل أنتَ إلى حيثُ أنا؟

جمرة (٦)

الكون كلّه يمكن أن يتحول وعيه إلى لحظة تختزل عندي في كلمة أحبّك.

جمرة (٧)

أيّها الرجل أنتَ مشغول عن عشقي الذي يصدفك مرةً في الحياة من أجل أشياء أُخر، ها أنتَ تكرّس له لحظاتك ووقتك وحبّنا، ها أنت تكون له، ها أنتَ تعيش له! وماذا عن وطنك فيّ؟ ألستُ وطناً لك؟ إذن لا تخسرني وطناً، لا تخنْ نفسك بخيانتي، إنْ تنازلتَ عنّي وطناً، فأنا لا يمكن أن أتنازل عنكَ عاصمة لوجودي.

جمرة (٨)

من الآن سأبدأ كلّ ما أكتب باسمكَ المقدّس، من غيره يحمل البركات، ويجبل بالخير، ويلد الأمنيات؟ أحبّك اسماً وبداية ونهاية ومآلاً وجنةً وفردوساً وإثماً وخطيئة وطهوراً.

جمرة (٩)

عشرون يوماً مرّت وأنت بعيد قريب، أحاول أن أكون امرأة متزنة، أشغل نفسي بالأعمال كلها، أقوم بالواجبات جميعها، أبتسم للجميع، وأنجز المهام كلّها، لكنّني أفشل في أن أكون نفسي. من الحكمة أن أقول لك إنّني أتدبّر جيداً مع غيابك، لكن من الصّدق أن

أقول لك إنّني أحترق بعيداً عنك، أكاد أجنّ، روحي تضاءلت حدّ الانكماش، تخفق الدّنيا كلّها في أن تعوّضني عن كنزي العملاق عندما تصلني منك رسالة الصّباح، أو عندما أسمع منك كلمة أحبّك بلكنتك المثقلة بالرجولة الآسرة، أو عندما تقول لي: تعالي.

لا أساوي شيئاً في غيابك، بعيداً عنك أنا مجرد امرأة لاكها الألم، ولفظها النّسيان. متى تعود فأعود؟

جمرة (١٠)

يوم جديد، بل إنّه جمرة جديدة، والأمطار تحاصرني في الخارج والدّاخل وفي الذّكريات، وجمرة تلو جمرة تحرق أحشائي، وتتجاهل سلطة المطر، وحكمة الابتلال. كلُّ يوم أرسلُ إليك رسالة جديدة محترقة بجمرة الغياب والإحصاء لأزمان خرافية تتغوّل لتبتلع حيرتي وأنفاسي وجغرافيتي.

منذ غبتَ والأرض لا تدور، منذ غبتَ تعطلّت سيرة الأشياء، وتغيّرت دورة الكواكب والمجرّات، منذ غبتَ بتُّ أجهلني وأخافني وأخافكَ. متى تعود؟ متى أفتحُ الباب، فأجدك أمامي؟ لكن لا باباً يفصل أحدنا عن الآخر، بل هي المسافات من تبعد أحدنا عن الآخر.

متى تأخذني إلى حضنك؟ لكنّني غاضبة منك، فهل سوف تصالحني كما ينبغي؟ متى تهمس في أذنيّ بكلمة: أعشقك؟ متى تنصرني على أسئلتي وحيرتي وغيابك وتعود؟

جمرة (١١)

قل لي من علّمك أن تكون قاسياً إلى هذا الحدّ؟ من لقّنك تراتيل البعاد؟ من عرّفك دروب التّعذيب؟ من عوّدك أن تجفوَ حبيبتك إلى هذا الحدّ؟ أيّاً كانت الأسباب والأعذار؛ فهي لا تغيّر من حقيقة أنّك قاسٍ ومتجبّر تجيد أن تقسو عليّ، وأن تمنعني نزيرك الذي لا يعدو أن يكونَ سماع صوتك الفردوسيّ من وقت إلى آخر، إذن أنت بخيل.

يا لهف قلبي عليّ! هاأنذا أعشق من يعذّبني، ويهجرني، ويقسو عليّ، ويبخل عليّ بتواصله ودفئه! وقلبي لا يملك أن يطير؛ فهو عصفور مبلّل بعشقكَ، والسّماء كبيرة وبعيدة، وهو صغير، وحبّك هو طائر العنقاء الذي يملك السّماء الرّحبة الزّرقاء، وأنا لا أطير.

جمرة (١٢)

هذا الصّباح استيقظتُ، والملك لك في قلبي، استيقظتُ على ملّة حبّي لك، وشهادة أن لا رجل يسري في شرياني إلّا إيّاك، وتعوّذت بك من شكّي فيك، وكدتُ أسجدُ لك لولا شوكة الشّك التي تخزُ قلبي دون رحمة أو هوادة منذ أن زرعتها في خاصرتي بغيابك الخرافي.

جمرة(١٣)

لن أكتبَ لك بعد اليوم؛ فما جدوى أن أُحصي الجمرات، وقد أصبحتْ جميعاً الواحدة تلو الأخرى حريقاً عظيماً شأنه أن يحرق قلبي وقلبك، وينتصر للأشياء جميعها إلّا لنا.

أن أتوقّف عن الكتابة لك يعني أن الحزن واليأس قتلني، حبّك هو الباقي الوحيد في نفسي.

ارفقْ بي وبأشيائي الصّغيرة، ولا تطالبني بما هو فوق طاقتي، لاسيما بتحمّل غيابك، فكيف لي أن أطيق فراقك؟ وأنتَ ضوء العين، وبهجة الروح؟ أما يكفي الفراق كلّه الذي ذقناه قبل أن نلتقي لتطالبني بالمزيد من الفراق والقطيعة.

* * * *

"سيدّ باسل المُهريّ أنت أوّل رجل في تاريخ البشريّة تُجرى له هذه العمليّة، الكون كلّه يعلّق كلمته وقراره عليكَ، بعد مرورِكَ في هذه التّجربة، وتكلّلها بالنّجاح، وبعد أن قال العلماء والأطبّاء كلمتهم في هذا الشّأن، وقالوا إنّ هذه العمليّة باتت ناجحة وممكنة تماماً في ظلّ هذا الإنجاز العلمي الطّبي المعجز، وفي ضوء البوادر الأولى التي تشير إلى أنّ حكومة المجرّة قد تمنح موافقتها القانونيّة الكاملة لمثل هذه العمليات ضمن ضوابط مقنّنة، ماذا تقول أنتَ للبشريّة جمعاء؟ هل تقول نعم لهذه العمليّة أم لا؟"

سأل الصّحفيّ ذو الشّعر الفضّي، والنّظارات الشّفافة اللّيلكيّة الإطار، وهو يصيخ باهتمام منتظراً الجواب وقد مال بقامته إلى الأمام، وفي يده مكبّر صوت موصول بآلة تسجيل دقيقة لا سلكيّة من النّوع المرتبط مباشرة بمحطات البثّ الفضائية عبر المجرّة، ومئات

الكاميرات ومكّبرات الصّوت وأجهزة التّسجيل المرئيّ والصّوتيّ والصّحفيون والإعلاميون والفضوليون تحاصره بالنّظرات هو ومن يجلس معه على المنصّة من كبير الأطبّاء وكبير المساعدين الطبّيين ومدير المستشفى ومندوب المفوّضية العليا للصّحة في المجرّة.

أمّا نظراته فتقفز بتوترٍ بين الحضور مشيعة عدوى الصّمت والغموض الذي تنقلّه بين أزواج عيون رجال الاستخبارات وكبار ضبّاط الجيش وممثلي الحكومة في أكثر من قطاع ومندوبي المجلس القضائيّ الكونيّ وبعض المؤسسين البارزين في منظّمة الأطبّاء الروّاد. يتساءل في نفسه: ماذا يفعل هؤلاء جميعاً في هذا المكان؟ ماذا يريدون أن أقول؟ أعليّ أن أقول لا لتكرار هذه العمليّة؟ أم سارعوا إلى ذلك؟ أم عليّ أن أصفّق تمجيداً لها، وأنحني تقديراً وإكراماً لحكمة حكومة المجرّة ورحمتها وعونها، إذ سلبتني جسدي، وسرقت لي جسد النّبيّة، ووهبتني جنينها، وأذهبت حياتي وعملي ونجاحي وزوجتي وولديّ أدراج الريّح والضّياع؟ أيمكن أن أقول بصراحة إنّني لا أعرف من أنا حتى الآن، والشّكر لله أن غدوت أعرف من هي على الأقل، فهي أروع امرأة تعيش قصة ذاتها في الكون، حتى بعد موتها ما تزال تحياها عبر امتدادها الطّبيعي في جنينها، أمّا أنا فرجل يحاول أن ينسى من كان؛ ليكونها بأيّ شكل من الأشكال، ما دام فشل بامتياز في أن يكون نفسه.

الصّمت معقود على الرؤوس، وهو مـازال غارقـاً في وجومـه، وفي بحثه عن إجابات ضائعة في غابة شائكة من الأسئلة المجنّحة، كـبير الأطبّاء يلفت نظره إلى ضرورة الإجابة، قائلاً: سيد باسل السّؤال لك موجّـه إليـكَ! يـدرك أنّ الأوامـر تلزمـه بالإجابـة، ينتضـي ابتسـامة مصـنوعة، ويقـول بهـدوء لا يشـبه بركـان أعماقـه، ويقـول: بلسـان البشريّة أقول إنّ هناك ما يستحقّ المحاولة في هذه الحياة.

- هل يعـني هـذا أنّـك تشـجّع غـيركَ علـى خـوض هـذه التّجربـة الفريدة؟ يسأله الصّحفي نفسه بحماس.
- أعتقد أنّ المسألة تحتاج إلى الإيمان.
- الإيمان بماذا بالتّحديد؟ يسأل الصّحفي من جديـد، وخبـث يـبرق على محيّاه.

يسأل نفسه: أيّ إيمان عليّ أن أحدّث عنه أولئك الماديين الـذين قتلوا الله في صدورهم منذ ألف عام، وآمنوا بالمادة والحياة الـدّنيا ربّـاً وحقيقة، يبحـث عـن أقـرب إجابـة مناسـبة، ويقـول بثقـة ذات نـبرة أوتوماتيكيّة جاهزة للتّكرار:

- الإيمـان بـأنّ الحيـاة ثمينـة، ويجـب أن تُعـاش حتـى اسـتنفاد الفرص جميعها.
- ماذا عن تجربة الحمل التي تخوضها الآن؟ يسأل صحفي آخر بنبرة فيها حسّ عالٍ من الاستخباراتيّة والتّحقيق.

تتعلّق عيناه بصورة وجهه المنعكس في زجاج الكاميرات التي تحاصر إيماءاته، وتلتقطها، لا يراه، بل يرى وجهها، ابتسامتها القرمزيّة تطبع قبلة على جبينه، فيغدو شمساً، يلتفت إلى الصّحفي ذي سؤال الحمل، ويقول: هذا الحمل فُرض عليّ فرضاً وفقاً لملابسات خاصّة يطول شرحها.

- هل ستحتفظ به؟ يسأل صحفي آخر أمرد وسيم.
- إجهاضه الآن فيه خطر على حياتي.
- ماذا تقول لنا عن تجربة الحمل هذه؟
- هي تجربة صعبة؟
- ماذا عن الجنين؟
- هو ذكر، وسيكون اسمه ورد.
- ورد؟ هذا اسم غريب! ما معنى هذا الاسم؟
- لا أعرف، هو اسم سمعته في مكان ما وأعجبني. يجيب بخبثٍ وبرود، ويده تنزلق على بطنه، وتربتُ عليه، وكأنّها تطمئن الجنين على أنّه سيكون في خير وفي مأمن، وأن لا يد بشرٍ ستمتدّ إليه بشرٍّ.

* * * *

من العبث أن تجتمع هذه الأشياء المتناقضة والمتنافرة كلّها في هذا اليوم دون غيره، لسخرية القدر قلبي آل على نفسه أن يتسع لها جميعاً، فقد رحُب حتى أصبح معبداً يقبل كلّ شكل وصورة وأيقونة ولحن وضياء فرقد، لكن يبقى السؤّال المعنّى دون إجابات: لماذا عليّ أن أعيش مراراً وتكراراً تجربة تمزّقي بين الأشياء كلّها؟ حتى السّماء دخلت هذه الحرب دون هوادة، وقد خرجت منتصرة، كما هو شأنها دائماً، وبها يكون النّصر، فمكتوب على مصارع أبوابها بماء اللّعنة والتّيه: "قُدر على من يقتل الله في نفسه أن يحمل روحه المعذّبة على يديه طوال حياته".

مع أوّل شعاع من أشّعة هذا الصّباح الشّتوي البارد، نطق باسل جهراً صدقاً: لا إله إلّا الله، هو ربّي وأنا عبده، وإليه المآل. لقد امتلأ صدره بإيمانه وشهادته، فرحب الكون من جديد، وأصبح أشدّ بهاء وأكثر أمناً، وعرف له غاية ومصيراً ومعنى لوجوده وخلقه، الآن أدرك سرّ الضّياع الذي تعيشه الإنسانيّة المعاصرة وارثة إلحاد هذا الانفجار العلميّ والحضارة المعلوماتيّة بكلّ ما فيهما من كفر وعناد.

أكان عليه أن يقطع هذا الدّرب الطّويل كلّه، ويعيش تجربة المستحيل، ويخلع جسده في مكان ما، ويلبس جسد غيره، ليبحث عن نفسه، فيجدها في جسدها وفي نفسها وفي مذكّراتها وفي كلماتها؟

لعلّ القدر رتّب له هذه الرّحلة الغريبة والطّويلة في البحث عن نفسه، بل الله من رتبّ له هذه الرّحلة، وقاده إلى نفسه، نعم كانت إلى جانبه منذ البداية طاقة خيّرة تحبّه وترعاه، وهـذه الطّاقـة هـي الله دون منازع.

الرّحلة صعبة، لكن المُزار يحتاج إلى هذا العناء كلّـه، مـا دام هـو الطّريق إلى الله، فما أجمل البكاء على أعتابه! وما أحلى الوقـوف في ذلّ سؤاله! وهو المعطي الوّهاب.

لقد آمـن بـالله ربّـاً، وبهـا نبيّـة كلمـة، أخرجتـه كمـا خرجـت وأخرجت الكثيرين من ظلمات الإلحاد والكفر إلى فراديس مـن نـور الإيمان، وحلاوة قرب الخالق الواحـد الأحـد الفـرد الصّـمد. هـي لا تدّعي أنّ الله أرسلها برسالة أو أمانة، لكّنها تفيض مـن إيمـان نفسـها وجلاء ما اكتشفت من حقيقة على النّـاس أجمعـين، وتمتطـي كلماتهـا وموهبتها الكتابيّة لتعبر بهم جميعاً نحو الله؛ لذلك سمّيت بالنّبيّة.

لقد قرأ كلّ ما كتبتْ خلال الشّهر الماضـي، مـا تـرك لهـا كلمـة جادت بها قريحتها إلا وقرأها، بـدأ مـن حيـث انتهـت، ثـم عـاد إلى حيث بدأت، قرأ روايتها "سِيَر أصحاب الشّـعر القصـير" ثـلاث مـرّات متتالية في أسبوع واحد، وقرأ كلّ ما كتبت للأطفال من خيـال علمـيّ في قصص ومسلسلات دوريّة وحلقـات أسـبوعيّة في المجـلات، وقـرأ قصصها كلّها ودراساتها ونصوصها عـن الله والحـبّ والجـنس وعـن

معاني الحرّية والإخاء والسّلام الحق، وقرأ قبل ذلك أبحاثها المشتركة مع خالد عن البُعد الخامس، وهو الحبّ، وعن طاقته، وعن فرضية هذا البعد، وعن الإمكانيات المفترضة من تفجير طاقة هذا البعد واستثمارها في إعادة تشكيل ملامح حياة البشرية، واسترداد سعادتها المسلوبة في عصر الآلة والسّلطة الغاشمة وتشييء الإنسان، وجعله رقماً عاملاً بعبوديّة موصولة مقنّعة لخدمة أسيادٍ يستأثرون بالسّلطة، ويحرمون الإنسان بسيف القوانين والنّظام والمصلحة العامة والضّرورات الكونيّة من أبسط أشكال تواصله الإنسانيّ وامتداده الطّبيعيّ، وسعادته الرّوحيّة والمعرفيّة والنّفسيّة والعقليّة والجسديّة.

لا بدّ أنّ هذه الأفكار والكتابات والآمال والتثويرات، هي من بوّأها لأن تكون نبيّة هذا الزّمن الجديد في عمر البشريّة، وهي من جعلتها قِبْلة الباحثين عن الحقيقة والخلاص، وهي من شهرتها، وجعلت منها قبة وجرساً ومحراباً ودواة ودمعة ومآلاً، فالتفّت حولها العقول والأفكار، وآمنتْ بها الألوف المؤلّفة التي شكّلت عشرات المنظّمات السّريّة المؤمنة بالله، والنّابذة للكفر، والسّالكة في درب الهداية والمعرفة والحق. الآن عرفتُ سرّ نقمة الحكومة عليها، ومن ثم اعتقالها، وتعذيبها وقتلها، ليست معادلة الطّاقة هي السّبب الوحيد وراء ذلك، بل أفكارها التي تهدّد بتقويض سلطة المتسلّطين هي الدّافع الأكبر لسيرها نحو مصيرها المتوقّع؛ فالكون لا يتسع للفساد والإصلاح في آنٍ، على واحدٍ منهما أن يفرض نفسه، وينفي الآخر.

وأنا كنتُ -لسوء حظّي- آلة الدّمار والفتك التي تعيث قتلاً وتشريداً وإثماً في أولئك المؤمنين الذين تسمّيهم الّدولة ثوّاراً. أصدحُ الآن بترنيمة الرّوح والحقيقة "أن لا إله إلّا الله"، الآن عرفتُ حكمة أن أخلع جسدي الطّاغي الظّالم الخليق بالعذاب والخطيئة، لألبس هذا الجسد الطّاهر العارف بشؤون الحقيقة والنّور والهداية، فلا عجب إذن أن يكون اسمها شمساً، لتنير قلبي بقلبها، وتقود جسدي بجسدها، وتنير روحي المعتمة بروحها الوضيئة.

لا بدّ أنّ السّماء قد قبلتْ بي تائباً يعود إلى فراديس الله وسدرة منتهاه عارياً من خطاياه جميعها ولاسيما جسده، ووهبتني مِنّة المغفرة لتقرّ عيني، وتطيب نفسي، فجعلت من هذا الجنين المخلّص سليل العشق وطاقة البُعد الخامس إمارتي على القبول ورسالتي الحجّة بين يديّ الله، وقد آن لي أن أسعد بهذه الحجة.

جنيني الغالي أما آن لكَ أن تهجر مسكنكَ؟ وتخرج إلى الكون؟ اثنا عشرَ شهراً أمضيتها في رحمي. فهل تبغي مزيداً؟ قد أتشفّع بتراتيل أمّك في مذكراتها كي تطلّ بوردك وياسمينك فتزهر في روحي. سأقرأ لكَ على شرف عيد ميلادكَ العام في رحمي باقي يوميّات أمّكَ، أخشى أن تأتي إلى الحياة، ولّما تقرأها كلّها بعد، لعلّكَ لن تقدم على هذه الخطوة العملاقة قبل أن أنتهي من قراءة اليوميّات كلّها على مسمعيك، فتحسم أمركَ، وتعدّ عدّتكَ، وتشرع في الانزلاق في

هذا العالم المتوحش المخيف إلّا من اعتصم فيه بنور الله ورحمته، وأنا من المعتصمين.

أنتَ الآن حقيقتي الوحيدة وبرهاني على إيماني وصلاتي ونسكي ومحياي ومماتي، بكَ أموت، وبكَ تبعث النّبيّة حيّة، فأنتَ نبض الحياة والعشق المشدود إلى شمس وخالد، وأنتَ دون ولديّ المزيفين امتدادي وابني الحقيقي.

عندي رغبة جامحة في أن أقرأ بعضاً من رسائل شمس إلى خالد، هذه الرّسائل أقرأها بنهم من يقرأ رسائل وصلتْ إليه من حبيبة عاشقة، وأشدّ الرّسائل قرباً إلى نفسي، هي رسائلها بعنوان "صلوات"، لا أعرف ماذا تكون الصّلاة بالضّبط، لكن مساعدي الآليّ وعد بأن يمدّني بالمعلومات الكافية عنها، وما أزال أنتظر معلوماته التي يجد صعوبة في تحصيلها من مراجع المعلومات المفهرسة الإلكترونيّة والدّريّة منها، لكنّني أظنّ أنّ الصّلاة رياضة روحيّة مفيدة.

صلاة (١)

لا أجد فرقاً بين أن أصلي لك وأن أبكي في حضنك، فكلاهما نار مقدسة تكويني، وأنت أيّها العاشق الضّارب في القدم والألم والرّجولة والجمال والأسرار والمهمات العاجلة مخلوق لتكون مذبحاً لقلبي، فاقبلني قرباناً مادمت لا تستطيع أن تهبني حياة، وما أحلى الموت على أبوابك المقدّسة! فوحدي من دون نساء الأرض من

تعرف كيف تعشقك. فكيف تراك ستمسك في يد واحدة صلاة وعبرة؟ ثم لا تترك الصلاة تحرق العبرة، ولا العَبرة تطفيء الصّلاة؟ لا بدّ أنّك تعرف الطّريقة، فأنت تعرف كلّ شيء إلّا مقدار شوقي إليك، فالله من يعرف مقداره.

صلاة (٢)

هذا العشق الخرافيّ كيف فعل بي ما فعل؟

كيف حوّلك إلى طائر أسطوريّ في النّار ولا يحترق؟

وحوّلني إلى امرأة ملعونة لا أليف لها، ولا ولد، ولا وطن، ولا زمن؟

إذن كنْ وطني؛ لأخرج من أزمان الأساطير البائدة الخرافات، فأنا حقيقتكَ المطلقة في زمن النّسبيات الكونيّة والوجوديّة.

صلاة (٣)

قد صار اسمك تميمتي وترنيمتي، أتلوه على نفسي ما تيسّر من العشق، فبه أحيا وأنمو وأنام وأستيقظ وآكل وأشرب وأستحمّ وأمرض وأشفى وأنكسر وأنجبر. سأدخل الجنّة؛ فأنا المسبّحة باسمك الأكبر ليل نهار.

ما أشبهك يا حبيبي بسؤال لم تُخلق له إجابة. أنتَ رجل الأسئلة الكبرى، وأنا امرأة الأسئلة الصّغرى، وبين بين ينام العشق مطمئناً ريّان شبعان دفيان لا يأبه بحاجتك ولا بانتظاري.

أنـت تبحـث عـن إجابـات لأسـئلة السّـلطة والنّجـاح والجـاه والقوة، فتجدها، وأنا لا أجـد إجابـات لأسـئلة محرّمـة علـى روحـي الطّفلة، مثل: متى عيد ميلادك؟ ماذا تحبّ من الأطعمة؟ ما هو لونك المفضّل؟ ما موسيقاك المفضّلة؟ ما هـي أحلامـك الصّـغيرة؟ مـا هـي عاداتك؟ ماذا تكره؟ ماذا تحبّ؟ ما طقوس استحمامك؟ أيّ الكتـب قرأت؟ أيّ قصـص العشـق عشـتَ؟ مـا هـو عطـرك المفضّـل؟ . . . وغيرها الكثير الكثير من الأسئلة الورديّـة الصّـغيرة الضّـعيفة مقارنـة بأسئلتك الكبيرة القوية.

صلاة (٤)

أختـزلُ المعلومـات المجهولـة عنـك في كلمـة حبـيبي، وأغلـق كرّاسة العشق بعد أن أخطّ فيها كلمتي الأريجيّة، فتغفـو الكرّاسـة، ولا أغفو.

صلاة (٥)

عرف قلبي زمنين لا غير: زمناً بائداً لا ملامح له قبلك، عندها كان القلب خرائب دون خرائط أو مسالك أو دروب أو نجوم يُهتـدى بها، وزمناً بعدك، هو الأزمان كلّها حيث اتسـع القلـب إكرامـاً لمثـواه فيه، ليصبح مـدائن وقلاعـاً وعواصـم وسمـاوات وأرضـين وأكـوان ومجرّات.

لقد اتسع القلب بقوة جاذبيتك لأعشق كلّ من في الكون، وأُغرم بأفراد عائلتك وعشيرتك في هذا الكون السّرابيّ، إذ عشقتهم الواحد تلو الآخر، عرفوا ذلك أم لم يعرفوا، إمعاناً في حبّك أنتَ.

صلاة (٦)

هل هذا العشق المتغوّل المستبدّ الملحاح لعنة؟ أم عقاب؟ أم امتحان؟ أم فناء؟ أم نماء؟ أم فردوس؟ أم جحيم؟

لعلّه كلّ شيء يمكن أن يتلخّص في اسمك.

صلاة (٧)

لماذا لا تجيدني يا حبيبي؟ لماذا لا تعرف كيف تسعدني؟ لماذا لا تملك حكمة الأشياء الصغيرة؟ لماذا لا توافي على الانتظار؟ ولا تقارب **أمنية؟ لماذا تختزلني في كلّ شيء؟**

تدهشني سيرة الأشياء الصّغيرة، وأنت رجل لا يحبّ السّير ولا الأشياء الصّغيرة. لو أنّك أجدتني لعرفتَ الحقيقة، ولغاب عنك وجه التمنّي.

صلاة (٨)

مسجونةٌ أنا داخل الانتظار، ومنفيّ أنت خارج الانتظار.

لا مسجوناً يصالح سجناً، ولا منفيّاً يألف غربة.

صلاة (٩)

ذات لقاءٍ بك عشقتكَ، وذات عشقٍ لك تحولّتُ إلى مزولة آدميّة حرفتها أن تعدّ الأيام الماضية من عشقنا الفاني بحسرة، وأن تحصي الأيام القادمة من عشقنا التّليد بأمل كسير.

صلاة (١٠)

لّما كنت بعيداً ومسافراً في ردّتك الشّهيرة الظّالمة توقّعت أيّ قرار منك إلّا أن تستطيع أن تخلع روحي منك وعنك.

في كلّ لحظة طبعت قبلة روح سرمديّة على قلبك البعيد القريب، وكنتُ أجزم أنّ هذه القبلة تحطّ على قلبك ممهورة باسمي، فلك أن تهجرني أو تخلعني، لكن القلوب لا تملك إلّا أن تستقبل قُبل الكائنات العاشقة بكلّ تبجيل، فهذا القانون الأزليّ للقلوب.

صلاة (١١)

كلّما اشتقت إلى أن أشمّك أكثر، اقتربتُ مني، وألصقتُ أنّفي بجسدي، وشممتكَ فيه، فهو يحفظك.

صلاة (١٢)

أتعرف يا رجل الورد أنّ الكتابة هي حقيقة وجوديّة كبيرة، لا شكّ أنّك تعرف ذلك، لكن ما لا تعرفه أنّ المرأة إن كتبتْ للرّجل المعشوق، فإنّها تقوم عندئذٍ بحرفة لا تتناسب مع تكوينها الطّبيعيّ في

علاقتها مع الرّجل، وهي حرفة البوح. لكنّني على الرّغم من ذلك أبوح لك؛ كي أحافظ على مسافة آمنة لي دون الجنون أو الانهيار أو الرّحيل.

* * * *

ألم أقل لكَ يا جنيني الحبيب إنّ هذا اليوم جَمَعَ أشتات المتناقضات كلّها؛ ففيه آمنتُ بالله ربّاً وحقيقة، وبالنّبيّة هادية وسيدة كلمة، وفيه طويتُ آخر صفحة ممّا كتبت النّبيّة، ومنه دلفتُ إلى أنوثتي المذكّرة أو إلى ذكورتي المؤنثة أو إلى نفسي الخنثى التي تجمع أعضاء الخلق كلّها وأدوات الوجود جمعاء؛ لقد مشطّت شعري على المرآة، وحدّقت طويلاً في ملامحي الأنثويّة، واخترت ثوباً نسائيّاً ورديّاً كبيراً يلائم حملي الفضفاض، وتزيّنت ببعض مساحيق التجمّل النّسائيّ، وخلعتُ بصعوبة زغب الإبطين والعانة، وزجّجت الحاجبين بمساعدة ممرضة التّجميل والنّظافة في المستشفى، وتمسّحت بالعطر؛ فجسدنا الياسميني غارق في بذخ أريجه.

اليوم رضيتُ بجسدنا مآلاً، وصالحته بعد طول خصام وجفاء، وقبّلت وجنتيه في المرآة، وأضأتُ الشّموع لقدسيّته، وأدخلتُ الرّقم السّري إلى الحزمة الضّوئيّة لأقرأ من جديد في مذكراتها، وما كنتُ أتوقّع أن تكون زيارة زوجتي الغائبة الغضوب في هذه اللحّظات، وفي

هـذا اليـوم دون غـيره، وإبّـان هـذه المصـالحة التّاريخيّـة مـع جسـدي المقدّس.

قرعتْ باب غرفتي في المستشفى، ودخلتْ دون أن آذن لها بذلك وهي تحمل على وجهها ابتسامة مشـرقة جميلـة لـولا دمامـة قسـمات روحها، شقرتها تغمر المكان بتوتّرٍ محمـوم، لا يقـبّلني طفلاهـا اللّـذان تجرهما وراءها كمذنبين، وتطلب منهما أن يقبّلاني، فيرفضـان ذلـك؛ لأنّهما لا يعرفان من أكون، فأهبهما على عجل قبلـة مجمّلـة اقتسـمها بينهما بعدل أوتوماتيكيّ.

زوجتي تلبس اللّون الأبـيض، لكنّـه يبـدو عليهـا لونـاً ملطّخـاً وسخاً، أتخيّل شمس تلبس الأبيض، وتزهو به مثل كائن طـاهر قـادم من زمن آخر، هي كانت تحبّ لبس اللّون الأبيض، وخالد كان يحـبّ أن تلبس اللّون الأبيض، لقد كتب لها في يوم ما عنـدما رآهـا ترفـرف باللّون الأبيض الذي تلبسه: "هذا البيـاض الفـاتن كلّـه وقلـبي؟ كيـف يحتمل قلبي المسـكين هـذا البيـاض الفـاتن الأخّـاذ؟ كـم أنـتِ جميلـة ووديعة وبهيّة ومقدّسة وأنت بالأبيض! أعترفُ أنّني وقعت في عشقكِ من جديد وأنت تتزينين بـالأبيض، بـل الأبـيض يتـزيّن بـك. خـذيني إليكِ".

تجلسُ زوجتي المزعومة إلى جانبي في مقعد شرفة غـرفتي دون أن أطلب منها ذلك، توزّع نظراتها بعناية بين نظراتي وجسـدي الأنثـويّ الأسمر الجميل، تقول لي بصوتها الرّقيق الملمس: اشتقتُ إليكَ.

- اشتقتَ لي أم لها؟ أسأل بسخرية.

- بل لكَ، الحياة ناقصة في غيابكَ.

- عليكِ أن تعتادي على غيابي.

- ماذا تعني بهذا الكلام؟

- أعني أنّني لن أعود.

- لكن كبير الأطبّاء أكّد لي أنّ صحتك في خير، وأنّه من الممكن في غضون العام القادم أن تحصل على جسد ذكوريّ جميل، سنختاره بعناية فائقة، ستكون صاحب أجمل الأجساد الذّكوريّة وأكثرها وسامة، سنبدأ حياتنا من جديد، و...

يقاطع كلامها بتقزّز يشدّ صوته إلى الانخفاض والحزم: أنا لن أستبدل أيّ جسدٍ بجسدي.

- هو ليس جسدكَ، بل جسدها.

- بل جسدي، وهذا الطّفل القادم هو ابني.

- ماذا؟ هل جننتَ؟ هذا الطّفل الهجين هو ابن الشّيطان، هذان هما ابناك الحبيبان، هل نسيتهما؟ هما في انتظاركَ، عليكَ أن تعود إليهما.

- هذان هما ابنا الطّبيعة المشوّهة وابنا حكومة المجرّة وابنا التّلقيح والانتقاء، لا ماء لنا فيهما، هل تنكرين ذلك؟

- ما هذا الكلام الذي تقوله؟ الأبناء جميعهم في هـذا العـالم ليسـوا من أمواه والديهم.
- لـذلك أقـول لـك إنّهمـا ليسـا ابـني، الجـنين هـو ابـني الوحيـد في هذه الحياة.
- إذن؟
- لن أعود إليكِ يا سيدتي، أمامي مستقبل مختلف وخـرائط لسـتِ في جغرافيّتها.
- يبدو أنّ العمليّة قد أثّرتْ على قواكَ العقليّة فضـلاً عـن وهبـكَ هذا الجسد الأنثويّ الأسمر الصّغير المنفّر.

يضحك غير مبـالٍ بمـا يسـمع، يتجاهـل وجودهـا، وكأنّهـا قـد تلاشت من أمامه كعامودٍ دخان متطاير، ينحني على الحزمـة الضّـوئيّة الـتي في حضـنه، يقلّـب صـفحاتها حتـى يصـل إلى صـفحته المبتغـاه، يتوقّف عندها، يطـالع الزّهـرة المجفّفـة المسـتلقية باستسـلام في داخـل الحزمة، يسند الحزمة إلى بطنه، ويسـأل الجـنين بعطـف وحنـان: أمّـكَ كتبتْ في هذه الصّفحة، ويشرع يقرأ له رسالة مـن شمـس إلى حبيبهـا خالد: "ها أنذا أكتبُ إليك من جديد في زمن الحـرب، ورسـالة عشـق إبّان الموت والخراب والخوف تشبه عصر وردة على شفاه ميّت، فهـل يمكن لقطرات زهرة أن تشـفع عنـد الـرّب لتبعـث الحيـاة في وشـائج ميّت؟

هذا ما أفعله تماماً عندما أكتبُ إليك، وهذا ما أشعرُ به عندما أرسم وجيب قلبي على شكل حروف وكلمات وجمل، وأنتَ هناك بعيد حيث الحرب والدّمار والرّجال أصحاب الضمائر البائدة والوجوه العابسة المظلمة، ووجهك الطّاهر الملعون بحمى التّطاحن. ما أصعب مطاردة وجهك الورديّ بكلماتي المكتوبة بالماء والهواء والنّبض المتعالي على يأسه!

لا تسلني ما جدوى كلماتي وعشقي ورسائلي وأنت هناك في البعيد، لا ترثي لانتظاري وأنت تعلم أنّك لن ترحمه في لحظة ما؛ فأنت أضعف من أن تترك الحرب، وأنا أقوى من أن أهجرك لحروبك ولعجلة السّنين التي تدوس فتات شبابنا وتذر كثبان أحلامنا أدراج الرّيح.

الحربّ والعشق وانتظاري وأنتَ هي رقصة شريّرة على أنغام قلبي الغرّ، هي الحياة على ذمّة الموت، هي صوتي الخفيض الذي يتعاظم ليعلو على طبول الحرب ونواعق الموت، ويدعوك كي تعود إلى قلبي، وتصوم عن الموت والدّمار، هي إشارتي الصّوفيّة التي لا يمكن لقلبك أن يفكّ طلاسمها إلّا إن نذر عشقاً لا يكون إلّا لي، وتوضأ بماء الوصل، ونوى صلاة ركعتين في محراب الهوى.

أوّل ما ستقرأ في رسائلي لك في زمن الحرب يا رجلي الورديّ الذي نفر إلى الحرب يتأبّط الموت، وأنامله مفطورة ليكتب بماء الورد: ما أصعب الكتابة إلى رجل لا يجد وقتاً في حربه ليقرأ كلمات امرأة تعشقه في زمن الرّدة والموت!"

الفصل الثّامن

(انطلاق الطّاقة)

الفصل الثّامن

(انطلاق الطّاقة)

(١)

اليوم ٩ شهر النّور عام ٣٠١٠م

"أنا لستُ ملحداً، أنا مؤمن متعصّب، أنا فيض القلب الذي ضاق به الإيمان، فانفجر سيلاً من الحبّ. إذا كان الملحد هو الذي يؤمن بكلّ شيء، فأنا أكفر بكلّ شيء إلا بكِ. شمس الكبيرة، تكبرين يا حبي فيّ، كما يكبر الإيمان في قلب المؤمنين بالله، أنا أعرف الإيمان؛ لذلك أعشقك، وأعانقكِ، وأقبّلكِ". أشتهيكِ: خالد.

حبيبتي ورد، أعتذر منكِ بسبب ما كتبتُ البارحة، لقد كنتُ متورّطة في الحزن، فعندما ينزل المطر أفتقد خالداً، أنا أخاف أن أبتلّ بغيره، أريده ابتلالي الدّائم. أنا اليوم أفضل حالاً، لا مطر في الخارج، وحدها الغيوم المتلبّدة في قلبي تئنّ في انتظار هطلانٍ مطر سخيّ. استيقظتُ متأخّرة، وشربت للتوّ مشروب الصّباح، لا رغبة عندي في تناول أيّ طعام، هل أنت جائعة؟ أرجو أنّكِ لستِ كذلك.

زارني خالد في منام البارحة، حضنني وآواني من رهبة المطر، وطبع على خدّي وقلبي قبلتين، وترك لكِ قبلة الصّباح. حبيبتي أقبّلكِ باسم خالد الذي طلب منّي أن أحدّثكِ اليوم عن الله، عن إلهنا، أنا لا

أؤمن بالأحلام، ولا أتواطأ معها، ولم يحدث في حياتي أن خضعت لتسجيل كهرومغناطسيّ موجيّ متردّد لأحلامي، كي يفسّر الطّبيب أحلامي لي كما يفعل الكثير من المولعين بتفسير أحلامهم، لكن عندما تتعلّق الأحلام بخالد؛ فإنّها تصبح رؤى مقدّسة واجبة الانصياع لها.

أتعرفين من هو الله يا ورد؟ هو ذلك اليقين الذي يسكن صمتنا، ويختزل ضعفنا ورجاءاتنا وحاجاتنا، فيجعلنا نحتمي إلى قوة خيّرة مجهولة هي من تهبنا الحبّ والعون والرّعاية بسخاء دون مقابل أو أسباب تقع في حيّز الفهم الإنسانيّ القاصر.

الله يا ورد هو تلك الطّاقة اللامتناهيّة من الحبّ والخير والنّماء والعطاء والعفو والوهب والإبداع، هو اختزال لكلّ ما لا يمكن أن يُختزل، هو الأسئلة والإجابات في آن؛ لذلك آمنتُ به، وبحثتُ عنه، ووجدتُه في داخلي، وفي دواخل البشر أجمعين وفي امتداد كلّ جمال مكتنفٍ كلّ أفق ودرب ومسير.

كلّ منا يحمل الله في داخله، ألسنا جميعاً من روحه المقدّسة؟ حتى أولئك الجاهلين الذين يعيشون في العماء، ويضربون صفحاً عن الحقيقة، يدركون بملكاتهم الفطريّة وجود خالق لهذا الكون السّرمدي غير المتناهي، أمّا أولئك الذين يدّعون المعرفة الكليّة، ويديرون ظهورهم لله تبجّحاً وإنكاراً وكفراً، هم مؤمنون بقوة في

دواخلهم بوجود إله، وما يقولون إلّا صدى ضعفهم وإيمانهم المتين في أنفسهم الذي يخرج من أفواههم مكاء وتصدية بقدر حمق الأطفال وسذاجة عنادهم الغرّ، كلّنا البشر ولدنا مؤمنين بالفطرة بالله، ومن العار أن نقتل الله فينا لنثبت لجهلنا براعتنا في القتل، ونحن مخلوقون منذورون للحياة.

في البداية كان الله فكرة، ثم أصبح فرضية، وبعد قراءاتي الطّويلة في علوم الأسطورة في حقولها كلّها، وتوغّلي في أسطورة الدّين ودينية الأسطورة، غدا الله حقيقة أكتب عنها بافتنان، وألحّ على حاجتنا إليه كي نكون نحن، لكن عندما قابلتُ خالداً، وأحببته أطلّ الله على قلبي يقيناً، لا يقبل الجدال.

لم أعرف الانتماء الأصيل لعالمي الذي تصدمني به حروب عاتية لا عدل فيها بين شابة طفلة وحكومة مجرّة، لقضيّة صغيرة اسمها شَعْري الذي تصمّم الحكومة على أن أقصّه دون سبب مقنع لعقلي الذي يضجّ بالأسئلة التي لا تنتهي.

بحثت عن تسويغ لقانون المجرّة الذي يعاند صبيّة تريد أن تحتفظ بشَعْرها في أصول القوانين ونظريات العدل وفيزياء التّنظيم الاجتماعيّ ومعاهدات الحرّية الإنسانيّة وقوانين الأجناس وأعراف السّلالات وتاريخ المحاكم وأصول التّشريع المدنيّ والجنائيّ، وعرّجت على تاريخ الحضارات ونشأة المدنيّة وحروب البشريّة مروراً

بأكثر من سبع حروبٍ كونيّة مدمّرة، ووقوفاً طويلاً عند التطوّر البشري ومنابع الأسطورة وأسطرة الحقيقة وتحقّق الأسطورة وسِيَر العظماء وتاريخ الملوك وحكم الأبرار والحكماء والعارفين وشطحات المتصوّفة ومآثر عقلاء المجانين ومجانين العقلاء، وقرأتُ أشهر الملاحم الأدبيّة والتّغريبات الشّعبيّة وعيون الأدب المندثر والحديث والمعاصر، وعرضتُ إلى كتب السّحرة والمشعوذين ومذكّرات العظماء والقادة واللّصوص وكبار المجرمين، واطّلعت على أدب الرّجال الآليين وملاحق تراجمهم المستدركة على سِيَر العظماء وعلى نظرياتهم الجديدة في الطّاقة والخلق والإبداع وعلى خرائطهم الظّنية للطّريق الضّوئيّ إلى المجرّات القريبة من مجرّتنا، ووصلتُ بعد هذا العناء كلّه الذي استغرق أكثر من عقد ونصف من عمري إلى نتيجة تقول لا ضير في أن أملك شَعْراً طويلاً أسودَ لامعاً.

وفي هذه الرّحلة وجدتُ الله الذي قتله الجبابرة في صدور العامة، ومحوا ذكره من آثارهم، وجدتُ الله الذي يحبّ خلقه بعدلٍ، ويحابي بفخرٍ الفقراء والأيتام والضّعفاء والمساكين والعجزى والمنكودين والمرضى والثكالى وأصحاب القلوب الحزينة والأقدار القاتمة، ويسعد لضحكة طفل، ويهشّ لأمنية متمنٍ، وجدته رحماناً رحيماً يمدّ آفاق رحمته لتشمل كلّ مخلوق راغب في التّوبة، فتبتُ إليه، وآمنتُ به، وكفرت بالطّواغيت والإلحاد والمادة الصّرف، ونشرتُ

إيماني في كلّ ما أكتب، فآمن بي من آمن، وكفر بي من كفر، وحاربني من حارب، ولستُ أبالي.

خالد آمن بكلماتي قبل أن يراني، وهو من أطلق عليّ لقب نبيّة الكلمة، فتبعه في ذلك المريدون، وهو من كتب المقالات والدّراسات التي تدعم قولي بضرورة العودة إلى الإيمان، وهو من ربط هذه الضّرورة بأصول معرفيّة ووجودية وفلسفية وتاريخيّة وإنسانيّة استقاها من روحه الكبيرة المتأمّلة ومن ثقافته المتعمّقة والمتوسّعة والضّاربة في جذور التّاريخ.

آمن خالد بإلهنا وإله البشرية جمعاء، وهجر إلحاده المزعوم، فما خلق خالداً إلّا ليكون حقيقة حجة على الحقائق، ونادى بي نبيّة، وما كنتُ أدري أنّني سأكون له جارية مطيعة بعد ذلك. أتعرفين ما معنى جارية يا ورد؟ هذا مصطلح يطول شرحه، لكن دعيني أستبدل به مصطلح عاشقة، فهذه الكلمة أقرب إلى فهمكِ البريء.

تقول حكاية النّوم يا ورد الجميلة:

أعرفُ امرأة فاتنة، يسمّونها هدى الفاتح، وأسميها فخر النّساء، هي صديقتي يا ورد، والصّديق هو أجمل اختراع في هذه المجرة لتجاوز نكبات الرّوح وخيبات الجسد.

فخر النّساء خُلقت في لحظة رضا من الرّب، فلم يخلقها من طين كسائر البشر الفانين، إنّما خلقها من ماء شفّاف لا غير، سوّى

كلّ شيء فيها بخصوصيّة وحرفيّة إلهيّة من ماء رقيق، بشرتها بيضاء صافية، قلبها ينبض بالمحبّة، أحاسيس عروقها شفيفة تراها من تحت جلدها، دماؤها تنبض بالحياة الموهوبة بسعة للعطاء، وقلبها لا يعرف وجيباً عنيفاً، بل خريراً يشدي كلّ من يسمعه، ويهطل عليه أمطاراً ورعوداً، ولغزها الماء كان يكمن في دموعها التي لا تعرف توقّفاً إن عشقتْ.

وقد جاء طوفانها على غير ميعاد، وعشقت بصدق، كان مَنْ عشقت على خلاف مادة خلقها، هو مصنوع من الصّوّان، مفطور على القسوة والصّمت، وهي مفطورة على الخرير والدّبيب الحنون، تألّمت بشدة، فأغراه ألمها، اشتدّ عشقها، فاشتدّ جبروته.

تضافرت الأشياء الشّريرة كلّها على هزيمتها، قانون حكومة المجرّة ذبحها بسكين تلماء، منعها من أن تنفصل عن زوجها، لتعيش مع حبيبها، ومنعها طبعها الماء المخلص من أن تهجر زوجها أو تخونه لتسعد بجوار حبيبها.

تنازعها الماء والصّوان، فبكت ليل نهار دون توقّف عجزاً وتظلّماً وحرماناً، حتى غرقتْ في مائها الدّموع. بعض الناس أسمَوْا مصرعها طوفان، وآخرون أسموه ظاهرة مائيّة محيّرة للعلماء، وهناك من قال إنّها قادمة من كوكب مائيّ مجهول، لكنّني من القلة الذين قدّموا الماء نذراً لروحها كي تستريح؛ فهي غريقة العشق لا الماء.

من رسائل خالد:

"أزداد تعلّقاً بك وحبّاً لك وعشقاً وولهاً، يا شمس أنتِ تقطّعين قلبي وأوصالي حين تسألين عنّي وعن أحوالي، وتهتمّين بتفاصيلي جميعها، أنا أسعد بكِ، وأحبّكِ، لا بدّ أن أكون أسعد رجل في التّاريخ؛ لأنّ صوتكِ الملائكيِ يأتيني حاملاً أهواء الحكايات والولادات الجديدة جميعها. أنا النّشوة الكبرى تحلّق في فضاءات تشكّلها ملامحك وكلماتك، وصوتكِ إبرة الحكمة تمرّ عبر أنسجة الرّوح والجسد، وتطرّز الحبّ . لأجل حبك، لشهوة جسدك، للرّغبة العارمة التي تقضمني، وتلتهمني سأبحث بعد عن تمجيد المعنى في الجسد، وأبحث عن مفاتيح لتحقيق رهان الحلول في الذّات المطلقة" أشتهيكِ: خالد.

* * * *

(٢)

اليوم: ١٠ شهر النّور عام ٣٠١٠م

"الحبّ لغة لا يفهمها غير القلب، أترك لكِ يا شمس وصية، وهي: أن تقطّعي صدري يوم أموت كي تقرئي سرّي العظيم، إنّ حبّي في القلب يرقد، وما دماؤه سوى تجاعيد ووديان وآهات ورعشات تنتفض بفعل اللّذة والشّهوات، هيّئي مشرطاً قبل أن أموت" أشتهيكِ: خالد.

حبيبتي ورد، خالد الآن في أبعد نقطة كونيّة عنا، هذه آخر معلومة يمكن أن أخبركِ بها عن مصيره حتى يعود، وصلت إليّ إمارة على ذلك هذا الصّباح، ووصلت إليّ هذه الرّسالة الأثيريّة منه عبر لواقط تذبذب كيمياء الذّرة، هو يقول في الرسالة:

"يوم آخر نحياه يا شمس، أنتِ هناك وأنا هناك، ما المسافة؟ وما الزّمن وما الفصول؟ أحببتُ أن أتخلص من المشاعر الكارثيّة والاغتراب التي تغزوني، فلم أجد غير "الهناك" والهناك". ولا هنا يا آية الله في قلبي غيركِ، لم أفعل سوى أنّي رتّلتك مئة مرة، وتركتُ الألف للذين امتهنوا الأرقام، أردّدك مرة واحدة بقلب خاشع خنوع يخضع لقانون العاشقين، لم أفعل شيئاً سوى أنّي وقفت أمام نافذة مركبتي الفضائيّة أبحث عن الفضاء الذي يمكنني أن أهاجر منه إليك كي أغتسل بلقائكِ يا حبّي، لم أفعل سوى أنّني قرّرتُ أن أضبط وجودي بين ثلاثة أمكنة تحاصرني وتختصرني، لم أفعل سوى أنّني دخلت الإيمان بأن أعلنتُ الشّهادة بكِ حبيبة يا شمس"

ورد، لا أستطيع أن أقول لكِ المزيد عن هذا الأمر وعن تفاصيله، فهذا أمرٌ سريٌّ لا أستطيع أن أذيعه، أو أن أكتبه في هذه الصّفحات، كما لا أستطيع أن أكتب لكِ معادلة طاقة البُعد الخامس؛ كي لا تقع في يد أيّ شرير أو في يد جهة مفسدة، عندما يعود والدكِ ستعرفين كلّ شيء عن سبب ذهابه، وعن مهمته، كوني على يقين أن

والدكِ يجازف بحياته وبحياتنا من أجل رسالة عظيمة، وهي إنقاذ البشريّة من شرورها؛ لذلك كان عليه أن يختبر قدرة طاقة البُعد الخامس على اختراق سرعة الضّوء، إن نجح في ذلك، فسوف يعود خلال أشهر قليلة، وإن أخفق فسوف يتجمّد عند زمن لا يتحرّك، أتعرفين لماذا؟ لأنّ الجسد المتحرّك عندما يسير بسرعة الضّوء تماماً يتوقّف الزّمن عنده، ويتجمّد، ويتلاشى تماماً من المكان والزّمن، لكن نظرّيتنا تقوم على اختراق سرعة الضّوء وتجاوزها واختراق لحظة التّلاشي. آمني بعودة والدكِ، فأنا مؤمنة بذلك، مسكين خالد لا يعرف عن وجود قلبكِ النّابض في الحياة حتى الآن، ولا يعلم كذلك أنّك تسألين الله بضراعة كي يعود سالماً، لكن عندما يعود سأزفّ له خبر تكوّنكِ في رحمي.

يتحدّث خالدٌ كثيراً عن الموت، ويخطّ الوصايا المتكرّرة، لكنّني على عكسه أهزأ من الموت، وأستخفّ بسلطانه، ولا مانع عندي في أن أسير معه إلى العدم؛ فأنا امرأة الحياة لا الموت، لكنّ شعور الأمومة يغيّر المرأة، يعيد بناء تضاريسها، لتصبح أكثر سخاء وبهاء وحكمة؛ لذلك أخشى أن أترككِ أو تتركيني دون أن أوصيكِ، لكنّني في الآن ذاته لا أجيد كتابة الموت، ورسم خرائطه وأشكال مدائنه وحدود جحيمه.

لكن يجب أن أترك لكِ وصية، وإن كنتُ أراهن على أنّني سأعيش ألف عام، فأنا لا أموت بسهولة، هذا حدسي بنفسي. لن تكون وصيتي لك يا حبيبتي المتوارية برحمي أخباراً وتجارب وحكم، فهذه وصايا العابثين المأفونين، بل ستكون روحي وطاقتي في كلماتي لأبيك في لحظة انتظار، هي لحظة موصولة دون انقطاع، لك أن تعدّي هذه الوصيّة ماء تتطهّرين به من نجس القبح والشّر والظّلم والتّغطرس؛ فكلّ كلمة اشتياق هي طهرٌ على طهر، احفظي كلماتي هذه جيّداً، اسمها "يوميّات المطر في أرض الاشتياق"، فقد كتبتها لوالدك بلوعة قلبي، هي ترنيمة انتظارنا له حتى يعود.

(١)

بين يدي مولانا الاشتياق

أخرسٌ هو عشقي لك، أصمٌّ هو عشقكَ لي، كي لا أجنُّ يروي لساني لأصابعي أملاً في أن تنبت آذاناً صاغية لورقي الذي كلّما قرأته أزهر ربيعه، وأثمرت حروفه.

(٢)

خطّ الشّوق

ترى كيف يبدو الشّوق لو أردتُ الكتابة به إليكَ؟ لا بدّ أنّه سيكون بخطّي هذا نفسه، له ارتجافاته ذاتها، وانحناءاته عينها، أنا من تكتبُ لك بخطّ الشّوق.

(٣)

الهبوط في أرض الاشتياق

الآن هبطتُ في أرض الاشتياق، هي ليلة دافئة ماطرة، وإن كانت درجة الحرارة منخفضة جدّاً، ولا نقطة مطر في السّماء أو الأرض، لكن هذا ما أشعر به. كلّ شيء هنا في عيني متدثّر بالدّفء، أشعر بالرّضا الحارّ في جنباتي والمطر في أعماقي متسربل بوجه سيد المطر.

(٤)

الزّمن بين يدي مولانا الاشتياق

ترتبك روحي العاشقة في حضرتك يا سيد المطر، نظرة منك تردّني طفلة، وأخرى تجعلني أنثى أعماقها تغلي، وثالثة تنزلني القبر، وتحبسني فيه في دنيا العدم. الزّمن في حضرتك يصبح مباغتاً يعجز عن أن يعطيني أمام النّاس مبرّرات مقبولة لنوبات جنوني وشطحاتي وطفولتي وموجات كآبتي وفرحي الخارجة عن سيطرتي.

(٥)

خصالُ شعركَ

تفرّست طويلاً في شرايين رقبتكَ ورأسكَ وأوردتها وأوتارها، ورسمتُ مقاطع وجهك بتأنٍ فرح، ولهوتُ بخبث مع خصال شعركَ،

حتى أخال أنّني عددتُ شعرات رأسك شعرة تلو الأخرى، وقبّلتها شعرة تلو الأخرى، وقبّلتها بعدالة دون أن أغفل شعرة منها. ظباء شاردة هي خصال شعركَ، هي تجيد الاختيال أمامي، والهروب منّي، وأنا أجيد العدو خلفها.

(٦)

هتافٌ في أرض الاشتياق

أنت طفلٌ يلعب بالنّجوم والشّهب، ولا يدرك خطورة لعبة الزّمن ومآل حرق الفرص التي لا تعوّض.

(٧)

في حضرة سيد المطر

أعترفُ أنّني في حضرتك يا سيّد المطر أعيشُ حالة ذهنيّة وشعوريّة غريبة؛ مداركي كلّها وقلبي وذهني وأحاسيسي تتوجّه نحو شيء واحد، وهو أنتَ.

(٨)

لعبة التّشويق

لعبة التّشويق مثيرة وشهيّة، لكن إلى حدّ ما، وإلّا فإنّها تصبح لذّة آثمة في تعذيب من تعشقك.

(٩)

الزّمن في أرض الاشتياق

أتعرفُ يا سيد المطر كيف يصبح الوجود، وتغدو الـذّات عنـدما يتلخّص الكون والبشر والزّمان في شفتيّ رجل تشتهيهما، وتدّخر لهما أعمق قبلة عشق؟

(١٠)

احتراق

أيّ عشق صوفيّ يتحدّثون عنه في أرض الاشتياق؟

ماذا عرف سكّانه من العشق مقارنة بعشقي لك؟

ما أسهل الكلمات!

ما أصعب الاحتراق!

(١١)

الضّياع في أرض الانتظار

ماذا فعل بي العشق؟ لقد أخذني إلى طريق لا عودة منه. عـالمي غدا بكَ، سأسود المطر دون خرائط أو اتّجاهات، حسـبي درب واحـد تسير الخطا فيه إليكَ.

(١٢)

مسافة اشتياق

عندما تفصلنا مسافة اشتياق عمرها متران أو خمسة تصبح الأمنيات اللّذيذة محرقة، ويغدو وجهك المقدّس أبعد نقطة في الكون عنّي.

(١٣)

انشغالات أرض الشّوق

كلّ ما يفعله البشر في هذا الكوكب لا قيمة له، فعلي الوحيد الذي له قيمه، وهو الكتابة إلى سيد المطر.

(١٤)

أفقٌ حار وأرض باردة

كيف أفهم قلبي الملتبس بعشقه أنّ عليه أن يصمت وهو إلى جانبك؟ كيف ألزمه بأن يعيش في منطقة وسطى بين الاشتهاء والزّهد؟ طوبى لقلبي الذي يبعث مرّة تلو مرّة بصوتك الفردوسيّ.

(١٥)

اللّهاث في أرض الاشتياق

أعياني الرّكض خلف نظراتك وابتساماتك وخطواتك وأنفاسك يا سيد المطر. لعنة أرض الاشتياق أنّني مهما ركضتُ،

واجتهدتُ لا أصل إليك. أنتَ أرض متباعدة باستمرار، وأنا شوق ملتهبٌ من أزمان. فمن سينتصر التّاريخ أم الجغرافيا؟

(١٦)

وجهكَ المحرّم ووجهي الخطيئة

وجهكَ محرّم عليّ إن حلمتُ به، وجهي خطيئة إن نظرت إليه. ما ألذ الحرام! ما أطهر الخطيئة!

(١٧)

يدكَ الكريمة

وحدها يدك الكريمة عليّ المتمرّدة عليك، هي الأقرب إليّ دائماً، هي من تكون في أقرب المسافات منّي ومنكَ. هي من أراقب حركاتها، وأرسل إليها ألف قبلة. عددتُ شعراتها الاستوائيّة، وحفظتُ وديانها وعروقها.

(١٨)

ابتسامتكَ

ابتسامتكَ تثبتُ أنّ القلب قد يقهقه في بعض الأزمان، وأنّ قانون الجاذبيّة تولّد عنها، وأنّ ثغراً سحريّاً مثل ثغرك قادر على ابتلاع الكواكب والمجرّات، وقادر كذلك على استيلاد جيش من الأقمار وخلق بشر على هيئة سعادة راقصة وأزمان فرحة لا تنقضي.

حبيبتي ورد:

لن أروي لكِ المزيد من القصص في الأيام القادمة، فضلاً عن هذه اللّيلة، يروق لي عندما أحدّثكِ عن قصتي مع خالد أن أكون موحّدة بحبّه وحكاياته، فلا أشرك بقصته قصصاً أخرى. أعرف أنّك تحبّين الحكايات مثل أمّك، لكّنني أريدكِ أن تؤمني أكثر بالحقائق؛ لتكوني أكثر شبهاً بوالدكِ. أحلاماً سعيدة يا غاليتي.

من رسائل خالد:

"يوم أموت يا شمس، وأنا أعرف أنّي سأقتل في حادث فضائيّ ما أو على يدي مجرم، ماذا سيقول قلبي؟ سينزف دماً أبيض كإكليل الحياة، سينزف إكسيراً يشبه الدّنيا، سينزف خيوطاً لا تصلح إلا للغزل لنسج لباس لامرأة لن تكون إلا أنت أحياناً أنظر إلى جسدي وعريي وكفي اليسرى، وأصرخ: كم رافقتني أيّها الجسد المتألّم بروحي؟

بكَ أدركتُ العالم، وبكَ أحسستُ أنّي موجود، ومن خلالكَ عبرت الزّمن وتلال الممكن، آه يا جسداً حمل روحي، هل تقدر على حمل الذّاكرة المثقلة بأزهار الحبّ؟ من أنتَ يا جسدي؟ قل من أين جئتَ؟ من جاء بكَ إلي كي تحترف التّرحال والعبور الدّائم بين الاستقرار والتّجوال؟ قل لي أيّها الخالق الذي كلّما تفجّر ماؤكَ وهب طفلاً في الحياة، أمن جسد يخرج الجسد؟ أمن ماء يسيل قطراً؟

فيسيل مهروقاً في رحم امرأة، يتسلّلُ صوت العالم، ويصرخ جسد: أمن لذة وشهيق جئناك وجئتنا؟ وها نحن هنا. هل الحبّ نطفة أم منطقة الهذيان؟" أشتهيكِ: خالد

* * * *

(٣)

اليوم: ١١ شهر النّور عام ٣٠١٠م

"القُبلة قِبلة العالم وصوت كائن فرح يزغرد في الغابات، أقبلكِ كي أرسم بشفتي حكاية بلون الشّبق والمستقبل، أن تتعانق الشّفاه هي لحظة ينتهي الحكي فيها، وينتهي فيها خواء الحرف، وتنهار اللغة أمام قوة لا تقهرها الحياة ولا الموت اغتسال الشّفاه برضاب العشق وانصهار الأبعاد والجهات، وتصبح الحياة بألف وجه وألف معنى، القُبْلة فضاء لارتكاب فضيحة اسمها اللّحظة المقدّسة، فضيحة الحقيقة المطلقة، القُبْلة فضيحة تعرّي فراغ الكلمات، وتعلّم العِشق أن لاشيء يجمع العاشقين سوى الشّفاه كي ترقص، وتغني، وتخبر القلب أن أقرب الطّرق إليه هي القلب، وأن القبلة لوعة وحاجز بنته اللغة، فانتفضتْ مخابئ الأصوات كي تعزف مع شفاه العاشق معنى لا فرق فيه بين الحبّ والجنس، ولا مسافة تفصل الجسد عن الرّوح، ولا معنى للرّوح دون جسد يتلوّى مرتعشاً من شدّة اللّذة، آه كم أشتاق إليكِ كي أقبّلك يا شفاهي ولحني" أشتهيكِ: خالد

أشعر برائحة الموت تنبعث في المكان، فيزداد القلق في نفسي، لا عليّ بل عليك، فأنت تعلمين أنّني لا أخشى الموت، ولا آخذ اقترابه منّي على محمل الجدّ، فمن المستحيل أن أموت دون أن أسعد بلقاء خالد، وأن أعيش معه عمري، الأقدار أنبل من أن تطعني بهذا الشّكل الوضيع.

منذ أيامٍ وأنا أتهرّب من رائحة الموت ومن الحديث عن الجنس، لكن بما أنّني استطعت أخيراً أن ألعن الموت في حضوركِ، وأنا أخشى من أن تحفظي اسمه الكريه، فعليّ أن أكون شجاعة أكثر، فأحدّثكِ عن الجنس، أنا لا أهرب من الحديث عنه ضعفاً أو خجلاً أو تستّراً أو جهلاً، كلّ ذلك غير صحيح على الأقل في هذا الوقت من عمري، فخالد من قادني إلى عالم الجنس عبر بوابّة جسده، فهناك اكتشفتُ أسرار الوجود ومعنى الحياة، ونشوة الانصهار، ولو كان موجوداً الآن لحدّثك عنه دون تردّد؛ كي تكملي به دورة الوجود، وتكسري –كما كسرتُ وإيّاه– هذا التّشوّه الفظيع في هذا الحامل الكونيّ والأزليّ للوجود ولاستمراريّة البشر، ولامتدادهم بأدواتهم وبأفعالهم وبخياراتهم لا بأدوات حكومة المجرّة وأدواتها وخياراتها.

أتعرفين ما هو الجنس يا ورد؟ هو أن يسكن جسد جسدك بعد أن يسكن في بؤبؤ عينيك، ويستوطن روحك، ويألف مسامات جلدك، ويهزّ وجدانك في كلّ حركة أو همسة أو حتى سكنة منه.

هو أن يغدو شخص ما هو حلمك الذي نحت على هيئة بشر بعناية كاملة، في حين نُحت باقي البشر في لحظة عبث وسوء مزاج. هو أن الشّعور بأنّ المسافة التي تفصلنا عن جسد الآخر هي مسافة مشحونة بحرارة كونيّة حارقة كافية لتحريك مجرّة، أن تصعق كلّما اقترب منك من تحبّ، وأن تستفزّ روحك، وأن تتدفّق مياهك شهوة، وأن يلجم الوجوم الفرح حركاتك ولسانك.

الجنس هو الصّمت والعجز والاشتهاء في لحظة استسلام روح لروح وجسد لجسد.

الجنس يا ورد هو قوّة في ضعف وضعف في قوة.

هو كائن أسطوريّ وُلد في قلب كلمة صغيرة خجولة.

هو دليل على أنّ الجسد هو انتصار الوجود.

هو زمن تتوقّف عنده الأزمان كلّها.

هو ماء مقدّس يغسل جسد عذراء.

هو لحظة لا تنتهي تصمت أفواه الرّجال، وترهف أسماع النّساء.

هو مدن سحر لم يسكنها بشر.

هو جموح بدائيّ خارج على التّوصيف.

هو غضب طفوليّ لا تخمده إلّا همسة افتتان.

هو طلاسم تاريخيّة من فكّها عرف معنى العشق والخلود.

الجنس يا ورد هو التّطهر بجسد آخر، والاغتسال بريقة، والتّجمل بمائه، هو أن يهتف جسدك وروحك ولسانك في آن باسم إنسان واحد لا غير.

أقول لكِ الحقّ يا ورد، إنّ الجنس معنى لا ينضبط بتوصيف أو شكل أو حالة أو شخص، هو التّفلّت بعينه، كلٌّ يخترع سلوكه الجنسيّ الخاص كما يخترع شكل وجوده، وشكل فعله؛ لذلك لن تعرفي الجنس إلّا عندما تعيشينه، وتجدين فيه آلتكِ وطريقتكِ، لتقولي لشخص بلغة الجسد والامتداد والنّشوة: أنا أحبّكَ.

ولذلك دخلت عالم الجنس لأقول لخالد أحبّكَ، وكي أصنعكِ معه، فبغير هذه الطّريقة لا تُصنعين، أتعرفين ذلك؟ لا تعجبي، فأنا أصدقكِ القول، فأنتِ حصيلة فعل جنسي بحت، والبشر جميعهم عبر تاريخ وجودهم الأرضي كانوا ينجبون، ويتناسلون، ويمتدّون عبر هذه الطّريقة الوحيدة، فلولا الجنس لفني البشر. الله في السّماء من اخترع هذه الطّريقة للبشر كي يواصلوا بها وجودهم المتكاثر، ويَسعدوا، ويُسعدوا، ويتقنوا لغة الوجود وسعادة اللّقاء، وقد أتقن البشر تماماً هذه اللّغة التي وحّدتهم في لغة وجوديّة واحدة، ومن أجلها تحاربوا وتخاصموا وعشقوا ورحلوا وعادوا وبكوا وماتوا، ونسوا الخالق أحياناً، فعبدوا الفرج والقضيب، وجعلوا كهنتهم وكاهناتهم عبيداً للجسد والبغاء، ونذروا أعمارهم لخدمة دياناتهم

التي تختصر الوجود في دائرة مغلقة تنتظم الأحياء والأموات جميعهم في طاقة الجنس الواهبة للحياة والاستمرار، وعلى هذا الفهم الجنسيّ للوجود قامت فلسفاتهم وعباداتهم وأعيادهم وعاداتهم وإبداعاتهم بل وعمرانهم أيضاً.

لكن هذا الفعل الجماليّ انقرض تماماً في الألفيّة الرّابعة حين عشق البشر الخراب، وألفوا ثقافة القبح، وهجروا المشاعر والأحاسيس في سعيهم نحو عالم المادة والآلة، فجهل البشر وظائف أعضائهم التّناسليّة، فضمرت في الغالب، وتعطّل سائر فعلها الجنسيّ وغير الجنسيّ. وجاءت قوانين حكومة المجرّة لتقزّم العلاقة بين الرّجل والمرأة في علاقة زواج نفعيّة رسميّة تنتج أبناءً هي من تخّصبهم صناعيّاً، وتحضنهم في حاضناتها الرّسميّة، وتختار مستقبلهم وفق صفاتهم الجينيّة، ثم تقدّمهم هبات أو بضائع مشروطة لذويهم المفترضين.

لكن خالداً ينتمي إلى أسرة حافظت على بدائيتها الجسديّة، ومارست الجنس على امتداد ألف عام من انقراضه وتحريمه بسرّية تامّة، وجعلته إرثاً جسديّاً جماليّاً لا يموت؛ لذلك عرفتْ وجوه رجال أسرتها ووجوه نساء أسرته معنى نضارة طاقة الجنس ومعنى شباب القسمات وفرح الرّوح بسبب ممارسة الجنس باستمرار دون انقطاع مع شركاء يحبّونهم، فما ذاقوا معنى الحرمان، ولا قست قلوبهم، ولا

جفّت مآقيهم من دمعة رحمة مثل معظم البشر، بل إن وجوههم ظلّت تتميّز بملامح غريبة تجمع بفرح لذيذ وشبق واضح ملامح التّذكير والتأنيث في سهوم يشبه شهقة قُبْلة.

عندما هاجر أفراد أسرته إلى القمر وإلى بعض المدن الجديدة في الكواكب المجاورة للأرض، أصبحتْ بعيدة عن مراكز السّلطة والمراقبة، واستطاعوا أن يتعاطوا الجنس دون خوف ملحّ، واستطاعوا كذلك أن ينتجوا أفراداً جدداً من صلبها بالطّريقة الجنسيّة التّقليديّة، وإن عجزوا بعد ذلك عن أن يهبوهم أرقاماً كونيّة متسلسلة، وبقوا في نظر حكومة المجرّة بشراً افتراضيين لا وجود لهم أو سكاناً غير شرعيين في أحسن الأحوال، وما كان في ذلك سوء عليهم، فقد وجدوا أنفسهم معفيّين من أيّ مساءلة قانونيّة أو مدنيّة، ولا ضرائب عليهم، ولا مشاركة دوريّة إجباريّة عليهم في جيش حكومة المجرّة أو في خفر الكواكب، وبذلك طابت لهم الحياة، وخضعت لهم باللّين والتّيسير.

ستجدين لكِ المئات من الأقارب غير الشرعيّين في القمر وفي غيره من الكواكب يا ورد، احرصي على أن تسعدي بهم، فأنت من أصلابهم بحق، ودمكِ الذي يجري في عروقكِ هو دمهم الذي ينساب في سلالة عمرها أكثر من ألفي عام ممّا يعدّ البشر ويحصون، أنتِ في مقياس التّاريخ المعاصر خالدة مخلّدة، ولا تقلّين ندرة عن قطعة جوهر

عمرها ألفا عام. عندما يعود والدكِ، سنسافر جميعنا إلى القمر، وسألدك هناك بمساعدة أيادي نسائيّة عائلية وقلق رجال من دمك ينتظرونكِ بشوق، سألدكِ في ربوة عالية من القمر مشرفة على الكون، ستستقبلين الفضاء والنّجوم والمجرّات والأقمار بعينيكِ عندما تقبّلين فم الحياة، وسأضمّكِ إلى صدري، لتعرفي أنّه أكثر اتساعاً من الكون الذي تشرفين عليه من طاقة القمر.

من رسائل خالد:

أنا أعشق في المرأة صمتها وكلامها وغنجها وصدقها وحبّها، وعشقها أن لا تكون متمنّعة حدّ النّفور، وأن تكون رقيقة حسّاسة، لكنّها فاحشة في السّرير، أيّ ألا تكون هناك حدود؛ فالحبّ والجنس والموت، كلّها شيء واحد بين عاشقين. أحببتُ فيكِ حبّكِ وصدقكِ تجاهي ومعي وحفاظكِ على العلاقة بيننا. فقد كنتِ أنبل مني في عدة مواقف، عرفتُ أنّكِ الأصدق، أحببتُ فيكِ أنّكِ مؤمنة بالله، ولكنّكِ مؤمنة بالحبّ ومؤمنة بالرّوح، لكن الجسد أداة لممارسة الطقوس كلّها، من طقوس الله إلى طقوس الجنس. القادم قادمنا، دعيه يهيئ لنا نفسه وظروفه وكلّ شيء، ألم أقل لكِ إنّي أؤمن بالصّدفة، التقينا، هذا هو الأصعب، أمّا القادم فهو يكبر فينا. أشتهيكِ: خالد

* * * *

(٤)

اليوم: ١٢ شهر النّور عام ٣٠١٠م

الخيانة قضيّة كبرى يا شمس، هي من القضايا الـتي تـؤثّر علـى ضغطي الدّموي. أتساءل: هل من حقي أن أحـبّ امـرأة رجـل آخـر حبّاً روحانيّاً عميقاً أتنفسّ فيه، وأنثر فيه ذاتي؟ هل الحـبّ خيانـة؟ أم أنّ ممارسة الحياة بصدق هي الخيانة؟ المهم أنا أحبّكِ، وسَمّي حبّي لكِ خيانة أو جريمة أو خيالاً، المهم أنّه حبّ خـالص صـادق يمـلأ أعمـاق قلبي وينير ظلامه". أشتهيكِ: خالد

لا أستطيع أن أحدّد زمناً بمنطق الأرقام والتّواريخ لحبّـي لخالـد، فهو خارج التّاريخ، أو لعلّه التّاريخ كلّه، أجزم بأنّ عمري قبلـه مجـرّد تهويمات لا قيمة لها، ولا نصـيب لهـا مـن الحقيقـة، أعـدّ أيّـامي الآن بخالد، وأؤرّخ أزماني به؛ لذلك مـن الصّـعب أن أتـذكّر أحـداثاً قبـل خالد، فأنا دون شكّ كنتُ على انتظار قدري معه.

ذلك الزّوج الذي شاءت حكومة الدّولة أن تقيّدني به إلى الأبد، قد هجرتُه إكراماً لإنسانيتي، وبـذلك اقترفـتُ جُنحـة جديـدة في حـق نظام المجرّة، تقتضي مني دفع المزيـد مـن الغرامـات، لكـن مـن يبـالي بذلك؟

من حضن العالم الرّقميّ المفـترض جـاء خالـد، عشـتُ وحـدي مقسومة على عملـي ومشـاكلي وشَـعْري وكتابـاتي وأتبـاعي أعوامـاً

أربعة قبل أن أتعرّف على خالد، لم أسعَ إليه، إنّما هو مَنْ سعى إليّ، هو من قرّر أن يجذبني إليه من تيّار جارف يحملني بعيداً عنه، وقد لاقى ذلك هوىً في نفسي، فأنا مغرمة بأصحاب الإرادات الجامحة.

أوّل لقاء كان بيننا عبر شبكة التّواصل الدّريّة، كنتُ قد نشرت دراسة جريئة عن أسطرة وسائل الاستبداد وقوى الظّلم، المقالة أثارتْ حفيظة الكثير من أصحاب الشّعر القصير في حكومة المجرّة ومناصريهم وأتباعهم والمستفيدين من سياساتهم والطّفيليين الذين يعيشون على بقايا فتات موائد الكبار الصّغار.

لكّنه من بين القليلين الكبار الذين توقّفوا عند الدّراسة بالإعجاب، وراسلني بأدب جمّ ولغة رائقة لم أذقها في يوم في فم رجل في هذه المجرة، كانت لغته تشبه نشوة السّقوط في أقمار الرّعشة، كان قريباً من نفسي أكثر ممّا تخيّلت، تمنّيت دون مبّرر أن يتكرّر تواصله، واستجاب الله لأمنيتي الصّغيرة، وفي غضون أيام كنا عشّاقاً دون أن نتوقّف عند مراحل الألفة والصّداقة والتّقارب والاعتياد، فما كنا في حاجة إلى هذه المحطات الرّتيبة، لنكتشف أنّ أحدنا هو من ينتظر الآخر بشوق على مرفأ الحياة.

عرفتُ منه أنّ اسمه خالد رامي الأشهب، وأنّه من سكّان القمر الأوائل، وأنّه يحمل جنسيّة أرضيّة وأخرى قمريّة، أسرته تسكن الأصقاع الدّاخليّة البرّية من القمر، أمّا هو فيعيش مع بعض زملائه

في العمل في محطّة التّخصيب الصّناعيّ للغلائل النّباتية المهجّنة، ويعمل رئيساً للمحطّة، كما أنّه ناشط في عمليات تطوير التّخصيب، وعلمٌ من أعلام التّفكير القانونيّ الإصلاحيّ النّاقد الذي يطالب بإصلاحات جوهريّة في نظام حكومة المجرّة، وهو من الملحدين الأحرار، فضلاً عن أنّ له إسهامات كثيرة في تكوين مؤسّسات فكريّة تنويريّة وإصدار نشرات تعليميّة، ولاسيما فيما يختصّ بأدب الخيال العلميّ والاستشراف الرّقميّ وبلورة أشكال جديدة للمدنيّة الإنسانيّة في المدن الجديدة من المجرّة.

جمعتنا الصّدفة التي يؤمن بها قانوناً للكون في الكلمة، وآمنتُ بصدفته التي قادتْ كلّ منّا إلى الآخر، تحاورنا ابتداء في موضوع الأسطورة، ثم قادتنا الكلمات إلى كلّ مكان في السّماء والأرض وما بينهما من أزمان وأبعاد، فنمونا أسطورة صغيرة قادرة على أن تخلق الأشياء من جديد، وقد خلقت عشقنا، قال لي في يوم وأنا في حضنه بعد غياب أيام: "ما سرّ هذا الغياب؟ هل هو أسبوع؟ أم دهر؟ أم عمر؟ قادني إليكِ اهتمامك بالأسطورة، والآن أكتشفُ أنّك كائن أسطوريّ، أفهم أنّك انقطعتْ عنّي سبعة أيام؛ لأنّ السّبعة رقم مقدس، وأنا أقدّمه لك قدّاساً في سلة تحمل أوراق حكايات الكوكب كلّه. أقول لك إنّني أحترم حرّيتكِ في أن تغيبي عنّي، لكنّني لن أتنازل عن إسكان روحكِ في روحي، أنا أحبّ هذا الصّفاء الذي في

داخلك، عشقكِ وصوتكِ وصمت قُبْلتكِ الذي لا يأتيني إلّا متخفّياً في ملامح أفكّ شفرتها بمفاتيح حبّي لكِ".

يكبرني خالد بعشر سنوات، وبألف عام من الخبرة والجمال، أنا أمامه غِرّة صغيرة، وهو حكيم خارج عن سطوة الزّمن، لكنّه يصمّم على أن ينصّبني آلهة له، تعرف كلّ شيء عن قدره، ويغضّ الطّرف عن أنّه هو من صنعها من حلوى كلماته، ولعلّه يأكلها بشهوة إن عرّاها وراقت له تضاريس جسدها ومفاتن أبواب الحياة فيها.

هو من أطلق عليّ لقب النّبيّة، وهو من روّج لهذا اللّقب عبر وسائل الإعلام وعبر شبكة التّواصل الدّريّ حتى شاع، فقد كان شريكي في دروب إلحادي وحيرتي وبحثي ودراساتي، ومن ثم كان رفيقي في رحلة يقيني وإيماني بالله وثورتي التي ماعرف أوارها نهاية. جمعنا حبّ الله الذي قدّر لنا العشق، فما نفعل بأقدارنا؟ هباء أن نخرج عن إرادة السّماء؛ فهي إرادة لا تقهر.

أحببتُ ذكاءه المدهش، وراهنتُ بالقادم من عمري على عبقريته العجيبة على الرّغم من أنّه يصمّم على عدم نعته بالعالم أو العبقري أو حتى الفطن الذّكي، وتولّعت بوجومه اللّذيذ المشبّع بسمرته الوضيئة الغارقة في قسماته بذكاء فلسفيّ يجمع بين طيبة الأنوثة وإثارة الذّكورة المترعة بصخب قُبْلة هي خليط من ابتسامة ونفحة روح وقبس من لهيب شائك، وتعلّقت بصورته التي تأتيني عبر شاشة الرّائي

المباشر حيث نتواصل لساعات دون توقّف، ومن بعد ما عـدنا نغلقـه قطّ، فكأنّ أحدنا يعيش في شقّة الآخر ليل نهار، ويستطيع أن يتحـرّك بالنّابض الآليّ عبر الشّاشات المثبتة جميعهـا في كـلّ غرفـة مـن غـرف البيت لا أستثني منها المطبخ والحمام والعليّة ومخزن الملابـس القديمـة، عشنا عـامين كـاملين مـتلازمين عـن بعـد عـبر الرّائـي، وأنـا أسـكن الأرض، وهو يسكن السّماء، رافقـني في كـلّ لحظـة، ورافقتـه في كـلّ حركة.

تقدّمت من جديد بطلب طلاق من زوجي، لكن محكمة المجلـس القضائيّ الكونيّ ما قبلت أن تنظر في الطّلب لعدم شرعيّة المطلـب أو منطقيته، فعدتُ إلى بيتي كسـيرة دون جنـاحين أطـير بهمـا إلى حضـن الرّجل الذي أعشق، ويلحّ عليّ لنعيش معاً، فلا أملـك إلّـا أن أنتظـر فرصة مواتية.

خبرت في عشقي لخالد مشاعر مـا كنـتُ أعـرف أنّـني أملكهـا، ذقتُ العشق والدّوبان في الآخَر والغـيرة والشّـك والقلـق والانتظـار والشّوق ومـرارة الحِرمـان والبعـاد والرّجـاء وذلّـة الانتظـار وسـعادة اللّقـاء وأُنـس الجـوار والكـلام، كـان صوتــه المرمـري ذو الصّفــاء العميق المحمّل بوهج الطيّـران علـى ذيـل مـذنّب هـو أثـيري في هـذا العشق الدّسم الحلو.

صوت خالد هو إرث رجال الأرض والقمر أجمعين في دفقة نشوة، صوته سليل الحمأة والبرودة في آن، يدخل إلى النّفس، فيحدث شعورين متناقضين في لحظة واحدة، وهما الرّهبة والدّهشة، وينبت فعلين متناقضين دفعة واحدة، وهما التّعرّي والصّلاة، هذا هو صوت خالد الذي يبهج ما ألف الصّمت في نفسي، وكلّما قلتُ له إنّ صوتكَ يحمل المتناقضات كلّها فدعة واحدة يضحك بوتيرة متعالية كاعتلاء صهوة حلم، ويقول لي بكبرياء باذخ أحبّه فيه: "المتناقضات كلّها أعشقها، ما أجمل أن يكون الإنسان متناقضاً من أجل قضيّة وحيدة هي الحبّ!"

كان يعشق صوتي أيضاً، مرّة قال لي والمطر يغسل الأرض دون أن يخجل من أن يعرّيها من أديمها العلويّ في مسارب من الماء المنسرح على الأسطح والمنخفضات: "أعشقكِ، وأعشق صوتكِ ببحته النّديّة، وأعشق ضحكتكِ أكثر، في ضحكتك التي تشرح قلبي كي تدخلي إليه من جنباته كلّها، أفهم جيداً أنّكِ طفلة تكبر كلّ يوم بصورة ملاك. لم يسبق لي في الماضي أن امتلأتُ بصورة مثلما أنا الآن، أنا أعيش إشباعاً حقيقياً بتجلّياتكِ يا شمس، وهذا ما يجعلني أهديكِ نفسي ولحظاتي وملامحي التي لم يسبق لي من قبل أن فتحت نافذتها لأحد. حبيبتي: ظلّ سؤال يراودني منذ أسابيع، والآن سأطرحهُ عليكِ بصورةٍ مباشرةٍ قد لا تعجبك، لكنّني أريد أن أطرحه، هل تحبّينني حقاً؟ هل تعشقينني؟ هل تشتهينني جسداً وروحاً. أنا أشتهيكِ

وأعشقكِ، فهل حقاً ستتعانق عراة يوم نلتقي؟ أجيبيني؛ لأنّني أريد أن أهيّئ جسدي ونفسي ولحظاتي. أنا أعشقكِ بصورة غريبة".

يومها ضحكتُ كثيراً؛ لأنّني لم أفهم ما يقصد بأن نتعرّى، وما الحاجة إلى ذلك؟ وماذا سنفعل بعرينا لو وافقته عليه؟ وهذا أمر مستبعد بحق، لكنّه أخذ ضحكي على محمل الرّضا والموافقة، وقال لي بثقة عابد: "من تملك هذه الضّحكة تملك أجمل شهقة شهوة؛ لذلك ستوافقين مهما كلّف الأمر على أن تسيري معي نحو معبدنا السّرير".

مرّة استجمعتُ نفسي، وسألته عمّا يقصد بالعراء ولقاء السّرير والجنس ولغة الجسد، عندها شهق بصبر من انتظر هذا السّؤال ألف عام، وسألني وهو يعرف الإجابة مسبقاً: "هل أنتِ مستعدة لأن تعرفي الإجابة".

- نعم.
- متى تريدين أن تعرفيها؟
- الآن؟
- بل في المساء.
- بل الآن.
- هذه الأسئلة تحتاج إلى حالة خاصّة للإجابة عنها.
- أريد أن أعرف كلّ شيء الآن.

- هذا الأمر يستغرق الكثير من الوقت، وأنا عندي عمل الآن، وأنت عليك الذّهاب إلى عملكِ.
- لنأخذ إجازة اليوم.
- كما تشائين، لنأخذ إجازة اليوم.

اكتشفتُ ما لم أكن أعرفه على وجه التّحديد أو التّقريب، وأدركتُ في لحظات معنى هذا البلل الذي يجتاح روحي وجسدي كلّما سمعت صوته، أو رأيت قسماته السّمراء أو قدّه الفارع يتهادى أمامي عبر شاشة الرّائي في بنطال كتاني ضيق يرسم بجلاء عضلاته الثّابتة والمتحرّكة.

إذن هو بلل جيني عتيق ورثته بصمت عبر وجودي الآدميّ في هذا الكوكب الذي حرمني من أن أكون جسدي لاعتبارات لا أستطيع أن أصفها إلّا بالسّخيفة، إذن أنا امرأة لا تكتمل إلّا برجل، أعضائي تصرّح بذلك، ما أقبح الكذب على الرّغم من الحاجة!

ليلتها قرّرتُ أن أكون لخالد، وقرّرتُ أن أجعله رائدي نحو جسدي، ووجدت ضالتي وطريقتي في أن أجمعه كلّه وذاتي وعشقي في طفل يشبهه، ليكون امتداده الطّبيعي مثل أفراد عائلته أجمعين، ولو تطلّب ذلك الأمر أن أرحل إلى القمر، وأن أعيش في الأماكن النّائية فيه، حيث ما يزال البشر يعيشون حياة بدائيّة حيث

يستخدمون السيّارات في تنقلهم، ويتواصلون عبر أجهزة الخلوي التي بادت تماماً من الكواكب المتقدّمة في المجرّة.

ليلتها قرّر أن نلتقي، وأن ننجب طفلة يسمّيها ورد، فتنازلتُ عن قراراتي لصالح قراراته مادمنا سنلتقي، ونمارس الجنس، وننجب طفلاً أيّاً كان جنسه.

طال حديثنا، واستمرّ حتى الصّباح، داهمني النّوم، فأخذ يؤرجح أهدابي، وهو يرقبني بحنانه، رجوته أن ننهي التّواصل، وأن نخلد إلى النّوم، فأبى، وقال لي بصوت عميق قادر على ابتلاع مجرّة: "كيف أترك امرأة في الأرض؟ وينام جفناي في القمر؟ ثم أعود إلى قلبي فأسأله، لأجده حزيناً يرتعش، وهو يقول: أنا أقبل شمساً على أيّ حال تكون، فأصير صوفياً بامتياز، يتحقّق لي الحلول، فأصبح أنا أنتِ، وأنتِ أنا، وليس سوانا غير أنانا. نعم، أريد أن أعرّيك، وأن أتمرّغ في كلّ جزء من جسدك العارف بأمر العشق، أريد أن أتصّبب لذة".

وما كنتُ أجد مهرباً من عشقه الذي لا ينام ولا يدعني أنام إلّا بذكر زوجي في معرض حديثي، فيثور ويزبد، ويتهمني بخيانته لمجرد تذكّره، لقد كان خالد يملك أجمل غيرة شوكيّة قارصة يقدر أن يملكها رجل، يتحوّل في لحظات إلى رجل متوحّش همجيّ عار لا يطيق أن يشتهي رجل ظلّ امرأته، وهو مستعدّ لأن يلوك عظام من

يجرؤ على ذلك ضارباً بعرض الحائط مفردات التّحضّر الخنزيريّ المقرف جميعها، ومتنكّراً لمبادئ تحرّره التي لا تستطيع أن تنال من ذكورته العملاقة الأبيّة. وكلّما داعبته مغيظة إيّاه بصفة غيور، يقول لي: "أنا أريدك دائماً نصّاً وصورة وقصيدة، أنا أغار حتى منكِ، وأغار من الجغرافيا ومن التّاريخ المدنّس الذي جعل الحبّ يتشظّى بين الكواكب، أغارُ حتى من نفسي، فتجدينني أحيانا أصارعها".

كلّما حدّثته عن خوفي من غضب الرّب من علاقة بعيدة عن الزّوجيّة، قد يدرجها في باب الخيانة والمعصية والخطيئة بشكل أو بآخر، ونحن المؤمنون به، والباعثون لأشراط تقاه ورضاه وعبادته من بطون تاريخ ديني كاد يبتلع كلّ أثر لدين أو خطيئة أو تعاليم عبادة، ابتسم لي، وقال: الخطيئة أن تعيشي مع إنسان لا تحبّينه، أمّا ما نفعله فهو الإيمان مجسّداً.

- لكن ماذا لو كان ما سنفعله خطيئة؟
- لولا الخطيئة ما كنا، وما كان حبّنا، فبسبب الخطيئة جئنا إلى الأرض، وبسبب هذا الخطأ فقدتُ ذكائي الطّفوليّ.
- اعلمي أنّ كلمة سقوط لا تدخل في قاموس العاشقين؛ فالحبّ لا يمكن اختزاله في الجسد. حين أقول لكِ أقبّلكِ، فأنا أقولها بمعنى أكثر سمواً ونبلاً وطهارةً.

قرأتُ مرّة على مشارف نهر جفّ في قارة أوروبا الأرضيّة: "في الوقت الذي يبحث فيه العاقل عن جسر ليعبر النّهر: يسير المجنون على الماء حافي القدمين. أريد أن نسير حفاة عراة فوق النّار والماء، فلا حرّ ولا جمر ولا ماء في الحبّ. أشتهيكِ: خالد

* * * *

(٥)

اليوم: ١٣ شهر النّور عام ٣٠١٠م

الفلسفة كلّها التي أشربها وأتقنها هي من أجل أن أحوّل ما استحال من مثال إلى مادة، وما كان مادة إلى فهم. هل تعلمين لماذا؟ لأنّني أريد أن ألد الكيمياء التي ستصهرني بكِ عارياً . أحضنكِ أيّتها الرّائعة". أشتهيكِ: خالد

أخاف الجنس، وأراه سكيناً مرعبة قد تقسم المرأة قسمين، خالد يقول إنّ الجنس وحده من يلملم المرأة، وأنا أقول إنّه يقسمها، عليه أن يرضى بحبّي دون جسدي، لا أريد أن أجرّب المزيد من الثّورات والتّمرّدات التي بعثرتْ عمري، بدأتُ بشَعْرِي، وانتهيتُ بنبوّتي، والآن أسير نحو جسدي كي أخترقه بخالد، هذا مخيف، وما عادت نفسي تطيق هذا العناء والتّجبّر والرّفض كلّه، ليتها كانت تملك قدراً صغيراً من المهادنة والمفاوضة.

لكنّني أحلم بأن ألد طفلة منك يا خالد، لترث عنكَ جمالكَ كلّه وعشقي كاملاً، علينا أن نبحث عن طريقة أخرى غير الجنس لتحقيق ذلك، أنا أحلم بذلك. أقول ذلك له ونفسي تتوق إلى حضنه وامتصاصه حتى النّخاع، وزجاج شاشة الرّائي هي من تفصلني عنه، وبضعة آلاف من الكيلو مترات.

- الأحلام لا تتوقّف يا شمس، أنا لستُ رجلَ الخيال، فلو كنتُ كذلك لكان شأني شأن آخر، أنا كائن من جسد يتحسّس جسدك، ويرغب في تحويل الحلم إلى حقيقة، عيناك أجمل عينين في العالم؛ لذلك لن تلدي أجمل من عينيكِ، والطّفلة التي تحلمين بها ينبغي أن نصنعها من الحلم ومن الجسد، لكنّني أتذكّر أنّك طلبت مني وعداً بأن أحبّك جسداً دون جنس. أليستْ هذه وصفة لإنجاب طفل خيالي يا حبيبتي؟

أريد منك أن تكتبي لي الوصفة التي سننجب بها طفلتنا الغالية، الحقيقة ليست هناك غير طريقة واحدة، وهي أن نلتقي، ونفترش العالم، ونشهق يا شمس، أنت تزيدينني إغراقاً في حبّكِ. أخشى أن أموت غرقاً في ثنايا روحكِ، أحبّكِ حيثُ يختلط كلّ شيء الواقع بالخيال والحلم والرّوح والجسد.

- أنتَ عالم عبقري وذكي؛ لذلك عليك أن تجد طريقة لإنجاب طفلة من صلبنا بعيداً عن طريقة الجنس.

- إطلالة نهدك غصت في جسدي أنهار الدّنيا، ألهمتني سحراً نورانيّاً مضمّخاً باللّذة والجنس، أنا الآن أكتشف أنّني مجرد رجل، رجل يتحسس اللّذة الأسطوريّة الأولى على جسدُ عذري هو مجرد بياض ينكشف أمامي كعروس تكشف عن وجهها على استحياء، صرتُ لا أبالي بكلّ الذي قد يأتي، المهم هو هذا العراء المتبقّي الذي يتوارى وراء الوقت.
- لكن كيف سنلتقي يا خالد؟
- ستأتين لزيارتي هنا في القمر، سيكون لنا شأنٌ آخر، سنرتّب حياتنا من جديد وفق هذا العشق الذي يأتي مرة واحدة في العمر.
- لكنّني أخشى من هذه الخطوة الجريئة.
- هي ليست خطوة جريئة، بل طبيعيّة، علينا أن نتحدّث طويلاً في معادلة طاقة الحبّ، لقد توصّلت إلى نتائج مثيرة في بحثي في هذا الأمر، لقد نجحتُ في التّجارب الأوليّة كلّها، عليكِ أن تحضري يا حبيبتي، جنيننا أوّل من سنهبه هذه الطّاقة. أنتظرك، هناك تذكرة باسمكِ في محطة المركبات الفضائيّة، بعد غد ستكونين في حضني.
- أنا لن أحضر أبداً، أنا أخشى الجنس.

- لا تقطعي قلبي بعرافة لا تُنذر إلا بالغياب، سألقاك مهما كان ثمن اللّقاء، ولو كان الثّمن هو موتي، عندها سأرتاح وأنا في الطّريق إليك، أنتِ نشيد حبّ يخترقني، فأذوب فيه.
- قلتُ لك مراراً وتكراراً أنا لن أحضر.
- بل ستحضرين، وسأقبّلكِ.
- . . . . . .
- حبيبتي يبدو أنّ قبلاتي على شفتيك كانت ثقيلة وماجنة، هل قاطعتني بسبب مجوني ووقاحتي، إنّه حبي لك؛ لذلك سأظلّ أقبّلك على شفتيكِ رغماً عنك. فهل ستغضبين؟ سأحبّكِ ولو غضبتِ، وسأقبّلكِ.

* * * *

(٦)

اليوم: ١٤ شهر النّور عام ٣٠١٠م

"هذه ليستْ كتابة أو أوهام أو خيال أو حلم أو أمنية، بل هي ما كان". أشتهيكِ: خالد

آخر كلماته في آخر مكالمة له معي كانت رفيقي طوال رحلتي القصيرة من الأرض إلى القمر في مركبة نقل جماعيّ، قلتُ له إنّني لن أحضر، لكنّني باسم الحبّ قد حضرت، وفي ذلك الأفق الشّاسع

المفتوح على التّيه الكوني حضرت كلماته، وغاب الوجود، وظلّ صوته معلّقاً في النّفس وهو يقول لي: "معاً بريشة الحبّ والعشق والحياة والفناء، أنا أتصوّر جغرافيتك صحراء، والصّحراء ليست سلبيّة دائماً، بل هي فضاء مطلق للعطش، وأنا أختار أن أتوه وأضل في مساحاتكِ ولو مت، فإنّ العظام التي تلقاكِ في الفيافي تكتب ذاكرة عن مرور الحياة فيّ".

وجهه هو الوجه الوحيد الذي انتظرتُ في محطّة المركبات الفضائيّة، عندما أطلّ عليّ، تغيّرت جغرافيا المكان، وتجمّدت أزماني كلّها في لحظة إقباله عليّ، وعندما أخذني إلى صدره، فنيتُ، وبُعثتُ من جديد مفطورة على اشتهائه والاستسلام له، لم أقوَ على الكلام، فرددتُ تحيته بابتسامة عريضة لا تزول عن وجهي.

* * * *

يقتربُ مني، في عينيه عريّ امرأة وجسدها المُشتهى، وفي عينيّ رغبته وأجمل تفاصيل عشق عشتها معه في شهرين قضيتهما معه في القمر، لم نُحرم متعة أو سعادة أو لحظة، تغيب الكلمات عنّي، فأصمت، وتآزره الفصاحة، فيقولُ: كلّ حيرة فيكِ ابتسامة، وكلّ جواب سؤال، وأسئلتكِ جميعها شهقات، أحبّك حين تعيدين صناعة الجواب، وتحوّلين أسئلتي سؤالاً. أنا أحبّكِ دون حدود، أعشق جسدكِ الذي تصلني حرارته؛ لذلك لن أختار وضعاً خاصاً لعشقنا؛

لأنّني أريدك في الرّقصات جميعها: رقصة الحياة، رقصة الموت، رقصة العشق، رقصة الحبّ، رقصة الجديد، رقصة المعاشرة رقصة الشّهقة، لو قهقهنا معاً، لأشركنا سرّ العالم في رقصة ستحوّلنا إلى مملكة مجنونة بصخب عرّينا، عريّنا رقصة على مسرح الكون، عريّنا استعارة لذات إلهيّة تنازلت لتشركنا في ممارسة حقيقتنا كما يحلو لنا، عريّنا زمن مطلق يا شمس، نكون فيه إيّانا، عرّينا زمن حرّ .

عندما يأتي المساء، وتتساقط الأوراق على الأرض مع كلّ هبة ريح، تشتعل روح العاشق بأسرار الشّهوة، وتكون الرّغبة في العراء هي الطقّس الذي يُحيي به المعشوق وليمة اللّذة وشهوة البقاء.

في تلك اللّيلة الماطرة من زمن بعيد في المستقبل دخل الماضي في اللّحظة الحاضرة، ونسج المطلق، فتسلّق القدر جسد الحياة كي يعيد ترتيب تفاصيل الوقت كلّها، وهي ترتل بهمس مجنون أغنية البدويات القادمات من حقول الأرض من غابر الزّمن حيث كانتْ تنبت الزّرع والعشب والأزهار، استبدّتْ بالأقدار رغبة عارمة في أن تشمّ رائحة الأرض التي تسبّب لها الجنون، فلم تجد غير الجسد؛ جسد كانت اللغة مأواه، كان هو مأوى شهوة دفينة انقرضتْ.

مطر يقرع النّوافذ، وأغصان الشّجر العارية تحتك بجنباتها، أوراق تحدث خشخشات لا تزيد الجسد إلا شهوة وجموحاً، وصوت لحظتي

يرتّل عليّ أحداثي، وكأنّني أشهدها كحاضر صامت، لا شريك متفاعل، فتتكاثر اللّذة في نفسي، وتكاد تقسمني امرأتين أو يزيد:

أغمضت عينيها، وهي تطلق ابتسامة في وجهه، صرختْ كصرخة الولادة الأولى، ولم تزده غير اشتعال وحرقة للعناق والارتماء في عوالمها السّريّة، كان يعريها كما لو أنّه يرسم جسد امرأة من أساطير العذارى، ينظر إلى نهديها وهو يتمَلَّى هذه الجغرافيا التي تحكي قصة سلالة الأنثى التي جاءت من غياهب الزّمن كي ترقص رقصة البقاء والخلود، ابتسامتها تراقص أصابعه بولهٍ، وهي تبحث في التّضاريس والالتواءات كي يخلصها من لوثة الألوان بحثاً عن الصّفاء وسرّ الله في هذه البساتين التي امتلأت برهبة الوقت وحكمة الزّمان.

ها هو الشّبق يجتاحني أيتها الشّوكة التي وخزتني بحكمة الشّهوة، ها هي الرّغبة التي لم أعرف معناها تخترقني، وتسري في عروقي مع كلّ قطرة دم، وهي تزرع الورد في مفاصلي.

ما هذا أيّها الواخز سطح أرضي؟ أنا الجسد الذي يشتهي الحرث الآن كي تتبدّل ذراتي، وتبعث خلاياي، وتتنفّس رائحة الجسد بأنفاس رجل أردته أن يخترقني، ويدخل حدائقي السّريّة التي تركتها بستاناً مزهراً بفواكه اللّذة كلّها.

أنا الجسد الذي وُلد من أعماق الشّهوة، فاغتسل جسدي كلّه بحرارة القلب الدّافق كمطر الغابات في الصّيف، أنا النّهد الذي ارتجف

حائراً بين رعشة وقبلة ولمسة يد لم تكن غير يد الخلود حين كانت تمرّ على جسدي، فتخلق لمسة تطوف بي في ملكوت الكون كلّه، وأنا أكتشفُ معنى انصهار جسد في آخر.

يا الله، ماذا فعلنا في ذلك المساء الماطر؟ أعبادة أم صلاة الجسد ونغمات اللّذة كانت تلك العناقات؟ ماذا كان ذاك الاختراق الذي حكمتَ به على جسدي بالدّخول إلى الدّنيا مع شعاع ضوء قمر تلك الليّلة الاستثنائيّة في حياتي؟

عانقني وهو عارٍ من ثياب الحياة كلّها، جسد تعبره تيّارات اللّذة دون انقطاع، يشربني قُبلاً، ويلمسني بشعيرات كأوتار القيثارة، وأنا لا أقاوم ذلك الدّبيب الذي أسلمني لبحره. رأيت الرّجل كيف يصبح رجلاً، ورأيتُ الِشّهوة كيف تنتصب في اتجاه المستقبل، لقد خسرت الصّراع القديم، وخسرتُ الوجع البائد، وتصالحتُ مع رغبتي التي لم تكن غير أن أفتح له جرحي كي يسكنني، ويُسكِن في أحشائي المدى والزّمن وصورة اللّحظة التي لا يمكن أن تنحتها غير نظرة طفل يبتسم، ويصارع شهوة البقاء.

ظلّ يتمتم ثم صمت، وأطفأ مصباحاً كهربائيّاً ذريّاً كان ينير جانباً من الغرفة، وأسدل السّتار المخمليّ الذي لم يزد المكان إلا خشوعاً، ودخلنا في محيط الجنس واللّذة. ما الجنس؟ كنتُ أقول له

كطفلة لم تسمع هذه الكلمة من قبل، كان يرد علي بسؤال: هل تعرفين معنى الجنس يا ملاكي؟

فأردّ: لم يسبق لي أن تعرّيتُ بهذا الشّكل، فيقول منتشياً: لـذلك قدّست هذا الجسد، وأجّلت القرابين كلّهـا إلى أن رأيتـه، فهـو وحـده المعبد المقدس الذي يستحقّ مـائي ودمـائي وتراتيلـي، العـري وحـده القُداس الذي يقربنا من خالق العالم الجديد، وصانع زمننا القادم.

كان يعانقني بقوة، وكأنه يخشى عليّ من شرّ قـادم، وكلّـه يصـبّ فيّ: يا شمس، يا طفلتنا القادمة العشـق لـذّة وشـوق وعـراء وجـنس وغناء.

أحسستُ كأنّني أشتعل بضـياء الكـون، وكـأنّ الضّـوء قـد أنـار تضاريسي كلّها، وبدأت أرى الكون رؤية أخرى. لقد أصابتْ جسدينا زلازل وبـراكين، وهطلـتْ أمطـار، وغرقـت البحـار في المحيطـات، وتزحزحت الكواكب والملكوت، كنّـا نهتـزّ، وكـأنّ جنيـاً مـارداً كـان يتقاذفنا، فتمرّغنا في العشق حتى الانطفاء.

لقد ضاجعني، وضاجعته كما لم تفعل امرأة مع رجـل مـن قبـل، جسدي وشم وسرّ وبهاء، ومع كلّ شعاع يستيقظ فيّ ألم غريب يختلط بالرّغبة القاتلة في المضـاجعة في ظـلام لا تقلـق عتمتـه غـير تأوهـاتي وكلماته المخلوطة بهمساته لجسدي.

لقد أصبحتُ جسداً لا تزيده الرّوح إلا حبّاً للجسد، و أدركتُ أن اللّذة هي أكبر سرّ جعل سلالة البشر تخترق الأبعاد الزّمانيّة، وتقاوم القهر التّاريخيّ، وتستمرّ بحثاً عن الشّبق الآسر والجسد العابر لمياه الشّوق، لقد صرتُ لا أصحو من سكري إلا حين أتعرّى بين يديه، ويستقرّ في أعماقي ذلك الهمس النابض بالارتواء.

وبعد الارتواء جئتِ أنتِ يا ورد في ليلة غاب عنها وجه الشّر، فرقصتُ نشوى للمحبّة وللخير، عناصر المعادلة جاهزة، والطّاقة مخبوءة في العناصر وفي حبّنا، وفي اللّحظة المناسبة سقطت فيّ، وانطلق أصغر عامود من طاقة البعد الخامس استطعنا الحصول عليه، مرّ نور الطّاقة فيّ، وغسلك، وغادر نحو البعيد مغيّراً ملامح كلّ شيء حولنا. لقد تولّد حضورك وحضور الطّاقة، ولا أحد منّا يعرف ما سيكون تأثير هذه الطّاقة الخيّرة عليكِ.

من رسائل خالد:

"أنا لستُ فحلاً، أنا شبق حتى النّخاع، أعشق السّباحة في ملكوت الجسد الأنثويّ، وأعشق العري الذي يكون وراء لباس أسود شفاف، وهكذا أتخيّلك يا حبي، وأعشق رائحة الجسد بعد أن يتضمّخ بالقبل والعناق، إنّها أعظم رائحة في العالم، إنّ احتكاك الجسد بالجسد يولّد أجمل شيءٍ في العالم، كلّما سمعت صوتكِ أصاب البلل روحي وجسدي، وحده صوتكِ القادر على ذلك". أشتهيكِ: خالد

(٧)

اليوم: ١٤ شهر النّور عام ٣٠١٠م

أرغب يا حبّي في أن أعرف معانيك ومعناي، لي شهوة في فهم شيء واحد بصيغة التّعدّد، أريد أن أعرف كيف دخلتِ القلب؟ وهل دخلتُ أنا قلبكِ الذي هو في قلبي؟ وكيف كان القلبان قلباً واحداً ينبض نبضاً يحرك العالم؟ إنّ الأرض لا تدور إلا بكِ، إلا بمائكِ، بمائي، بمائنا. هل فهمتِ لغة الماء؟ اغسلي وجهكِ بماء بارد، وارسمي لي قُبْلة في الهواء". أشتهيكِ: خالد.

حبيبتي ورد:

يوم جديد يمرّ، ولا أخبار عن خالد، أشعر بدوار في روحي. . .

الباب يقرع الآن، سأرى من الطّارق بهذه الطّريقة العاصفة، وسأعود إليكِ بعد لحظات، انتظريني. . . أحبّكِ

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

. . . . . .

هي لم تعد، ولن تعود أبداً، يقول باسل في نفسه بأسىً وهو يغالب دمعات تتحدّاه، يقلّب باقي الصّفحات الفارغة من أيّ كتابة، يغلق الحزمة الضّوئيّة بعناية، ويضمّها إلى صدره بقدسيّة بعد أن طبع قبلة على غلافها، يشدّ معطفه على بطنه ليقي جنينه لسعات برد الشّتاء، يقلبّ نظراته في المكان، لا أحد في غابة المستشفى سواه في هذا الوقت من المساء، لقد سرقه الوقت، وهو يقرأ في مذكراتها، وداهمته عتمة المساء البارد.

يعدّل من جلسته، ويمسح بباطن يده سائلاً مزيجاً من دموع ومخاطٍ يكاد ينزلق في تجويف فمه، في السّماء تلمع نجمة ونجمات، ونيزك يتّخذ طريقه في البعيد، والقمر مطلّ ببهاء واكتمال، يشدّ المعطف أكثر باتجاه بطنه، ويقول لجنينه وهو يمسّد عليه، ويطالع صفحة السّماء غير الصّافية تماماً: ما رأيك في أن ألدكَ في القمر يا ورد؟ هذه هي رغبة أمّك، سنسافر غداً إلى هناك، لكَ الكثير من الأقارب في ذلك المكان. أمّك لا تعرف أنّك ذكر، هي تظّنك فتاة، لكن والدكَ سيعرف أنّكَ رجل استثنائيّ مثله، هل تحبّ والدكَ يا ورد؟ عليك أن تفعل ذلك، أنا أحبّه كثيراً، وأحبّ أمكَ أكثر، أقول لكَ سرّاً؟ أنا أعشق أمّكَ، أنا أَعْشَقُني بقوة.

يشرئب برأسه أكثر نحو السّماء، يشعر بأنّه في أقرب لحظاته من ربّه، لا يخجل من أن يطلب عونه، يرفع عقيرته، ويقول: يا ربّ،

ساعدني، فتردّ الغابة صوته مجلجلاً في المكان: يا ربّ. . . ساعدني. . . . ي. . . ي. . . ي.

عمان/ الأردن/ خريف ٢٠٠٩م

هافانا/ كوبا/ شتاء٢٠١٢م

شرم الشيخ / مصر/ ربيع ٢٠١٢م

كردستان العراق/ العراق/ شتاء ٢٠١٣م

عمان/ الأردن/ صيف٢٠١٤م

لوس أنجلوس/ أمريكا، ربيع ٢٠١٥م

*** النّهاية ***

"ليس هناك جواب، ولن يكـون هنـاك جـواب، ولم يكـن هنـاك جواب قط، وهذا هو الجواب"

جرترود شتاين

د. سناء شعلان (بنت نعيمة)

أديبة وأكاديميّة وإعلاميّة أردنيّة من أصول فلسطينيّة، وكاتبة سيناريو، ومراسلة صحفيّة لبعض المجلات العربيّة، وناشطة في قضايا حقوق الإنسان والمرأة والطّفولة والعدالة الاجتماعيّة، تعمل أستاذة للأدب الحديث في الجامعة الأردنية/ الأردن، حاصلة على درجة الدّكتوراه في الأدب الحديث ونقده بدرجة امتياز، عضو في كثير من المحافل الأدبية والأكاديميّة والإعلاميّة والجهات البحثيّة والحقوقيّة المحليّة والعربيّة والعالميّة.

حاصلة على نحو٦٣ جائزة دوليّة وعربيّة ومحليّة في حقول الرّواية والقصّة القصيرة وأدب الأطفال والبحث العلميّ والمسرح، كما تمّ تمثيل الكثير من مسرحيّاتها على مسارح محليّة وعربيّة.

لها نحو ٧٠ مؤلفاً منشوراً بين كتاب نقديّ متخصّص ورواية ومجموعة قصصيّة وقصّة أطفال ونصّ مسرحيّ مع رصيد كبير من الأعمال المخطوطة التي لم تُنشر بعد، إلى جانب المئات من الدّراسات والمقالات والأبحاث المنشورة، فضلاً عن الكثير من الأعمدة الثّابتة في كثير من الصّحف والدّوريات المحليّة والعربيّة.

لها مشاركات واسعة في مؤتمرات محلّية وعربيّة وعالميّة في قضايا الأدب والنّقد وحقوق الإنسان والبيئة والعدالة الاجتماعيّة والتّراث العربيّ والحضارة الإنسانيّة والآداب المقارنة، إلى جانب عضويّتها في لجانها العلميّة والتّحكيميّة والإعلاميّة.

هي ممثّلة لكثير من المؤسّسات والجهات الثّقافيّة والحقوقيّة، كما أنّها شريكة في الكثير من المشاريع العربيّة والعالميّة الثّقافيّة والفكريّة.

تُرجمت أعمالها إلى الكثير من اللّغات، ونالت الكثير من التّكريمات والدّروع والألقاب الفخريّة والتّمثيلات الثقافيّة والمجتمعيّة والحقوقيّة.

مشروعها الإبداعيّ حقل للكثير من الدّراسات النّقديّة والبحثيّة ورسائل الدّكتوراه والماجستير في الأردن والوطن العربيّ والعالم.

من أعمالها المنشورة:

١- الرّوايات:

١- أعشقني.

٢- السّقوط في الشّمس.

٣ - أدركها النّسيان.

٢- روايات الفتيان:

١- أصدقاء ديمة.

٣- المجموعات القصصيّة:

١- قافلة العطش.

٢- تراتيل الماء.

٣- الجدار الزّجاجيّ.

٤- حدث ذات جدار.

٥- الذي سرق نجمة.

٦- تقاسيم الفلسطينيّ.
٧- عام النّمل.
٨- رسالة إلى الإله.
٩- أرض الحكايا.
١٠- مقامات الاحتراق.
١١- ناسك الصومعة.
١٢- قافلة العطش.
١٣- الكابوس.
١٤- الهروب إلى آخر الدّنيا.
١٥- مذكّرات رضيعة.
١٦- أكاذيب النّساء.
١٧- الأعمال القصصيّة الكاملة، جزء١
١٨- الأعمال القصصيّة الكاملة، جزء٢
١٩- الأعمال القصصيّة الكاملة، جزء٣

٤- مجموعات قصصيّة مشتركة مع أدباء عرب وعالميين:

١- مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصّين أردنيين بعنوان "القصّة في الأردن: نصوص ودراسات".
٢- مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصّين عرب بعنوان "الضّياع في عيني رجل الجبل".
٣- مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصّين عرب بعنوان "في العشق".

٤- مجموعة قصصيّة مشتركة مع قاصّين أردنيين بعنوان "مختارات من القصّة الأردنيّة".

٥- مجموعة قصصية مشتركة مع قاصّين مصريين بعنوان "مجموعة نجوم القلم الحرّ في سماء الإبداع".

٥- مسرحيّات للكبار:

١- إعداد وسنيوغرافيا لمسرحيّة "صانعة" المقتبسة عن مسرحيّة (البيت النّظيف) للأمريكيّة سارة رول.

٢- دعوة على شرف اللّون الأحمر.

٣- "سيلفي" مع البحر.

٤- وجه واحد لاثنين ماطرين.

٥- محاكمة الاسم (×).

٦- السّلطان لا ينام.

٧- خُرّافيّة سعديّة أمّ الحظوظ.

٦- مسرحيّات للفتيان والفتيات:

١- اليوم يأتي العيد.

٢- رحلة مع المعلّمة فرحة.

٧- قصص أطفال:

١- قصّة للأطفال بعنوان "زرياب: معلّم الناس والمروءة".

٢- قصّة للأطفال بعنوان "هارون الرّشيد: الخليفة العابد المجاهد".

٣- قصّة للأطفال بعنوان "الخليل بن أحمد الفراهيديّ: أبو العروض والنّحو العربيّ".
٤- قصّة للأطفال بعنوان "ابن تيمية: شيخ الإسلام ومحيي السّنّة".
٥- قصّة للأطفال بعنوان "اللّيث بن سعد: الإمام المتصدّق".
٦- قصّة للأطفال بعنوان "العزّ بن عبد السّلام: سلطان العلماء وبائع الملوك".
٧- قصّة للأطفال بعنوان "عبّاس بن فرناس: حكيم الأندلس".
٨- قصّة للأطفال بعنوان "زرياب: معلّم النّاس والمروءة".
٩- قصّة للأطفال بعنوان "صاحب القلب الذّهبيّ".
١٠- مئات القصص المصورة للأطفال المبثوثة والمنشورة في مجلاّت الأطفال المحليّة والعربيّة.

٨- المقالات والنّصوص النّثريّة:

١- أبي سيّد الكلمات.
٢- الذين لا ينامون.
٣- قالت النّساء.
٤- غصون وتخوم.
٥- الدّرب إليهم.
٦- الأعمال النّثريّة الكاملة.

٩ – لقاءات حواريّة:

١- الهدهد والخاتم: لقاءات مع مبدعين عراقيين، سلسلة حوارات إبداعيّة وفكريّة (١)

٢- العرّافة والجبل: لقاءات مع مبدعين عرب، سلسلة حوارات إبداعيّة وفكريّة (٢)

٣- لقاءات حواريّة: لقاءات مع مبدعين عالميين، سلسلة حوارات إبداعيّة وفكريّة (٣)

١٠ - كتب نقديّة متخصّصة:

١- الأسطورة في روايات نجيب محفوظ.

٢- السّرد الغرائبيّ والعجائبيّ في الرّواية والقصّة القصيرة في الأردن١٩٧٠-٢٠٠٢م

٣- دور جلالة الملك في مكافحة الإرهاب: تفجيرات عمان في قصص بالشّراكة مع المؤلّف وائل الفاعوريّ.

٤- الدّواني والغواني: غصون في الأدب المعاصر ونقده.

٥- السّراب وأهزوجة النّور: دراسات نقديّة في الأدب المعاصر.

٦- ترنّم الصّوت وثورة الصّدى: دراسات نقديّة في إبداعات معاصرة.

٧- So Close, Much Farther: Studies in Criticism

١١- المشاركة في فصول نقديّة في كتب نقديّة محكّمة متخصّصة:

١- المشاركة بفصل بعنوان "السّرد الجميل لتأثيث عالم قبيح" في كتاب بعنوان "حنون مجيد في منجزه القصصيّ"، جمع وإعداد وتحرير د. سمير الخليل.

٢- مشاركة بفصل بعنوان "لقاء مع العلامة علي القاسميّ: أبو المعاجم العربية الحديثة" في كتاب "الدّكتور علي القاسميّ سيرة ومسيرة: مجموعة بحوث ودراسات

مهداة إليه بمناسبة عيد ميلاده الخامس والسّبعين"، جمع وإعداد د. منتصر أمين عبد الرّحيم.

٣- المشاركة بفصل بعنوان "عبد الكريم غرايبة العملاق الذي ينير الدّرب للجميع" في كتاب "عبد الكريم غرايبة مؤرّخاً عربيّاً".

٤- المشاركة بفصل بعنوان "مساحة التّوتّر بين الانتظار والخيبة عند القاصّ العراقيّ فرج ياسين في مجموعته القصصيّة "واجهات برّاقة" في كتاب" في آفاق النّص القصصيّ: مقاربات في الهويّة والنّص والتّشكيل عند فرج ياسين".

٥- المشاركة بفصل بعنوان "البطل في قصص زياد أبو لبن" في كتاب "القصّة القصيرة في الوقت الرّاهن".

٦- المشاركة بفصل بعنوان "الذين لا يموتون" في كتاب "المبدع الرّاحل محيي الدّين زنكنه بأقلام أصدقائه".

٧- المشاركة بفصل بعنوان "الفنتازيا رداء للتّثوير في التّجربة القصصيّة عند محيي الدّين زنكنة" في كتاب نقديّ بعنوان "نظرات نقديّة في عالم محيي الدّين زنكنه الإبداعيّ".

٨- المشاركة بفصل بعنوان "شهادة إبداعيّة للأديبة الأردنيّة سناء شعلان" في كتاب "دراسات نقديّة عن الأدب الكرديّ".

١٢- الكتب المنهجيّة:

١- كتاب بعنوان "تعليم اللّغة العربيّة للنّاطقين بغيرها: المستوى الخامس"، كتاب مشترك مع مجموعة من المؤلّفين الأكاديميين.

عنوان المؤلّفة: د. سناء شعلان
الأردن – عمان– الرّمز البريدي١١٩٤٢
ص. ب ١٣١٨٦
خلوي وواتس وفايبر: ٠٠٩٦٢٧٩٥٣٣٦٦٠٩
البريد الالكتروني
Selenapollo@hotmail. com
العنوان على الفيس بوك
Facebook: Sanaa Shalan

يـا لجمـال قـدري الجديـد! يـا لجمـال قـدر يقـودني إلى أن أعشـقها!! أقصـد أن أعشق جسدها، بل أن أعشق روحها وذاتها، مـن الصّعب أن أشـرح لنفسـي هـذه القضية الملبسـة، فأنـا أعشـق امـرأة هـي أنـا في واقـع الحقيقـة الملمـوس، وأنـا إيّاهـا في السّـياق المنطقيّ نفسه، ولكنّ الحقيقة أنّني رجلّ يعشق امرأة في ظروف عجيبة، إذ هو ماديّاً مفقود، وهي روحانيّاً مفقودة، ولكن كلينا في هذه اللّحظة في ذات واحدة، هي إيّاها وإيّاي، إذن أنا أَعْشَقُني، ولذلك فأنا أعشقُها.

لابدّ أنّ هذه القضية أكبر من فهمكِ الصّغير يا ورد، يوماً ما ستكبر، وتفهم معنى ما يحدث، وستفهم دون غيركَ من البشر معنى كلمة أَعْشَقُني، أنا يا وردي أَعْشَقُني، أتعرف معنى ذلك؟معناه أنّني أعشق أمّكَ شمس بامتداد لا يعرف نهاية، فهل تغضب؟تستطيع أن تركلني بقدر ما تشاء إن كنتَ حانقاً علي، ولكن ذلك لن يغيّر شيئاً من حقيقة أنّني أَ...عْ...شَ...قُ..نِ...ي...

9 789957 545499

Sanaa Kamel Shalan

ALTNOOR
النور
Culture and Art للثقافة والفنون